رواية

B . A PARIS

بي. أيه. باريس

ترجمة: لينه الثقفي

# خلف الأبواب الموصدة

BEHIND CLOSED DOORS






# خلف
# الأبواب
# الموصدة



لتجارة الكتب


إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com



- العنوان الأصلي: Behind Closed Doors
- العنوان العربي: خلف الأبواب الموصدة
- طُبِع بواسطة: HQ
- طُبِع بواسطة: إتش كيو



- المترجمة: لينه الثقفي
- تدقيق لغوي: نهال جمال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: سبتمبر/ 2021م
- رقم الإيداع: 2021/21559م
- الترقيم الدولي: 978-977-6902-45-9

رواية

B . A PARIS

بي. أيه. باريس

ترجمة: لينه الثقفي

# خلف الأبواب الموصدة

BEHIND CLOSED DOORS



إهداء إلى بناتي:

صوفي، كلوي، سيلين، إلويز، مارغو.

# الحاضر

تصطدم قنينة الشمبانيا بسطح المطبخ الرخامي، فأقفز فزِعة من مكاني. ألقي نظرة على جاك وكلي رجاء بألا يلاحظ قلقي. يلمحني وأنا أنظر إليه، فأبتسم.




يهمس بصوت هادئ:

- كل الأمور على أحسن حال.

يمسك بيدي ويقودني حيث ينتظرنا الضيوف. وحينما نمر بالرواق، أرى أزهار الزنبق التي جلبتها ديان وآدم لحديقتنا، لونها وردي زاهٍ، أتوق لأن يزرعها جاك حيث أستطيع رؤيتها من نافذة غرفة النوم. تدمع عيناي لمجرد التفكير في الحديقة، غير أنني أبتلع سريعًا دموعي التي تنبع من داخل أعماقي. كل شيء على المحك في هذه الليلة، ولا بد أن أركِّز على ما يحدث في التو واللحظة فقط.

في غرفة الجلوس، تشتعل النار من المدفأة العتيقة. الطقس جميل في شهر مارس، سوى أن بعض الهواء القارص لا يزال يلفنا، لكن جاك يفعل ما بوسعه من أجل راحة ضيوفنا.

يقول روفوس بإعجاب:

- إن منزلك مميز حقًا يا جاك، أليس كذلك يا إستير؟

لا أعرف روفوس ولا إستير، فهذه هي المرة الأولى التي ألتقيهما؛ جيران جدد في المنطقة، مما يشعرني بالتوتر فوق ما أنا عليه بالفعل. غير أني لا يمكنني أن أخذل جاك الليلة، لذلك أرسم ابتسامة على وجهي، وأدعو في نفسي أن أروق لهما. لا تبادلني إستير الابتسام، فأحزر أنها تتمهل قبل الحكم علي، لكنني لا ألومها، فلا بد بأنها سمعت عني الكثير من دائرة معارفنا خلال

الشهر الماضي، وقيل لها مرارًا إن «غريس أنجيل» زوجة المحامي اللامع «جاك أنجيل»، هي مثال للمرأة التي تحوز كل شيء؛ منزل مثالي، زوج مثالي، حياة مثالية. لو كنت مكان إستير لاستشعرت نفس الحذر.

تلمح عيناي علبة شوكولاتة باهظة الثمن أخرجَتها لتوها من حقيبتها، أحس بوميض من الإثارة ورغبة في أن تقدِّمها لي بدلًا من جاك، أتقدم بنعومة نحوها فتناولني العلبة بعفوية.

أشكرها بامتنان:

- شكرًا لك، إنها باهرة.

أضعها على منضدة القهوة تمهيدًا لفتحها في أثناء شرب القهوة فيما بعد.

تثير إستير اهتمامي، فهي عكس ديان تمامًا؛ امرأة طويلة شقراء، وذات جسد نحيل وشخصية متحفظة. لا يسعني إلا أن أحترمها فحسب، لكونها أول شخص يدخل منزلنا ولا يتحدث عن مدى إعجابه به. أصر جاك على اختيار المنزل بنفسه، مُعللًا ذلك بأنه هدية الزواج؛ كانت المرة الأولى التي أرى فيها المنزل وقت عودتنا من شهر العسل، وعلى الرغم من وصفه لي مسبقًا بأنه مناسب تمامًا، لم أفهم ما يعنيه حتى رأيت البيت بنفسي، فهو يقع على مساحة كبيرة في أطراف المدينة، ما يمنح جاك الخصوصية التي يتوق إليها، بالإضافة إلى شعوره بالتميز لامتلاكه المنزل الأبهى والأكثر أمانًا في سبرينك إيتون، إذ يشتمل على نظام إنذار معقد، مع مصاريع فولاذية لحماية النوافذ في الطابق الأرضي، تُوصَد في كثير من الأحيان طيلة النهار، وهو ما يبدو غريبًا للكثيرين. يقول جاك لكل من يستغرب ذلك بأن مَن يعمل في مثل وظيفته، يعدُّ الأمان إحدى أولوياته.

يوجد الكثير من اللوحات المعلَّقة على جدران غرفة الجلوس، مع أن الناس عادة ما ينجذبون على نحو أكبر للقماش الأحمر المعلَّق فوق الموقد. لا تستطيع ديان وآدم -اللذان رأياه من قبل- أن يقاوما تلك الرغبة في إلقاء نظرة أخرى، يلحق بهما روفوس، بينما تجلس إستير على إحدى الأرائك الجلدية ذات اللون الكريمي. يقول روفوس:

- إنه لأمر مدهش.

وهو ينظر بانبهار إلى مئات العلامات الصغيرة التي تتشكل منها أغلب مساحات اللوحة.

يوضح جاك فيما يفتح قنينة الشمبانيا:

- إنها تُدعى اليراعات.

- لم أرَ شيئًا كهذا من قبل.

تقول ديان:

- لقد رسمتها غريس، أتصدق هذا؟

يزيح جاك الفلين من القنينة محاولًا ألا يصدر صوتًا.

- ينبغي لك رؤية لوحات غريس الأخرى، فجميعها في غاية الروعة.

يتطلع روفوس في أرجاء الغرفة باهتمام قائلًا:

- هل اللوحات الأخرى هنا؟

يمازحه آدم:

- لا، بل في مكان آخر من المنزل، لا يحق لأحد رؤيتها سوى عين جاك.

يلتف جاك نحوي قائلًا وبسمة تعلو وجهه:

- وعينا غريس أيضًا، أليس هذا صحيحًا يا عزيزتي؟

أقول:

- بلى هو كذلك.

وأشيح بوجهي بعيدًا.

نجلس بجوار إستير على الأريكة، وتومئ ديان بسرور حين يسكب جاك الشمبانيا في الكؤوس الطويلة، فيما عيناها لا تفارق وجهي.

تستفسر مني قائلة:

- هل تشعرين بتحسن الآن؟

ثم تُوضِّح الأمر لديان:

- لم تستطع غريس تناول الغداء معي أمس لتعب كانت تشعر به.

أحتج قائلة:

- صداع نصفي لا أكثر.

يرمقني جاك بشفقة قائلًا:

- يصيب غريس كثيرًا بكل أسف، إلا أنه لا يستمر طويلًا، الحمد لله.

توضِّح ديان الأمر:

- مع أنها المرة الثانية التي تتجاهلينني فيها.

- أعتذر، فعلًا متأسفة.

- حسنًا، على الأقل لم تنسَي هذه المرة. (تحاول أن تثير حنقي).

- لمَ لا نلتقي يوم الجمعة القادمة للتعويض عن ذلك؟ هل وقتكِ يسمح يا غريس؟ أم أن هناك موعدًا مع طبيب الأسنان ستتذكرينه فجأة وفي اللحظة الأخيرة؟!

- لا، وكلي رجاء ألا يفتك بي صداع نصفي جديد.

تلتفت ديان نحو إستير:

- أتودين المجيء معنا؟ غير أنه لا ينبغي أن نلتقي في مطعم في المدينة، لأنني أعمل هناك.

- شكرًا لكِ، أحب ذلك بالتأكيد.

ثم تُلقي عليَّ نظرة لتتأكد من أنني لا أمانع في مجيئها معنا، فأبتسم لها. يجتاحني إحساس قوي بالذنب، بشأن يَقيني التام بأنني لن أذهب. يسترعي جاك انتباه الجميع، حين يقدم نخبًا لإستير وروفوس، يرحب بهما في حيِّنا. أرفع كأسًا، وأرشف رشفة من الشمبانيا. ترقص الفقاعات في فمي فتكتسحني سعادة مباغتة، أحاول أن أجعلها تدوم، لكنها سرعان ما تزول مثلما جاءت.

أوجِّه نظري ناحية جاك فيما يتكلم بحماس مع روفوس؛ قابلاه هو وآدم في نادي الغولف قبل أسبوعين ودعياه لكي يلعب معهما، فاكتشفا مهارة

روفوس الممتازة كلاعب غولف، على الرغم من قدرة أي منهما على هزيمته. حينها أرسل له جاك دعوة هو وإستير لتناول العشاء في منزلنا. حين أشاهدهما معًا، يبدو جاك ساعيًا دومًا ليبهر روفوس، ما يشير لكونه مهمًّا لديه أن أكسب ودَّ إستير. غير أن ذلك يبدو لي عسيرًا بعض الشيء. أما ديان فمعجبة بي بكل بساطة؛ تبدو إستير أكثر تعقيدًا.

أستسمح الجالسين في الذهاب إلى المطبخ، لكي أجلب المقبلات التي صنعتها سلفًا، وأضع اللمسات الأخيرة على أطباق العَشاء.

يبالغ جاك في مراعاة آداب الضيافة؛ عليَّ ألا أترك الضيوف طويلًا بمفردهم، لذا أخفق بياض البيض سريعًا في الوعاء الموضوع فوق المنضدة، وأضيفه إلى قاعدة "السوفليه" التي أعددتها آنفًا.

وبينما أغرف المزيج في أطباق متفرقة، أرفع نظري بتوتر نحو الساعة، ثم أضع الأطباق في وعاء الحمام المائي بداخل الفرن، وأحدد الوقت المناسب لإيقافه. تنتابني موجة ذعر لحظية خشية ألا أستطيع إنجاز كل شيء. أجلس لكي أذكّر نفسي بأن الخوف هو عدوي، وأهدئ نفسي قبل أن أعود لغرفة الجلوس حاملةً صينية المقبلات.

أقدمها إليهم فيما أستمع لكلمات الاستحسان والامتنان من الجميع، وكذلك يسمعها جاك، فيطبع قبلة على رأسي. يوافق جاك على رأي ديان حين تقول إنني طاهية رائعة بحق، فأتنفس الصعداء في صمت.

أعقد العزم على أن أحسِّن علاقتي بإستير؛ أجلس إلى جانبها، وينتبه جاك لذلك فيعفُوني من تقديم المقبلات. يقول بينما يوازن الصينية بأنامله الأنيقة الطويلة:

- تستحقين قدرًا من الراحة يا عزيزتي، بعد كل هذا العمل الشاق الذي قمتِ به اليوم.

أعترض قائلةً:

- لم يكن العمل شاقًّا على الإطلاق (كذبة يعرفها جاك، لأنه هو الذي اختار أصناف الطعام).

أشرع في سؤال إستير عن كل شيء ممكن: هل استقررتِ في المنطقة؟ أنادمة على ترك كينت؟ هل استقر طفلاك في مدرستهما الجديدة؟ لسبب ما، أعرف جيدًا أن أسئلتي تزعجها، أتساءل كذلك عن اسم طفلها وطفلتها على الرغم من معرفتي بأن اسمَيهما سبستيان وإيزلينغ. أعرف حتى عمريهما، واحد في السابعة والأخرى في الخامسة، غير أنني أتظاهر بعدم المعرفة. أدرك أن جاك يصغي لكل كلمة أتفوَّه بها، ويتساءل عما أروم إليه.

تسأل إستير قائلة بطريقة أقرب للإخبار منها للسؤال:

- ليس لديك أطفال، أليس كذلك؟

- لا ليس بعد. اتفقنا بأن نستمتع لبضع سنوات أولًا.

تستفسر بنبرة يشوبها الذهول:

- لماذا؟ منذ متى وأنتما متزوجان؟

أجيبها:

- منذ عام.

تشارِك ديان في الحديث قائلة:

- لقد كان عيد زواجها الأسبوع الفائت فقط.

يهتف جاك قائلًا بينما يعيد ملء كأسها:

- ما زلت غير مستعد بأن يشاركني أحد زوجتي الجميلة.

أراقب ما يحدث أمامي، مشتتة للحظات فيما ألاحظ قطرة صغيرة من الشمبانيا تهبط من الكأس فوق بنطاله الكاكي عند الركبة.

- أتمنى ألا تمانع سؤالي...

يتملَّك إستير الفضول، تردف قائلةً:

- هل كان أيٌّ منكما متزوجًا من قبل؟

تبدو كما لو أنها تتمنى لو كانت الإجابة «نعم»، أن ترى أحدنا زوجًا سابقًا أو ساخطًا على الآخر، شيء ما يكمن في الخلفية فيكون دليلًا على كوننا لم نبلغ الكمال بعد.

أجيبها:

- لا، لم يكن أيٌّ منا متزوجًا من قبل.

تلقي نظرة خاطفة على جاك، وفي قرارة نفسي أعلم بأنها تتساءل: "كيف استطاع شخص وسيم أن يبقى غير مرتبط لفترة طويلة". يُحسُّ جاك بتسلط عينيها عليه، فيبتسم بسمة ودودة ويقول:

- ينبغي لي الاعتراف بأنني في الأربعين من عمري، وكان اليأس قد بدأ يغمرني أكثر من أي وقت مضى من أن أجد المرأة المثالية. ولكن حين رأيت غريس، علمت أنها مَن كنت أنتظرها طوال الوقت.

تتنهد ديان قائلة:

- رومانسي جدًّا.

إنها الوحيدة التي تعرف فعلًا قصة لقائنا.

- لقد نسيت عدد النساء اللواتي حاولتُ التوسط ليرتبطن بجاك، سوى أنه لم ترُق له الفكرة حتى قابل غريس.

تتساءل إستير:

- ماذا عنكِ يا غريس؟ هل كان الحب من النظرة الأولى ما حدث معكِ أيضًا؟

أقول كأنما أتذكر للتو:

- بلى، إنه كذلك.

تسيطر الذكريات عليَّ، أهب واقفة بحركة سريعة، فيدير جاك رأسه ناحيتي.

أشرح بهدوء قائلة:

- السوفليه، أظن أنه نضج الآن. هل أنتم مستعدون للجلوس إلى المائدة؟

تندفع ديان لتخبر الجميع بأن السوفليه لا ينتظر أحدًا، يفرِغون كل ما في كؤوسهم من الشمبانيا، ويقومون صوب مائدة الطعام، فيما عدا إستير؛ تتوقف لتلقي نظرة فاحصة على لوحة اليراعات، ينضم إليها جاك بدلًا من

حثها على الجلوس مع الباقين، أتنهد بارتياح؛ السوفليه ليس مشارفًا على النضوج بعد، وإلا لكنت قد أوشكتُ على البكاء قلقًا من التأخير، لا سيما لو بدأ جاك في شرح التقنيات المختلفة التي استخدمتُها في رسم اللوحة.

يجلسان أخيرًا بعد خمس دقائق، إذ نضج السوفليه تمامًا، وفيما تعبِّر ديان عن دهشتها يبتسم لي جاك من الطرف الآخر من مائدة الطعام، ويخبر الجميع بأنني ذكية جدًّا في الواقع.

خلال الأمسيات من هذا القبيل، أتذكر لماذا وقعت في حب جاك؛ إنه ساحر وممتع وذكي، يعرف بالضبط ما يُقال وكيف يُقال. ولأن إستير وروفوس جديدان على المنطقة، يتأكد من أن الحوارات التي تجمعنا تناسبهما ونحن نأكل السوفليه. يحث ديان وآدم على الحديث عن نفسيهما، حتى يتشجع صديقانا الجديدان على الكلام؛ مثلًا، مكان التسوق، والرياضة التي يمارسانها. على الرغم من أن إستير تنصت بأدب لقائمة الأنشطة الترفيهية، وأسماء البستاني والمربِّيات لديهما، وأفضل مكان لشراء الأسماك، فإنني أعلم بأنني أكثر ما يثير اهتمامها، وأعلم أنها تريد معرفة حقيقة تأخرنا نسبيًّا أنا وجاك في الزواج، على أمل أن تجد شيئًا -أي شيء- يطمئنها بأن الأمر ليس مثاليًّا كما يبدو. لسوء حظها؛ ستصيبها خيبة أمل.

تنتظر حتى يقطع جاك لحم بقر «ويلينغتون» ويقدمه لها مع البطاطا بالقشطة، والجزر المغطى بالقليل من العسل. ثمة أيضًا بازلاء صغيرة محلاة بالسكر؛ غمرتُها في الماء المغلي قبل خروج اللحم من الفرن. تتعجب ديان بأنني تمكنت من تجهيز كل شيء في الوقت نفسه، وتعترف بأنها دائمًا ما تختار وجبة رئيسية مثل الكاري، التي يمكن تحضيرها مبكرًا وتسخينها في اللحظة الأخيرة. أود أن أقول لها إنني أفضِّل لو أفعل كما تفعل تمامًا، وأن الحسابات المضنية والليالي قليلة النوم هي العملة التي أدفعها ثمنًا لتقديم عشاءً مثاليًّا كهذا، إذ إن تقديم أي شيء أقل من الكمال أمر غير مطروح.

تنظر إستير إليَّ من خلف مائدة الطعام قائلة:

- إذًا أين التقيتما أنتِ وجاك؟

- في منتزه ريجنت، بعد ظهيرة يوم أحد.

تصر ديان قائلة:

- أخبريها بما حدث.

يمتقع لون بشرتها الشاحب من أثر الشمبانيا.

أتردد للحظة، فقد حكيت هذه القصة من قبل. غير أن جاك يحب أن يسمعني أحكيها، لذا فمن مصلحتي أن أكررها. لحسن الحظ، تهب إستير لإنقاذي من ترددي، فقد أخطأَت فهم تحفظي فوثبت صوبي قائلة بإلحاح:

- من فضلك احكي.

- حسنًا.

أبتسم ابتسامة اعتذارية وأشرع في الحديث بحذر، حتى لا يصاب الذين سمعوا القصة من قبل بالملل.

- كنت في الحديقة مع أختي ميلي. غالبًا ما نذهب هناك بعد ظهر أيام الآحاد ويصادف أن تكون ثمة فرقة تعزف. تحب ميلي الموسيقى وكانت تستمتع كثيرًا لدرجة أنها نهضت من مقعدها وبدأت ترقص أمام المنصة. كانت قد تعلمَت مؤخرًا رقصة الفالس، وبينما ترقص مدت ذراعيها للأمام كما لو أنها تراقص شخصًا ما أمامها. (أبتسم حين أتذكر ذلك وأتمنى لو كانت الحياة قد استمرت بسيطة وغير مؤذية). وعلى الرغم من أن الناس كانوا جذلين بشكل عام، سعداء برؤية ميلي تستمتع بوقتها، انتبهت لشخص أو اثنين غير مرتاحين، وعرفت وقتها بأنه ينبغي لي أن أفعل شيئًا حيال الأمر، ربما أعيدها لمقعدها. سوى أنه كان ثمة جزء مني كارهًا أن أفعل ذلك، لأن...

تقاطعني إستير متسائلة:

- كم عمر أختك؟

- سبعة عشر.

أتوقف لبرهة، غير راغبة في مواجهة الواقع ثم أقول:

- تقريبًا ثمانية عشر.

ترفع إستير حاجبيها قائلة:

- إنها تريد أن تلفت الانتباه.

- لا، إنها ليست.. إنها فقط...

- حسنًا، أفعالها تدل على ذلك، أعني لا ينهض الناس عادة ويرقصون في المنتزهات، أليس كذلك؟

تنظر حول مائدة الطعام، ونظرة الانتصار تلوح في وجهها، وحين يتجنب الجميع النظر إليها أشعر حيالها بالأسف. يكسر صوت جاك الصمت المحرِج الذي عمَّ الجلسة:

- ميلي مصابة بمتلازمة داون، ما يعني أنها غالبًا ما تكون عفوية بطريقة رائعة.

يغشى الارتباك وجه إستير، وأشعر بالانزعاج إزاء الأشخاص الذين أخبروها بكل شيء عني، ولم يذكروا ميلي.

أهتف لكي أخلِّصها من الموقف:

- على أي حال، قبل أن أتوصل لقرار بشأن ما يجب عليَّ فعله، نهض هذا الرجل المثالي من مقعده، وذهب إلى حيث كانت ميلي ترقص، وانحنى مادًّا يده إليها. حسنًا، كانت ميلي سعيدة، وحين شرعا في رقص الفالس، بدأ الجميع في التصفيق، ثم نهض أزواج آخرون من مقاعدهم وبدؤوا في الرقص أيضًا. لقد كانت لحظة مميزة للغاية. وبالطبع، وقعتُ في حب جاك على الفور بسبب فعلته.

- ما لم تكن تعرفه غريس في ذلك الوقت، أنني رأيتها مع ميلي في الحديقة قبل أسبوع، ووقعت في حبها مباشرة. كانت مهتمة جدًّا بها، ليست أنانية أبدًا. لم أرَ مطلقًا هذا النوع من الإخلاص لدى أي شخص من قبل، فصرت مصممًا على التعرف عليها.

أقول بدوري:

- وما لم يكن جاك يعرفه في ذلك الوقت، أنني كنت قد لاحظته في الأسبوع السابق، لكنني لم أظن قط أنه سيهتم لشخص مثلي.

يدهشني كيف يهز الجميع رأسه موافقًا، على الرغم من جاذبيتي، فإن مظهر جاك الذي يناسب نجمًا سينمائيًا يجعل الناس يعتقدون بأنني محظوظة لكونه اختار الزواج بي. ليس هذا ما قصدتُه، لذلك يقوم جاك بالشرح بدلًا مني:

- ليس لدى غريس إخوة أو أخوات آخرون، لذا اعتقدَت أن حقيقة مسؤولية ميلي التي تقع على عاتقها بمفردها ستثبط من عزيمتي. وضحتُ قائلة:

- كما حدث مع آخرين.

يهز جاك رأسه قائلًا:

- سوى أن الأمر عكْس هذا تمامًا، فمعرفتي بأن غريس ستفعل أي شيء لميلي هو ما جعلني أدرك أنها المرأة التي كنت أبحث عنها طيلة حياتي. في مجال عملي، من السهل أن يُحبَط المرء من الجنس البشري.

يقول روفوس بينما يرفع كأسه صوب جاك:

- لقد قرأت في الصحيفة ليلة أمس التهاني والتبريكات مجددًا.

ينضم إليه آدم قائلًا:

- نعم، لقد أحسنت صنعًا. إدانة أخرى في صفك.

آدم محامٍ في نفس المكتب الذي يعمل فيه جاك.

بتواضع يرد عليه جاك:

- كانت قضية لا تحتاج إلى الكثير من التفكير، مع أن إثبات كون موكلتي لم تتسبب لنفسها بالجروح قد جعل القضية أكثر صعوبة، نظرًا لأن لديها ميلًا لإيذاء نفسها.

يستفسر روفوس قائلًا:

- أليس من السهل عادة إثبات قضايا الإساءة؟

بينما تخبر ديان إستير -في حال لم تكن تعرف بالفعل- بأن جاك يناصر المستضعفين، وبشكل أكثر تحديدًا الزوجات اللاتي يتعرضن للإيذاء.

- لا أريد أن أقلل من شأن العمل العظيم الذي تقوم به، لكن غالبًا ما تكون هناك أدلة مادية، أو شهود، أليس كذلك؟

تشرح ديان، التي أظن أنها مغرمة قليلًا بجاك:

- براعة جاك هي أن يجعل الضحايا يثقون به بما يكفي لإخباره بكل شيء، العديد من النساء ليس لديهن شخص يلجأن إليه ويخشين ألا يجدن أحدًا يصدقهن.

أردف آدم قائلًا:

- ويتيقن أيضًا من أن الجناة يتم سجنهم لأطول فترة ممكنة.

يقول جاك بحزم:

- إنني أزدري الرجال الذين يعنِّفون زوجاتهم، يستحقون كل ما يجري لهم.

يرفع روفوس كأسه مرة أخرى قائلًا:

- سأشرب نخبًا لهذا.

تهتف ديان:

- لم يخسر قضية واحدة، أليس هذا صحيحًا يا جاك؟

- لا، ولا أنوي هذا.

يتأمل روفوس متأثرًا:

- سجل حافل غير منقطع.. إنه لأمر رائع.

تنظر إلي إستير مستفسرة:

- أختك ميلي تصغرك بكثير.

تدير دفة الحديث إلى حيث توقفنا.

- نعم، بيننا سبعة عشر عامًا. لم ترَ ميلي الحياة حتى بلغت والدتي السادسة والأربعين. لم يخطر ببالها آنذاك بأنها حامل، لذا كان من المفاجئ بعض الشيء أن تجد نفسها أمًّا مرة أخرى.

- هل تعيش ميلي مع والديك؟

- لا، إنها تعيش في مدرسة مذهلة في شمال لندن. سوى أنها ستبلغ الثامنة عشرة في أبريل القادم، لذا سيكون عليها أن تترك المدرسة في أثناء الصيف، إنه لأمر مؤسف لأنها تحب السكن هناك.

- إذًا إلى أين ستذهب؟ هل إلى والديك؟

- لا.

أصمت لبرهة، لأنني أعلم أن ما سأقوله سيصدمها، ثم أستطرد:

- إنهما يعيشان في نيوزيلندا.

تتساءل إستير بصدمة:

- نيوزيلندا؟!

- نعم. تقاعدا هناك في العام الماضي، بعد زفافنا مباشرة.

- فهمت.

لكنني أعلم أنها لم تستوعب ما قلته.

يوضح جاك قائلًا:

- ستنتقل ميلي للعيش معنا (بينما يبتسم لي)، كنت أعلم أن ذلك شرط قبول غريس لفكرة الزواج بي، وكان شرطًا سعدت جدًّا بقبوله.

تقول إستير:

- هذا كرم عظيم منك.

- لا، على الإطلاق.. يسعدني أن ميلي ستعيش معنا هنا. سيضيف ذلك بُعدًا جديدًا لحياتنا، أليس كذلك يا حبي؟

أرفع كأسي وآخذ رشفة من نبيذي حتى لا أضطر للرد عليه.

تُعقب إستير بقولها:

- من الواضح أنك تعاملها معاملة جيدة.

- آمل أن تكون ميلي مغرمة بي مثلما أحبها، فقد أخذت بعض الوقت حتى تزوجنا بالفعل أنا وغريس.

- ولمَ هذا؟

أجيبها:

- أعتقد أن حقيقة زواجنا كانت صدمة لها، لقد أحبَّت جاك من البداية، لكن حين عدنا من شهر العسل، وأدركَت أنه سيكون معي طيلة الوقت، شعرت بالغيرة لبعض الوقت. إنها بخير الآن. وأضحَى جاك صديقها المفضل من جديد.

يصدح جاك مقهقهًا:

- لحسن الحظ، اتخذ جورج كلوني مكاني كموضوع لم يعجب ميلي.

تسأل إستير:

- جورج كلوني؟!

أومئ برأسي:

- أجل (وأبتهج لأن جاك طرح هذا الموضوع).

تتمتم ديان قائلة:

- كان لدي نفس الشعور نحوه، ألسنا جميعًا؟

أبين لها قائلة:

- ميلي غيورة جدًّا، لدرجة أنها حين أهداني بعض الأصدقاء في عيد ميلادي تقويمًا للسنة عليه صورة جورج كلوني، دونَت عليه: "لا أحب جورج كلوني"، تنطقه: جورج كووني، فلديها بعض الصعوبات في نطق حرف اللام.

يضحك الجميع: يا لجمالها!

- والآن لا تتوقف أبدًا عن إخبار الجميع بأنها تحبني ولا تحبه. لقد أصبح الأمر مثل التعويذة بالنسبة إليها؛ أنا أحبك يا جاك، لكنني لا أحب جورج كووني. (يبتسم جاك ويضيف بتواضع) يجب أن أعترف أنني أشعر بإطراء شديد كلما قالت هذا في نفس واحد.

ترمقه إستير قائلة:

- كما لا بد أنك تعلم، تشبهه قليلًا.

يبتسم آدم ابتسامة واسعة، قائلًا:

- فيما عدا أن جاك يبدو أوسم منه كثيرًا (ويردف ضاحكًا) لا يمكنكِ تصديق مدى ارتياحنا جميعًا حين تزوج غريس. على الأقل، توقفت تخيلات نساء المكتب بخصوصه، وبعض الرجال أيضًا.

يتنهد جاك تنهيدة دافئة:

- هذا يكفي يا آدم.

تستفسر إستير وتنظر نحوي:

- أنتِ لا تعملين، أليس كذلك؟

أنتبه لنبرة احتقار طفيفة تمس صوتها؛ نبرة تحتفظ بها المرأة العاملة لمن لا تعمل، وأشعر بأني مضطرة للدفاع عن نفسي.

- اعتدتُ أجواء العمل، لكنني تخليت عن وظيفتي قبل زواجنا مباشرةً.

تعبس إستير قائلة:

- حقًا! لماذا؟

يتدخل جاك:

- لم تكن تريد العمل، كانت لديها وظيفة شاقة، ولم أرغب في العودة إلى المنزل منهك القوى لأجد غريس منهكة مثلي تمامًا، ربما كنتُ أنانيًّا في طلبي منها أن تترك وظيفتها، لكنني آثرتُ أن أعود إلى المنزل للتخلص من ضغوط اليوم، بدلًا من المزيد من الانغماس فيها. اعتادَت

أن تسافر كثيرًا أيضًا، ولم أرغب في العودة إلى منزل فارغ مثلما اعتدت لسنوات عديدة.

تتساءل إستير بينما تركز عليَّ عينيها الزرقاء الشاحبة:

- ماذا كانت وظيفتك؟

- كنت موظفة مشتريات لمتاجر هارودز.

يخبرني وميض عينيها بكونها معجبة. حقيقة أنها لم تطلب مني المزيد من التفاصيل، تخبرني بأنها لن تظهِر إعجابها بعد.

تهتف ديان بلهفة:

- اعتادت السفر على الدرجة الأولى؛ تجوب جميع أنحاء العالم.

أصحح كلامها:

- ليس جميع أنحاء العالم. فقط أمريكا الجنوبية، (أضيف لصالح إستير قائلة) لقد كنت أصدِّر ثمارهم، وبخاصة من تشيلي والأرجنتين.

ينظر إليَّ روفوس بإعجاب قائلًا:

- أظنه أمرًا مثيرًا للاهتمام.

أومئ قائلة:

- أجل كان كذلك فعلًا. لقد أحببت كل دقيقة من عملي.

تقول إستير:

- تفتقدينه إذًا.

أجيبها كاذبة:

- لا، ليس للدرجة؛ لدي الكثير هنا ليبقيني مشغولة.

- وسرعان ما سيكون لديك ميلي لتعتني بها.

- ميلي مستقلة جدًّا، وعلى أي حال ستعمل معظم الوقت في ميدو جيت.

- مركز الحديقة؟

- نعم. إنها مغرمة بالنباتات والزهور، لذا فمن حظها أن تحصَّلت على الوظيفة المثالية.

- إذًا ماذا ستفعلين طيلة اليوم؟

- كما أفعل الآن، جلُّ وقتي -كما تعلمون- بين الطبخ والتنظيف والبستنة؛ عندما يسمح الطقس بهذا.

يقول جاك:

- في المرة القادمة عليكِ أن تأتي لتناول الغداء يوم الأحد، وتري الحديقة. غريس لها أنامل ماهرة في الزراعة.

تنبس إستير باستخفاف:

- يا إلهي! كل هذه المواهب. سعيدة جدًّا بحصولي على عرض من مدرسة سانت بوليكاربو، فقد كنت أشعر بالملل من طول الجلوس يوميًّا في المنزل.

- متى ستباشرين؟

- الشهر المقبل، سأحل محل مُدرِّسة في إجازة أمومة.

ألتفت إلى روفوس:

- أخبرني جاك بأن لديك حديقة ضخمة.

بينما أقدمُ المزيد من لحم «ويلينجتون» مع الخضار؛ الذي ما زال دافئًا على لوح التسخين. تتغير دفة الحديث على مائدة الطعام إلى المناظر الطبيعية بدلًا عني. بينما يضحك الجميع ويتحدثون معًا، أجد نفسي أنظر بحزن إلى النساء الأخريات، وأتساءل عما يجب أن يكون عليه الأمر حين تكون ديان أو إستير ليس لديهما شخص مثل ميلي تفكران فيه. ينتابني على الفور شعور بالذنب، لأنني أحب ميلي أكثر من الحياة نفسها ولن أبدِّلها من أجل العالم. مجرد التفكير بها يبعث العزم فيَّ من جديد، أنتصب واقفة.

- هل الجميع مستعد لتناول الحلوى؟

أنظف أنا وجاك المائدة، ثم يتبعني صوب المطبخ، حيث أضع الأطباق بترتيب في الحوض لغسلها لاحقًا، بينما يُبعِد سكين اللحم بعيدًا. أضحى طبق الحلوى الذي صنعته تحفة فنية؛ عش المارينج المثالي غير مُتكسر، يبلغ ارتفاعه ثلاث بوصات، ومليء بكريمة «ديفون» المخفوقة. أحضر الفاكهة التي أعددتها مسبقًا وأضع شرائح المانجو، والأناناس، والبابايا، والكيوي بعناية على الكريمة ثم أضيف الفراولة والتوت الأزرق. حينما ألتقط الرمان، وأحس بها في راحة يدي، أنتقل إلى مكان آخر؛ حيث دفء الشمس على وجهي وثرثرة الأصوات المتحمسة، كانت أمورًا لم آخذها في الحسبان في وقتها. أغمض عيني لفترة وجيزة، وأتذكر الحياة التي حظيت بها، مدركةً أن جاك ينتظر باسطًا إليَّ يده، أعطيه الفاكهة، يقطعها إلى نصفين، ثم أخرِج حبات الرمان بملعقة وأرشها على البقية. وهكذا يكتمل طبق الحلوى. أحمله إلى غرفة الطعام، وتصدح هتافات تحيي وصوله، تؤكد أن جاك كان على حق في اختياره بدلًا من كعك الكستناء والشوكولاتة، الذي كنت أفضِّل صنعه.

تخبر ديانا إستير قائلة بينما تلتقط ملعقتها:

- أتصدقين أن غريس لم تنل قط أي دورة في الطبخ؟

- أشعر بالرهبة من هذا الكمال، ماذا عنك؟ على الرغم من أنني لن أرتدي البيكيني الذي اشتريته أبدًا.

تردف قائلة وهي تئن وتربت على بطنها فوق فستانها الكتان الكحلي.

- لا يجدر بي تناول هذا فعلًا، فلقد حجزنا للتو سفرًا بعيدًا خلال الصيف، بيد أنه لذيذ جدًّا ولا يمكنني مقاومته!

يتساءل روفوس قائلًا:

- إلى أين ستسافران؟

يجيبه آدم:

- تايلاند، وددنا السفر لفيتنام، لكن عندما رأينا صور عطلة جاك وغريس الأخيرة في تايلاند، قررنا الاحتفاظ بفيتنام للعام المقبل.

يرمق ديان وبسمة واسعة تشق وجهه قائلًا:

- بمجرد أن شاهدَت ديان الفندق الذي أقاما فيه، أضحى هذا هو حالنا.

- ستنزل في نفس الفندق إذًا؟

- لا، لقد تم حجزه بالكامل، ولتعاسة الحظ لا نملك رفاهية أخذ إجازة في غير الوقت المحدد.

تقول إستير:

- تمتعي بها قدر الإمكان.

ثم تلتفت نحوي.

- أعتزم فعل ذلك.

يسأل آدم:

- هل ستعود إلى تايلاند هذا العام؟

يرد جاك:

- فقط إذا تمكنا من السفر قبل يونيو، وهو أمر غير مرجَّح مع قضية توماسين.

ينظر إليَّ من فوق المائدة عامدًا.

- بعد هذا، ميلي ستكون معنا.

أحبس أنفاسي، وكلي رجاء بألا يقترح أحد أنه إذا انتظرنا، سنكون قادرين على اصطحاب ميلي أيضًا.

يرفع روفوس حاجبيه متعجبًا:

- توماسين؟

- سمعت شيئًا من هذا القبيل، هل زوجته من عملائك؟

- نعم، هي كذلك.

يستغرق في التفكير:

- دينا أندرسون.

- إنها قضية مثيرة للاهتمام.

يؤيد جاك كلامه:

- إنها كذلك.

ثم يستدير صوبي ويقول:

- عزيزتي، إذا انتهى الجميع، فلم لا نُري إستير صور إجازتنا الأخيرة في تايلاند؟

يغوص عندها قلبي حزنًا. أقول له لصرف اهتمامه عن الموضوع، بنبرة صوت حيادية أتعمدها:

- أوقن بأنها لا ترغب في رؤية مقتطفات من إجازتنا.

بيد أن هذه الإشارة الطفيفة للخلاف بيننا تكفي لتجعل إستير تصيح:

- أود أن أراها!

يدفع جاك كرسيه إلى الخلف، وينتصب واقفًا. يجلب ألبوم الصور من الخزانة ويسلمه لإستير.

- إذًا أُحضِر أنا وغريس القهوة بينما أنت تتمتعين برؤية الصور. لمَ لا تذهبين لغرفة الجلوس؛ ستكونين مرتاحة أكثر هناك.

بحلول الوقت الذي نعود فيه بصينية قهوة، تتجلجل هتافات ديان معلِّقة على الصور، بينما إستير لا تنبس بالكثير. يجب أن أعترف أن الصور مذهلة، وبخاصة تلك التي تظهر فيها صوري مُسمرَّة اسمرارًا جميلًا، ونحيفة كما كنت في العشرينيات من عمري، وأرتدي واحدة من بيكينيهاتي العديدة. في معظم الصور، أقف أمام فندق فخم، أو أستلقي على شاطئه الخاص، أو أجلس في حانة أو مطعم مع كوكتيل ملون وطبق من الأطعمة الغريبة موضوع أمامي. في كل صورة، أبتسم للكاميرا، مثال لامرأة مسترخية ومدللة تحب زوجها كثيرًا. جاك شخص ينشد للكمال حينما يتعلق الأمر بالتقاط الصور، يلتقط نفس اللقطة مرارًا من غير كلل حتى يسعد بالنتيجة، لذلك تعلمت أن أجعلها صحيحة من المرة الأولى. ثمة أيضًا بعض الصور الفوتوغرافية لنا نحن الاثنين، التقطها غرباء لطفاء. تشير ديان بطريقة مغتاظة لكوننا في غالبية الصور نحدق أنا وجاك بعشق إلى بعضنا بعضًا، بدلًا من الكاميرا.

يشرع جاك في صب القهوة.

أمد يدي عرضيًا نحو علبة الشوكولاتة التي جلبتها إستير بينما أسألهم:

- هل يرغب أحدكم في تناول الشوكولاتة؟

يطرح جاك رأيه:

- أوقن أن الجميع تناول ما يكفي من الطعام؟

ثم يتطلع نحو الجميع ليتأكد من صحة مقولته، فيجيبه روفوس:

- قطعًا، لن أستطيع أكل شيء آخر.

فيما يتأوه آدم.

يبسط جاك يده ليأخذ العلبة ويقول:

- إذًا، سأرفعها بعيدًا ليوم آخر.

حينها تنتابني مشاعر الاستسلام، فلن أتذوقها مطلقًا، تهتف ديان لكي تنقذني:

- لا تجرؤ على القيام بهذا، أنا أثق في قدرتي على التهام قطعة أو اثنتين من الشوكولاتة.

يتنهد آدم وهو يهز رأسه في يأس زائف من زوجته:

- أفترض أنه لا جدوى من ذكر البيكيني.

تؤيده ديان قائلة:

- لا جدوى من أي شيء على الإطلاق.

وتأخذ قطعة شوكولاتة من العلبة التي يقدمها إليها جاك ثم يمررها لي. آخذ واحدة، وأتناولها، وأقدم العلبة لإستير. حين ترفض ألتقط قطعة أخرى قبل إعادة العلبة لديان.

تسأل ديان وهي تنظر إليَّ بدهشة:

- كيف تفعلين هذا؟

- عفوًا؟!

- تأكلين كثيرًا ولا يزيد وزنك.

أقول:

- الحظ (وأمد يدي لآخذ قطعة شوكولاتة أخرى)، والتحكم.

عندما تدق عقارب الساعة الثانية عشرة والنصف، تهم إستير بالنهوض.

في الرواق، يناول جاك المعاطف، وبينما كان يساعد ديان وإستير في ارتداء معاطفهما، أوافق على مقابلتهما في المدينة يوم الجمعة التالي في مطعم "Chez Louis" لتناول وجبة الغداء في الساعة 12:30. تعانقني ديان مودعة، وحين أصافح إستير أقول لها إنني أتطلع لرؤيتها مرة أخرى على الغداء. يقبِّلني الرجال مودعين، وحينما يهمون بالمغادرة، يشكرنا الجميع على الأمسية الرائعة. في الواقع، ثمة الكثير من «المثاليين» يحومون حول الرواق حيث يغلق جاك الباب خلفهم، لدرجة أنني أعلم أني قد انتصرت. لكنني أشعر بحاجة إلى التأكد من أن جاك يعرف ذلك أيضًا.

- نحتاج إلى أن نغادر في تمام الحادية عشرة غدًا (وألتفت صوبه)، كي نصل في الوقت المناسب لأخذ ميلي لتناول الغداء.

# الماضي

أضحت حياتي مثالية منذ ثمانية عشر شهرًا، في اليوم الذي رقص فيه جاك مع ميلي في المنتزه. بعض مما قلته لإستير كان صحيحًا، لقد رأيت جاك في المتنزه يوم الأحد السابق، لكنني لم أعتقد أنه سيكون مهتمًّا بشخص مثلي، فقد كان وسيمًا ذا حُسن استثنائي، وفي ذلك الوقت لم أكن حسنة المظهر كما أبدو الآن، ثم كانت هناك ميلي.

في بعض الأحيان، كنت أخبر الأصدقاء عنها من البداية، وأحيانًا -لو أحببتهم جدًّا- أخبرهم بأن لدي أختًا صغيرة، تقيم بعيدًا في مدرسة داخلية، ولا أذكر أمر متلازمة داون قبل أسابيع من علاقتنا. البعض كانوا لا يعرفون ما عليهم قوله حين أخبرهم، ولا يبقون معي فترة كافية لقول أي شيء على الإطلاق.

أما الآخرون فكانوا يبدون اهتمامهم ودعمهم حتى يلاقوا ميلي، عندها تتغير نظرتهم ولا يحسِنون تصنيف عفويتها فلا يعِدونها رائعة كما فعل جاك. كان ثمة اثنان من أفضل مَن تعرفتُ عليهم، وقد مكثا لفترة طويلة بعد لقائهما بميلي، غير أنهما لم يتقبلا وجودها معي، فيما هو يشكل جزءًا مهمًّا من حياتي.

كانت النقطة الحاسمة تتكرر دائمًا؛ أخبرتُ ميلي منذ البداية بأنه حين يحين وقت تركها لمدرستها الرائعة باهظة الثمن، ستأتي لتقطن معي، ولم يكن لدي أي نية لأغير خططي. ذلك يعني أنه قبل ستة أشهر من تركها المدرسة، كان علي أن أترك أليكس، الرجل الذي اعتقدت أنني سأقضي معه بقية حياتي، الرجل الذي عشت معه بسعادة بالغة لمدة عامين. لكن عندما بلغَت ميلي سن السادسة عشرة، أخذَ قُرب مجيئها يلقي بثقله عليه، ولهذا

وجدت نفسي، في الثانية والثلاثين من عمري، عزباء مرة أخرى، وشككت بقوة في أنني سأجد رجلًا يقبلنا كلتينا؛ ميلي وأنا.

في ذلك اليوم في المنتزه، لم أكن الوحيدة التي انتبهت لجاك، على الرغم من أنني ربما كنت الأكثر تحفظًا، فابتسمَت له بعضهن -وبخاصة الشابات- في محاولة للفت انتباهه، بينما كانت الفتيات المراهقات يضحكن من خلف أيديهن ويهمسن بحماس بأن عليه أن يصير نجمًا سينمائيًّا.

نظرت إليه النساء الأكبر سنًّا بتقدير كبير، ثم أزحن نظراتهن صوب رجالهن الذين كانوا يسيرون بجانبهن. حتى الرجال نظروا لجاك وهو يتمشى في المنتزه، فقد كان يتمتع بلباقة غير رسمية لا يمكن تجاهلها. الشخص الوحيد الذي ظل غافلًا عنه هي ميلي، منغمسة في لعبة الورق التي كنا نلعبها، لم يكن هناك سوى فكرة واحدة في ذهنها؛ الفوز. مثل كثيرين في ذلك اليوم في أواخر أغسطس، كنا نتنزه فوق العشب على مسافة ليست بعيدة عن منصة الفرقة الموسيقية. من زاوية عيني، رأيت جاك يتجه نحو مقعد قريب، وعندما التقط كتابًا من جيبه، حولت انتباهي مرة أخرى نحو ميلي، مصممة على ملاحظته دونَ أن أسترعي انتباهه. وبينما كانت ميلي ترتب الأوراق لدور جديد، جلست أخمن بأنه ربما كان أجنبيًّا يقضي في لندن عطلة نهاية الأسبوع مع زوجته وأطفاله، الذين كانوا يزورون بعض الآثار أو غيرها وسينضمون إليه لاحقًا. كنت قلقة من انزعاجه بسبب صرخات ميلي العالية، إذ لم يلتفت صوبي بعد ظهر ذلك اليوم. غادرنا بعد فترة وجيزة لاضطراري إلى إعادة ميلي لمدرستها بحلول الساعة السادسة، حيث نكون هناك في الوقت المناسب لتناول العشاء في السابعة. وعلى الرغم من كوني لم أعتقد بأني سأراه مرة أخرى، عاودت ذهني صورة الرجل الذي رأيته في المنتزه عدة مرات، ووجدت نفسي أتوَهم أنه غير متزوج، وبأنه لاحظني وهامَ بي حبًّا، حيث خطط للعودة إلى المنتزه يوم الأحد التالي على أمل رؤيتي مرة أخرى.

ما تخيلت رجلًا بهذه الطريقة منذ كنت مراهقة، وجعلني هذا أدرك مدى يأسي من الزواج وأن تكون لي أسرة.

ومع أنني مخلصة لميلي، صارت تراودني فكرة وجود أطفال في منزلي بحلول الوقت الذي ستأتي للعيش معي فيه، وبهذا تصير ميلي جزءًا من عائلتي بدلًا من عائلتي الوحيدة. لطالما أحببتها كثيرًا، بيد أن التفكير في تقدمنا في العمر معًا بمفردنا كان يشعرني بالرهبة. في الأسبوع التالي، في اليوم الذي كانت فيه الفرقة تعزف في المنتزه، لم أرَ جاك حين خطا صوب ميلي التي كانت ترقص منفردة أمام منصة الفرقة، وذراعاها حول شريك وهمي لا تستطيع رؤيته. في مثل هذه الأوقات، يكون من الصعب أن أتعامل مع المشاعر التي تثيرها ميلي بداخلي. أكون فخورة جدًّا بها لأنها تمكنت من إتقان الخطوات التي تؤديها، وأيضًا حريصة على حمايتها بشدة، وحين أسمع شخصًا ما يضحك خلف ظهري، أقول لنفسي إن قهقهاتهم ربما تنبع من لطفهم، وحتى لو كانت العكس، فلا يجب أن يؤثر ذلك على استمتاع ميلي بما تفعله.

سوى أن ثمة رغبة ملحة سيطرت عليَّ؛ جلبها من أمام المنصة، وإلزامها بالجلوس، كرهت نفسي إزاء ما خالجني، وللمرة الأولى وجدت نفسي أتمنى أن تكون ميلي طبيعية. ومضت الصور في ذهني، كيف يمكن أن تكون حياتنا؛ حياتي. وبنفس سرعة مسح دموع الإحباط التي اغرورقت عيناي بها، رأيت جاك شاقًّا طريقه نحو ميلي. في البداية لم أتعرف عليه، واعتقدتُ أنه سيطلب منها الجلوس، فوقفت على قدمي وكلي استعداد للتدخل. ثم حين رأيته ينحني أمامها وقد مد يده إليها، عرفتُ أنه الرجل الذي كنت أحلم به طوال الأسبوع. في الوقت الذي أعاد فيه ميلي إلى مقعدها؛ بعد رقصتين، كنت قد وقعت في حبه. سألني، مشيرًا إلى الكرسي المجاور لي:

- هل يمكنني الجلوس؟

فابتسمت بامتنان وقلت:

- نعم بالطبع.

- شكرًا لك على الرقص مع ميلي، لقد كان ذلك لطفًا كبيرًا منك.

قال بجدية:

- من دواعي سروري. ميلي راقصة بارعة.

قالت ميلي:

- رجل لطيف! مبتهجة به، جاك، جاك اللطيف.

- ينبغي أن أقدم نفسي فعلًا تقديمًا لائقًا.

مد يده قائلًا:

- جاك أنجيل.

قلت بينما أصافحه:

- غريس هارينجتون. ميلي أختي. هل أنتَ هنا في عطلة؟

- لا. أقطن هنا.

انتظرت منه أن يضيف «مع زوجتي وأولادي»، لكنه لم يقل شيئًا، لذلك خطفت نظرة صوب يده اليسرى، وحين لمحتها بلا خاتم زواج، اجتاحتني دفعة من الارتياح، فاضطررت حينها لأن أذكِّر نفسي بأن ذلك لا يعني شيئًا.

- ماذا عنكِ؟ هل أنت وميلي في زيارة للندن؟

- ليس تمامًا. أعيش في ويمبلدون، لكنني غالبًا أجلب ميلي إلى هنا في عطلات نهاية الأسبوع.

- هل تعيش معك؟

- لا، تكون في مدرستها طيلة أيام الأسبوع. وأحاول رؤيتها في عطلات نهاية الأسبوع، لكن لأنني أسافر كثيرًا في رحلات عملي، لا يكون الأمر متاحًا دائمًا. ومن حظي أن لديها مساعدًا رائعًا، يظل معها حين لا أستطيع الوجود معها، ووالداي كذلك بالطبع.

- يبدو عملك مشوقًا. أيمكنني أن أسأل ماذا تعملين؟

- أشتري الفاكهة.

رمقني بنظرة تساؤل.

- لهارودز.

- والسفر؟

- أصدِّر الفاكهة من الأرجنتين وتشيلي، ماذا عنك؟

- إنني محامٍ.

غشي ميلي الملل من حديثنا، شدت ذراعي قائلة:

- مشروب يا غريس، وآيس كريم.

ابتسمت بسمة اعتذار لجاك وقلت:

- أخشى أنه يتحتم علي الذهاب. شكرًا لك مرة أخرى على الرقص مع ميلي.

- هلا يمكنني اصطحابك أنت وميلي لاحتساء الشاي؟

تقدم منحنيًا صوب ميلي، ليلقي عليها نظرة، حيث كانت جالسة على الجانب الآخر مني.

- ما رأيك يا ميلي؟ أتودين بعض الشاي؟

قالت ميلي وبسمة واسعة تشع منها:

- عصير، عصير. لا أحب الشاي.

قال وهو ينتصب واقفًا:

- العصير إذًا.



- هيا بنا لنذهب؟

اعترضت:

- لا، لقد كنت لطيفًا جدًّا بالفعل.

- من فضلكِ أود هذا.

التفتَ إلى ميلي، وقال:



- أتحبين الكعك يا ميلي؟

أومأت ميلي بحماس:

- أجل، كعكة الحب.

- فهو كذلك إذًا.

مشينا في المنتزه صوب المطعم، بينما كنت أنا وميلي نمسك بأيدي بعضنا بعضًا، مشى جاك بجانبنا.

بعد ساعة ودعنا بعضنا، ووافقت على مقابلته مساء الخميس التالي لتناول العشاء، وسرعان ما أصبح شخصًا أساسيًّا في حياتي. فلم يكن من الصعب الوقوع في حبه. وجدت في حركاته التقليدية شيئًا منعشًا؛ يفتح لي الأبواب، ويساعدني في ارتداء معطفي، ويرسل إليَّ الزهور. جعلني أشعر بأنني مميزة، وغالية، وأفضل من الكل، لقد أحب ميلي. وحينما مضت نحو ثلاثة أشهر على علاقتنا، سألني عما إذا كنت سأعرِّفه على والديَّ. فاجأني قليلًا بطلبه، كنت قد أخبرته قبلها، ليست علاقتي وثيقة بهما. لقد كذبت على إستير، فلم يكن والداي يريدان طفلًا آخر، وحين أنجبا ميلي لم يرغبا بها. غير أني حين كنتُ طفلة، ألححتُ عليهما كثيرًا لكي يمنحاني أخًا أو أختًا، لدرجة أنهما جلسا معي ذات يوم وأخبراني بصراحة شديدة بعدم رغبتهما في إنجاب طفل على الإطلاق. لذلك حين اكتشفَت والدتي -بعد نحو عشر سنوات- أنها حامل، أصيبت بالرعب. حينما سمعتها تناقش مخاطر الإجهاض المتأخر مع والدي، أدركت أنها تتوقع ولادة طفل عما قريب، فاجتاحني الغضب آنذاك لأنهما كانا يفكران في التخلص من الأخ الصغير أو الأخت التي لطالما رغبت في وجودها.

تجادلنا حول هذا الشأن، ثم وضحا لي أن والدتي تبلغ من العمر ستة وأربعين عامًا، وأن الحمل في هذا العمر محفوف بالمخاطر؛ أحدثتُ جلبة حول إجهاضها في الشهر الخامس، حيث عددتُ الإجراء غير قانوني، بل وخطيئة مميتة، وكان كلاهما كاثوليكيَين، لذا بفضل الرب وبسبب إصراري على جعلها تشعر بالجرم، غيَّرَت رأيها، وامتنعت عن الإجهاض على مضض.

حين وُلدت ميلي وشُخِّصت بمتلازمة داون -بالإضافة إلى صعوبات أخرى- لم أستطع فهم رفض والديَّ لها. لقد أحببتها على الفور ورأيتها لا تختلف عن أي طفل آخر، غير أن والدتي أُصيبت باكتئاب شديد، فتوليتُ رعاية ميلي اليومية؛ إطعامها وتغيير حفاضتها قبل ذهابي إلى المدرسة،

وعند العودة وقت الغداء كنت أقوم بتكرار ما قمت به في الصباح. وحين بلغَت ثلاثة أشهر، أخبرني والداي بأنهما سيتخلصان منها لشخص راغب في التبني ثم ينتقلان إلى نيوزيلندا، حيث يعيش جدي وجدتي لأمي، وهو أمر لطالما قالا إنهما سيفعلانه.

قلبت الدنيا رأسًا على عقب، وبينت لهما أنه من المُحال عرضها للتبني، حيث سأبقى في المنزل وأعتني بها عوضًا عن الالتحاق بالجامعة.

بيد أنهما لم ينصتا لي، واستهلا إجراءات التبني. وقتها أخذت جرعة دواء زائدة؛ لقد كان أمرًا غبيًّا، محاولة طفولية لأجعلهما يدركان مدى جديتي، ولسبب ما نجحَت طريقتي. كنت في الثامنة عشرة من عمري، وبمساعدة العديد من الاختصاصيين الاجتماعيين، تم الاتفاق على أن أكون مسؤول الرعاية الرئيسي لميلي، وأن أربيها بصورة مميزة فعالة، مع الدعم المادي من والدي.

بدأتُ بتؤدة وتأنٍّ، خطوة وراء خطوة. حتى عثرتُ على مكان لميلي في حضانة محلية، فبدأت العمل بدوام جزئي. كانت وظيفتي الأولى هي العمل في قسم الفاكهة لسلسلة متاجر للأغذية والبضائع.

في سن الحادية عشرة، عُرض على ميلي مكان في مدرسة ما، غير أنني لم أجدها أفضل من المعهد، ارتعتُ وقتها، وأبلغتُ والديَّ بأنني سأجد لها مكانًا أفضل. أمضيتُ معها الساعات والساعات كي أعلمها كيف تعتمد على نفسها، غير موقنة بأنها ستستطيع ذلك، وشعرت أن افتقارها إلى المهارات اللغوية يجعل من الصعب عليها أن تندمج مع الآخرين، ليس لنقص في ذكائها. كابدتُ في معركة طويلة وصعبة لكي أجد مدرسة عادية ترغب في ضم ميلي، ثم التقيتُ بمديرة مدرسة لها تفكير متقدم ومنفتح، وافقَت على انضمام ميلي، حيث تصادف أن أخاها مصاب بمتلازمة داون أيضًا.

كانت المدرسة الداخلية الخاصة بالفتيات مثالية لميلي، إلا أنها باهظة الثمن، ولأن والديَّ لا يستطيعان سداد مصروفاتها، أخبرتهما بأنني سأتولى الأمر بنفسي. حينها شرعتُ في إرسال سيرتي الذاتية للعديد من الشركات،

مع خطاب يشرح بالضبط لمَ أحتاج إلى وظيفة ذات دخل ممتاز، ثم تحققَت غايتي؛ وظيفة في محل هارودز. عندها أصبح السفر جزءًا من عملي، الأمر الذي جعلني أجد الفرصة للحصول على الحرية المطلقة، ولم يستطع والداي قضاء الوقت مع ميلي في المنزل في غيابي خلال عطلة نهاية الأسبوع، لكنهما كانا يزورانها في المدرسة، وكانت جانيس، مسؤولة الرعاية الخاصة بميلي، تعتني بها لبقية الوقت.

لاحت في الأفق مشكلة أخرى؛ أين ستذهب ميلي عند انتهائها من الدراسة؟ وعَدتُ والديَّ بأن تقطن ميلي معي وقتها، ومنذ ذلك الحين بدآ يسعيان للهجرة إلى نيوزيلندا ويحصيان الأيام. لم أعتب عليهما، فقد كانا يُحبانا بطريقتهما الخاصة، وكُنا أيضًا نبادلهما نفس الشعور، غير أنهما من النوع الذي لا يناسبه إنجاب الأطفال على الإطلاق. ولأن جاك كان مصممًا على اللقاء بهما، اتصلتُ بوالدتي وسألتها عما إذا كان بإمكاننا النزول لديهما يوم الأحد المقبل.

كان هذا في نهاية نوفمبر، فاصطحبنا ميلي معنا، وتلاقينا من غير أحضان، سوى أنني لمحتُ أن إعجاب والدتي بأخلاق جاك لا تشوبه شائبة، كما ابتهج والدي حيال اهتمام جاك بالطبعات الأولى من مجموعته.

غادرنا بعد الغداء بقليل، وحلَّ وقت الظهيرة عندما أوصلنا ميلي لمدرستها. أردت العودة إلى المنزل، إذ شعرتُ بتأخر الوقت وبأن طاقتي قد استُنفدَت قبل سفري للأرجنتين نهاية ذلك الأسبوع، سوى أنني حينما اقترح جاك التمشية وافقتُه مباشرة، ريثما يلقي الظلام سدوله على منتزه ريجنت. بيد أني لم أكن أتطلع بعيدًا هذه المرة، فمنذ قابلتُ جاك، صارت خيبة الأمل تراودني من كثرة سفرياتي، حيث تكوَّن لدي انطباعًا بأننا بالكاد نقضي الوقت معًا. وحين نلتقي نكون غالبًا مع مجموعة أصدقاء، أو مع ميلي.

بعد برهة من المشي سألته:

- ما رأيك في والديَّ؟

ابتسم قائلًا:

- لقد كانا رائعَين.

اكفهر وجهي من اختياره لهذه الكلمات، قلت:

- ماذا تعني؟

- لقد كانا تمامًا كما رجوت.

رمقتُه بنظرة خاطفة، وعلامة استفهام تكسو وجهي، متسائلة ما إذا كان يسخر مني، إذ لم يرحب به والداي ترحيبًا بالغًا. غير أنني تذكرت حديثه عن والديه اللذين توفيا قبل عدة سنوات، كانا بعيدين تمام البعد عنه، ولهذا حسبتُ أن ابتعاد والديه عنه تمامًا هو سبب تقديره لاستقبال والديَّ الفاتر بوضوح. مشينا لمسافة طويلة، وعندما وصلنا إلى منصة الفرقة حيث رقصَ جاك مع ميلي، جذبني مستفسرًا:

- غريس، هل تقبلين مع عظيم الشرف لي، أن تتزوجيني؟

كان اقتراحه مباغتًا لي، لدرجة أن ردة فعلي الأولى كانت الاعتقاد بأن الأمر محض دعابة. على الرغم من أنني كنت أملك أملًا سرّيًا بأن تنتهي علاقتنا بالزواج ذات يوم، فإنني تخيلتُ حدوث ذلك بعد عام أو عامين. ربما أحس جاك بترددي، فسحبني بين ذراعيه.

- عرفت منذ اللحظة التي رأيتك فيها جالسة على العشب هناك مع ميلي، أنك المرأة التي كنت أنتظرها طوال حياتي. لا أريد الانتظار أكثر من هذا حتى تصبحي زوجتي. وحين طلبتُ لقاء والديك، كنت أرغب في أن يبارك لنا والدُك الزواج، وقد أسعدني بموافقته.

لم أشعر بالبهجة، فوالدي وافق بسهولة على الزواج بشخص التقى به للتو ولم يعرف عنه شيئًا.

حين كنت بين أحضانه، ارتعبت من نشوة السعادة التي اختلطت بقلق مزعج، واكتسحت مشاعري إزاء طلبه يدي للزواج. وكان السبب وراء هذا الارتباك هو أختي ميلي، تحدث جاك مرة أخرى.

- قبل أن تجيبيني يا غريس، ثمة أمر أود أن أخبرك به.

ارتسمت ملامح الجدية القاتمة على محياه، فحسبت أنه سيعترف بوجود زوجة سابقة، أو طفل، أو مرض رهيب.

- أريدك أن تعرفي أنه أينما سنسكن، سيكون هنالك دائمًا مكان لميلي.

قلت له والدموع تذرف من عيني:

- لا تعرف ما يعنيه لي أن أسمعك تقول هذا الكلام، شكرًا لك.

- هل تتزوجينني؟

- أجل، قطعًا سأتزوجك.

أخرج خاتمًا من جيبه وأخذ يدي بيده، وألبسني الخاتم.

تمتم قائلًا:

- متى؟

- وقتما تشاء.

ثم قلت بينما أحدق إلى الماسة الجميلة:

- جاك، إنها فاتنة!

- يسعدني أنها راقت لك، ماذا عن الزواج في شهر مارس؟

انفجرت ضاحكة:

- مارس؟! كيف سنتمكن من تنظيم حفل زفاف في مثل هذا الوقت القصير؟

- لن يكون الأمر بهذه الصعوبة. في ذهني مكان مناسب لحفلة الاستقبال، في منتزه كرانلي في بلدة هيكليسكومب؛ هناك منزل ريفي خاص يملكه أحد أصدقائي، وعادة يقيم حفلات الزفاف فيه لأفراد أسرته فحسب، بيد أنني أعلم أنه سيحتفي بنا.

قلت بسرور:

- تبدو فكرة باهرة.

- ما دمتِ لا ترغبين في دعوة الكثير من الناس.

- لا، والداي وبعض الأصدقاء فحسب.

- حسنًا حُسم الأمر إذًا.

بعد قليل، وبينما يقود السيارة سألني فيما إذا كان من الممكن أن نذهب لاحتساء بعض الشراب معًا مساء اليوم التالي، حيث كان يرغب في مناقشة بعض الأمور معي قبل مغادرتي إلى الأرجنتين يوم الأربعاء. عرضتُ عليه قائلة:

- يمكنك أن تدخل معي الآن، لو رغبت.
- أخشى أنه يتعين علي أن أعود إلى المنزل، فلدي عمل مبكر في الغد.

فلم يسعني إلا الشعور بالخيبة. ولاحظ هذا قائلًا:

- لا أتوق لشيء أكثر من قضاء الليلة معك، غير أنه لدي بعض الملفات التي أحتاج إلى مراجعتها الليلة.

تذمرت قائلة:

- لا أصدق أنني وافقت على الزواج بشخص لم أضطجع معه إلى الآن.
- إذًا ماذا عن قضاء بضعة أيام بعيدًا خلال عطلة نهاية الأسبوع بعد عودتك من الأرجنتين؟ سنصطحب ميلي لتناول الغداء، وبعد أن نعيدها إلى المدرسة سنزور منتزه كرانلي ونجد فندقًا في جنبات البلدة نهنأ فيه لليلة، ما رأيك بهذا؟

أومأت برأسي بامتنان:

- جيد.
- أين سألتقي بك مساء الغد؟
- ماذا عن الحانة في كونوت؟
- إذا ذهبتُ إليها مباشرة بعد العمل، يمكنني أن أكون هناك في نحو الساعة السابعة.
- ممتاز.

قضيت معظم اليوم التالي أتساءل لِمَ يرغب جاك في التحدث معي قبل سفري للأرجنتين. لم يخطر ببالي قط أنه سيطلب مني التخلي عن وظيفتي أو يُعرب عن رغبته في مغادرة لندن. افترضت أنه بمجرد زواجنا سنواصل

حياتنا كما كنا، باستثناء أننا سنعيش معًا في شقته التي تحتل مكانًا مركزيًا. تخبطت بسبب مقترحاته، وحين رأى مدى صدمتي، أخذ يشرح لي مشيرًا لما حدث خلال اليوم السابق، أنه في الأشهر الثلاثة التي قضيناها معًا منذ تعارفنا، لم نقضِ أي وقت معًا.

سألني:

- ما الفائدة من الزواج إذا لم نلتقِ معًا؟ لا يمكننا الاستمرار على هذا النحو، والأهم أنني لا أريد لنا ذلك، فثمة أمور يتحتم علينا تركها لأجل الأهم، كما أرغب في إنجاب الأطفال عاجلًا وليس آجلًا...

ثم توقف عن الحديث لبرهة ثم قال:

- ترغبين في إنجاب أطفال، أليس كذلك؟

ابتسمت وقلت:

- بلى يا جاك، بالطبع أرغب في الإنجاب.

أخذ يدي في يده قائلًا:

- هذا يبعث فيَّ الراحة تمامًا. في المرة الأولى التي رأيتك فيها مع ميلي، عرفت أنك ستكونين أمًّا رائعة. آمل ألا أنتظر طويلًا حتى تجعليني أبًا.

غمرتني رغبة مفاجئة في إنجاب طفل له، ألجمني حديثه فلم أتمكن من الرد عليه.

أردف بتردد:

- لكن ربما تفضلين الانتظار لبضع سنوات.

عثرت على صوتي فهمست قائلة:

- الأمر ليس كذلك، كل ما هنالك أنني لا أرى كيف أستطيع أن أتخلى عن وظيفتي، لا سيما وميلي لا تزال في المدرسة. فأنا من أقوم بسداد المصروفات، لذا ليس بمقدوري ترك الوظيفة لمدة عام ونصف على الأقل.

فقال بحزم:

- لا شك أنك ستعملين لمدة ثمانية عشر شهرًا أخرى. ويمكن لميلي العيش معنا بمجرد عودتنا من شهر العسل.

نظرت إليه وشعور بالذنب يكتنفني.

- بقدر ما أحب ميلي، أود حقًّا أن نقضي بعض الوقت بمفردنا قبل مجيئها للعيش معنا، وهي سعيدة للغاية في المدرسة، ويبدو لي من العار أن أخرجها من المدرسة قبل انتهائها بسنة (فكرت لبرهة)، هل يمكننا أن نتحدث مع المدرسين لنعرف رأيهم في هذا الأمر؟

- بالطبع، أو وربما ينبغي أن نسأل ميلي عن رغبتها. أنا على سبيل المثال، سأكون سعيدًا لو اختارت الانتقال للعيش معنا في الحال. لكن إذا اعتقد الجميع أنه من الأفضل تركها حيث هي في الوقت الحاضر، فأنا مُصِر على دفع المصروفات. فقبل كل شيء، ستكون أختي عما قريب.

أخذ يدي بيده وأكمل قائلًا:

- عديني أنك ستسمحين لي بمساندتك.

رفعت نظري إليه وقد خارت قواي تمامًا:

- لا أعرف ماذا أقول.

- لا تقولي شيئًا، كل ما عليك فعله أن تعيدي التفكير في رفع خطاب طلب استقالة. بالمناسبة، ما مواصفات المنزل الذي ترغبين في سكناه؟ أريد أن أعرف لأني -لو سمحتِ لي- أرغب في شراء منزل أحلامك ليكون هدية الزفاف.

اعترفت:

- لم أفكر في هذا الأمر.

- حسنًا، فكري فيه الآن، فهو مهم جدًّا. أترغبين في حديقة كبيرة، وحمام سباحة، والكثير من غرف النوم؟

- حديقة كبيرة، بالتأكيد. لست مهتمة بحمام السباحة، وفيما يتعلق بعدد غرف النوم، فالأمر كله يعتمد على عدد الأطفال الذين سننجبهم.

قال مبتسمًا:

- كثير جدًّا.

- أرغب في السكن في «سوري»، بالقرب من لندن، لكي يكون التنقل سهلًا كل يوم. ما رأيك؟

- في أي مكان، ما دمتِ ستكونين سعيدة.

- ماذا عنك؟ ما مواصفات المنزل الذي تريده؟

- أود أن يكون بالقرب من بلدة جميلة، لكن بعيدة عن الصخب والضوضاء. ومثلك؛ أتوق أن يكون لدي حديقة كبيرة، وأُفضِّل أن تكون محاطة بأسوار عالية بحيث لا يمكن لأحد رؤيتها. وأرغب في غرفة مكتب وقبو لتخزين الأغراض. هذا كل ما أريده فعلًا.

أضفت قائلة:

- أرغب في مطبخ جميل يفضي لشرفة نتناول فيها الإفطار كل صباح، ومدفأة ضخمة في غرفة الجلوس حيث يمكن أن يكون لدينا حطب حقيقي. وغرفة نوم صفراء اللون من أجل ميلي.

اقترح جاك:

- لِمَ لا نرسم منزل أحلامنا؟ (وأخرج ورقة من حقيبته) ليكون ثمة شيء أعمل عليه.

في غضون ساعتين أوقف لي سيارة أجرة ورسم رسمة لمنزل بديع، مع حدائق ذات مناظر طبيعية، وشرفة، وثلاث غرف استقبال، ومدفأة، ومطبخ، وحجرة مكتب، وخمس غرف نوم -بما في ذلك غرفة صفراء لميلي- وثلاثة حمامات، ونافذة صغيرة مستديرة في السطح. ضحكت قائلة:

- أتحداك أن تجد مثل هذا المنزل حالما أرجع من الأرجنتين.

وعدني قبل أن يطبع على خدي قبلة:

- سأبذل قصارى جهدي.

مرت الأسابيع القليلة التالية في زوبعة من الفوضى. حينما عدت من الأرجنتين، سلمت خطاب الاستقالة، وعرضت منزلي في سوق العقارات.

استنفدت وقتي هناك في التفكير مليًّا في جميع الأمور، ولم أشك قط في أنني سأفعل الشيء الصحيح، ما دام يوافق ما طلبه جاك.

كنت موقنة بأنني أرغب في الزواج به، وفكرة أنني حالما يحين الربيع القادم سأعيش في منزل جميل في البلدة، مع توقع مولودنا الأول، أفعمتني الإثارة. لقد مكثت أعمل بلا توقف لمدة ثلاثة عشر عامًا وكانت ثمة أوقات تساءلت فيها عما إذا كنت سأتمكن من الخروج من هذا المسار المتسارع، ولأنني كنت أعرف أنه بمجرد أن تسكن ميلي معي لن يعود بمقدوري السفر كما كنت، أو العمل لساعات طويلة كالتي كنت أعملها أحيانًا.

كنت قلقة حيال نوع الوظيفة التي سينتهي بي المطاف فيها. بغتة، اختفت كل مخاوفي، وحينما اخترت دعوات الزفاف لأرسلها لأصدقائي وعائلتي، شعرت أنني أكثر شخص محظوظ في العالم.



# الحاضر

يلج جاك -شديد الدقة كالعادة- إلى غرفة النوم في الساعة العاشرة والنصف صباحًا، ويخبرني بأننا سنغادر في تمام الساعة الحادية عشرة. لست قلقة من أنني لن أكون جاهزة في الوقت المناسب. لقد استحممت بالفعل، لذا فإن ثلاثين دقيقة هي مدة كافية لأرتدي ملابسي وأضع مساحيق التجميل. متحمسة جدًّا منذ أن استيقظت في الثامنة، وبالكاد أصدق أنني سأرى ميلي قريبًا، لذا كان الاستحمام خيارًا مناسبًا لأهدأ قليلًا. بحذر دائم، أذكر نفسي أن أي شيء وارد الحدوث. ومع هذا، لا يُظهِر الوجه الذي أقابل به جاك شيئًا من اضطراباتي الداخلية؛ وجه هادئ ومتماسك، وبينما يرجع خطوة إلى الوراء ليسمح لي بالمرور، أبدو مجرد شابة عادية على وشك الخروج لقضاء يوم بالخارج.

يتبعني جاك لغرفة النوم المجاورة، حيث أعلق ملابسي. أذهب إلى خزانة الملابس الضخمة التي تمتد بطول الجدار، وأزيح الباب المكسو بمرآة كبيرة، أسحب أحد الأدراج وأختار حمالة الصدر ذات اللون الكريمي والملابس الداخلية المطابقة التي اشتراها لي جاك الأسبوع الفائت. في درج آخر أجد بعض الجوارب النسائية الملونة التي تعلو الركبة وتطابق اللون نفسه والتي أفضلها على الجوارب الطويلة. يتتبعني جاك بنظراته من حيث يجلس على الكرسي فيما أخلع بيجامتي وأرتدي ملابسي الداخلية وجوربيَّ. أعود إلى الباب المجاور وأقف لبرهة، أنظر إلى جميع الملابس المرصوصة بدقة طبقًا لألوانها. لم أرتدِ فستاني الأزرق منذ مدة طويلة، إنه الفستان الذي تحبه ميلي لاقترابه من لون عينيَّ. أخرجه من خزانة الملابس.

يقول جاك:

- ارتدي الثوب الكريمي.

إنه يفضِّل رؤيتي في ألوان محايدة، لذا أعيد الثوب الأزرق وأرتدي الكريمي.

تُخزَّن أحذيتي في صناديق شفافة على أرفف في الجزء الآخر من خزانة الملابس. أختار زوجين من الأحذية البيج ذات الكعب العالي. نظرًا لأننا كثيرًا ما نذهب في نزهة بعد الغداء، تكون الأحذية التي بلا كعب أكثر عملية، لكن جاك يحب أن يراني أنيقة في جميع الأوقات، سواء كنا نتجول حول بحيرة أو نتناول العشاء مع الأصدقاء. أنتعلها، وآخذ حقيبة مناسبة من الرف وأعطيها لجاك. أسير صوب منضدة التزيين وأجلس.

لا يستغرق مني وضع المساحيق وقتًا طويلًا؛ القليل من قلم تحديد العين، ورشات من بودرة الخدود، والقليل أيضًا من أحمر الشفاه. لا تزال هناك خمس عشرة دقيقة متبقية أمامي، أقرر خلالها طلاء أظفاري. أختار لونًا ورديًا جميلًا من العبوات المختلفة المصفوفة على الخزانة، أتمنى لو أن بمقدوري أخذه مع طلاء الأظفار لميلي، الشيء الذي أعرف أنها ستحبه. عندما يجف، أقف وآخذ حقيبتي من جاك وأنزل إلى الطابق السفلي. يسألني فيما نمضي إلى الردهة:

- ما المعطف الذي ترغبين في ارتدائه؟

- معطفي الصوف البيج، على ما أظن.

يحضره من خزانة المعاطف ويساعدني على ارتدائه. أزرر المعطف وأعدل جيوبه، بينما أحدق إلى جاك. يفتح الباب الأمامي، وبمجرد أن أوصده خلفنا، أتبعه إلى السيارة.

على الرغم من أننا في نهاية شهر مارس تقريبًا، فإن الهواء بارد. تدفعني غريزتي إلى استنشاقه بقوة. بدلًا من ذلك، أذكِّر نفسي أن أمامي يومًا كاملًا، وأسعد بهذه الفكرة. لقد كان الاقتناع بالقيام بهذه الرحلة أمرًا عسيرًا، لذا أعتزم تحقيق أقصى استفادة منها. عندما نصل إلى السيارة، يستخدم جاك جهاز التحكم عن بعد، تنفتح البوابات السوداء الضخمة أمام منزلنا. يمشي

صوب الجهة المقابلة لمقعده ليفتح لي الباب. أركب، ثمة رجل يركض أمام المنزل وينظر نحونا عبر البوابات، لا أعرفه، لكن جاك يتمنى له صباحًا سعيدًا -إما لأنه ينفث أنفاسه لدرجة لا تسمح له بالحديث، أو لأنه يوفر طاقته لاستكمال الركض- يلوِّح الرجل مرحبًا بيده. يغلق جاك الباب خلفي، وبعد أقل من دقيقة نخرج من البوابة. بينما تصطك خلفنا، أدير رأسي لألقي نظرة على المنزل الجميل الذي اشتراه جاك لأجلي، لأنني أحب أن أراه كما يراه الآخرون.

تبدأ رحلتنا إلى لندن، وبينما نسير في الطريق، يعود بي ذهني إلى حفل العشاء الذي أقمناه الليلة الماضية. لا يزال الأمر لغزًا بالنسبة إلي؛ تمكنت من القيام بكل ما يتحتم علي فعله، على الرغم من وجود أمور كثيرة كان يمكن أن تسوء.

- كان السوفليه الذي أعددتِه رائعًا.

يقول جاك ذلك ليخبرني بأنني لست الوحيدة التي أفكر في الأمسية الفائتة.

- لقد كان ذكاء منكِ أن تتوقعي تأخرهم في الوصول وأن تضعي ذلك في الحسبان، أبليتِ بلاء بارعًا بحق. غير أنك لا تروقين كثيرًا لإستير، أتساءل لماذا؟

أعلم أنه يجب عليَّ أن أختار الكلمات بعناية. أقول:

- إنها لا تقدِّر الكمال.

يسعده هذا النوع من الإجابات. يبدأ في ترديد بعض الألحان، أتأمل المناظر الطبيعية العابرة بينما أجد نفسي أفكر في إستير. في ظروف أخرى، لربما كنت أحببتها، لكن ذكاءها الذي لا مواربة فيه يجعلها خطرة على شخص مثلي. ليس الأمر أنها لا تقدِّر الكمال، كما اعتقدت في البداية، إنها فقط تشك في الأمر.

يستغرق الوصول لمدرسة ميلي قرابة ساعة. أقضي الوقت في التفكير في دينا أندرسون، عميلة جاك. لا أعرف الكثير عنها باستثناء حقيقة أنها تزوجت مؤخرًا من رجل ثري مقبل على المشاريع الخيرية، يحظى باحترام كبير لعمله مع جمعيات خيرية مختلفة، وبذلك لا يكون مرشحًا محتملًا في قضايا العنف ضد الزوجات. مع هذا، فأنا أعرف جيدًا كيف يمكن أن تكون المظاهر خادعة، وإذا كان جاك قد وافق على التعامل معها كعميلة، فلا بد أن يكون لديها حجة قوية جدًّا. الخسارة ليست كلمة موجودة في قاموس جاك، شيء لم يتوقف عن تذكيري به.

لم نرَ ميلي منذ شهر، لذا تنتظر رؤيتي بفارغ الصبر على مقعد خارج البوابة الأمامية. ترتدي قبعة ووشاحًا أصفر -لونها المفضل- وتجلس مع جانيس، مسؤولة الرعاية الخاصة بها. عندما أخرج من السيارة، تندفع نحوي، وعيناها تلمعان بدموع الارتياح، وبينما أعانقها بشدة، أدرك أن جاك يراقبنا. تنضم إلينا جانيس وأسمع جاك يخبرها بأنه على الرغم من علمنا بأن ميلي قد تصاب بخيبة أمل، لم نجرؤ على المجيء لرؤيتها حتى أتعافى تمامًا من نوبة الإنفلونزا التي أنهكتني. تُطمئنه جانيس بأننا فعلنا الصواب، مضيفة أنها شرحت لميلي سبب تأخرنا في الحضور.

لكنها تضيف:

- سوى أن الأمر كان صعبًا جدًّا عليها؛ إنها تعشقكما.

يقول جاك، مبتسمًا باعتزاز لميلي:

- ونحن نحبها.
- قولي مرحبًا لجاك، ميلي.

أذكِّرها بهدوء، فتزيل وشاحها وتدير نفسها نحو جاك. تقول:

- مرحبًا جاك (وتمنحه ابتسامة كبيرة). أنا سعيدة لرؤيتك.

يقول وهو يقبِّل خدها:

- وسعيد جدًّا برؤيتك أيضًا. أنت تتفهمين لماذا لم نتمكن من القدوم قبل الآن، أليس كذلك؟

تومئ ميلي برأسها:

- نعم، غريس المسكينة كانت مريضة. لكنها أفضل الآن.

يوافق جاك على ذلك:

- أفضل بكثير. لدي شيء لك يا ميلي، لكونك صبورة للغاية (يضع يده في جيب معطفه). أيمكنكِ تخمين ما هو؟

- أجاثا كريستي؟

تلمع عيناها البنيتان بسرور، حيث لا يوجد شيء تحبه أكثر من الاستماع إلى الألغاز المتعلقة بالجرائم.

- إنكِ فعلًا فتاة ذكية.

يُخرِج كتابًا صوتيًّا من جيبه ويقول:

- لا أعتقد أنكِ حصلتِ على رواية " *ثم لم يبقَ أحد*"، أليس كذلك؟

تهز رأسها بالإيجاب.

تقول جانيس مبتسمة:

- إنها واحدة من الروايات المفضلة لدي. هل نبدؤها الليلة يا ميلي؟

تومئ ميلي برأسها:

- نعم. شكرًا لك يا جاك.

يقول لها جاك:

- إنه لمن دواعي سروري. والآن سأصطحب سيدتيَّ الأثيرتين لتناول الغداء. أين تودين الذهاب؟

تهتف ميلي على الفور:

- الفندق.

أعرف لماذا اختارت الفندق، تمامًا كما أعرف سبب رفض جاك.

- لِمَ لا نذهب إلى المطعم بجانب البحيرة؟ (يقولها كما لو أنها لم تتكلم) أم ذلك الذي يقدم فطائر البان كيك اللذيذة؟ (يتغير وجه ميلي) أيهما تفضلين؟

تتمتم بينما يرفرف شعرها الداكن أمام وجهها:

- البحيرة.

لم تتحدث ميلي كثيرًا في الطريق. تريدني أن أجلس معها في المقعد الخلفي للسيارة، غير أن جاك يخبرها بأنه سيشعر كما لو كان سائق سيارة أجرة.

عندما نصل للمطعم، يجد جاك موقفًا للسيارة، ويأخذ بيدينا بينما نعبر الطريق، حتى نكون على جانبيه. يحيينا طاقم المطعم مثل الأصدقاء القدامى لأننا غالبًا ما نُحضِر ميلي هنا. يرشدوننا إلى طاولة مستديرة في الزاوية، تلك التي يحبها جاك بجوار النافذة. نجلس كما نفعل دائمًا، يواجه جاك النافذة، وميلي وأنا جالستان على جانبيه. في أثناء تصفحنا لقوائم الطعام، أمدد ساقي تحت الطاولة أبحث عن ساقها، الحركة السرية الخاصة بنا.

يتبادل جاك الحديث مع ميلي في أثناء تناول الطعام، ويشجعها على الحديث، يسألها عما فعلته خلال عطلات نهاية الأسبوع عندما لم نأتِ لرؤيتها.

تخبرنا بأنها في مرة من المرات ذهبت مع جانيس لمنزلها لتناول الغداء، وفي مرة أخرى أخذتها لاحتساء الشاي بعد الظهيرة، وفي مرة دعتهما صديقتها بايج لمنزلها. وللمرة الأولى أشكر الرب أن ميلي لديها شخص مثل جانيس يكون موجودًا حين لا يمكنني أن أكون معها.

تتساءل ميلي حالما ننتهي من الغداء:

- أيمكننا أن نتمشى يا غريس؟ حول البحيرة.

- نعم، بالطبع.

أطوي منديلي بعناية وأضعه على الطاولة، وأتعمد ألا أسرع في حركاتي.

- هل نذهب الآن؟

يدفع جاك كرسيه للخلف.

- سآتي أيضًا.

على الرغم من أنني لم أتوقع أي شيء غير هذا، لا يزال هناك شعور بخيبة أمل ساحقة.

تحذره ميلي قائلة:

- سوف نمشي حول البحيرة بأكملها.

يحتج جاك:

- ليس بأكملها؛ الجو بارد جدًّا ولا يمكنك البقاء في الخارج لفترة طويلة.

تقول له ميلي:

- إذًا ابق هنا يا جاك. سأذهب مع غريس.

يقول جاك:

- لا، سنمضي معًا.

ترمق ميلي جاك بجدية عبر المائدة وتقول:

- أنا معجبة بك يا جاك، لكني لا أحب حين تتصرف مثل جورج كووني.

- أعلم. (يومئ جاك برأسه) لا أحبه أيضًا.

تقول ميلي:

- إنه قبيح.

يؤيدها جاك:

- نعم، إنه قبيح جدًّا.

تنفجر ميلي في نوبات من الضحك.

نتجول لبرهة حول البحيرة، يمشي جاك بيني وبين ميلي. يخبر ميلي بأنه مشغول في تجهيز غرفتها التي ستحل فيها حينما تأتي لتسكن معنا، وحين تسأله عما إذا كانت ستكون باللون الأصفر، يجيبها: «بالطبع».

كان جاك محقًّا؛ فالجو قارص بحيث لا يمكن البقاء في الخارج لفترة طويلة، وبعد نحو عشرين دقيقة نعود إلى السيارة. تصبح ميلي أكثر هدوءًا في طريق العودة إلى المدرسة، وأعلم أنها تشعر بالإحباط نفسه الذي أشعر به. حينما نودع بعضنا، تتساءل عما إذا كنا سنعود لرؤيتها في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة، وعندما يقول جاك إنه متأكد من أننا سنأتي، يُسعدني أن جانيس على مقربة تكفي لكي تسمعه.

# الماضي

حينما أخبرنا ميلي بأننا سنتزوج، كان أول ما استفسرت عنه هو ما إذا كانت ستصبح وصيفة العروس. قلت لها وأنا أحتضنها:

- بالطبع!

ثم تابعت قائلة:

- أليس كذلك يا جاك؟

اكتسحني فزع إزاء العبوس المرسوم على وجهه. قال بوضوح:

- حسبت أننا سنقيم حفل زفاف بسيطًا.

- صحيح، سوى أنني ما زلت بحاجة إلى وصيفة شرف.

- حقًا؟!

- بلى (قلتها وقد غمرني شعور بالارتباك). إنها التقاليد. لن تمانع، أليس كذلك؟

سأل خافضًا صوته:

- ألا تعتقدين بأنه سيكون عبئًا على ميلي؟ إذا كنت فعلًا بحاجة إلى وصيفة الشرف، فلمَ لا تطلبين من كيت أو إميلي؟

ألححت عليه مدركة بأنها تراقبنا بتوتر:

- لأنني أريدها أن تكون ميلي.

ران على المكان لحظات صمت محرجة، ثم هتف جاك:

- إذًا فهي ميلي (قالها مبتسمًا ومد ذراعه إليها). تعالي، دعينا نذهب ونخبر مديرتك بالأخبار السارة.

كانت السيدة جودريتش وجانيس فرحتين بسماع أننا سنتزوج. بعد إرسال ميلي لغسل يديها استعدادًا لتناول العشاء، وافقتنا السيدة جودريتش على أنه سيكون من الأفضل أن تبقى ميلي في المدرسة لمدة خمسة عشر شهرًا أخرى، حتى بلوغها الثامنة عشرة، كما كان مخططًا لها من البداية، على الرغم من أن جاك أكد أكثر من مرة أنه سيكون مسرورًا إذا انتقلت ميلي للسكن معنا في الحال. ابتهجتُ حينما اقترحَت السيدة جودريتش أنه من الجيد لنا قضاء بعض الوقت بمفردنا، وتساءلت عما إذا كانت خمنت أننا نأمل في تكوين أسرة دون تأخير.

بعد فترة وجيزة، كنا في طريقنا إلى هيكليسكومب، حيث منتزه كرانلي الخلاب؛ كما أخبرني جاك تمامًا. لقد كان المكان مثاليًّا فعلًا لإقامة حفل زفاف، وكنت ممتنة لجايلز ومويرا؛ صديقَي جاك، لحفاوتهما في استقبال زفافنا في منزلهما الساحر.

لم نظن أن أيًّا من ضيوفنا سيمانع المسافة؛ أربعون دقيقة بالسيارة من لندن، لقضاء فترة الظهيرة والمساء في مثل هذا المكان البديع، لا سيما أن جايلز ومويرا تكرما باستضافة أي شخص لا يستطيع العودة إلى لندن حالما ننتهي من العشاء. بعد بضع ساعات قضيناها في اتخاذ قرار بشأن قائمة طعام تكفي خمسين شخصًا، والتي ستُجهَّز من خلال شركة من لندن متخصصة في تحضير الطعام، غادرنا إلى الفندق الذي حجزه جاك في أثناء وجودي في الأرجنتين.

لم أطق الانتظار حتى يأخذني جاك إلى الفراش أخيرًا، غير أنه كان لا بد أن نتناول العشاء أولًا، لأننا وصلنا في الوقت المناسب لحجزنا. كانت الوجبة لذيذة، نفد صبري ورغبت في العودة إلى الغرفة.

مضيت للاستحمام، وعندما خرجت من الحمام، كنت تواقة لممارسة الحب، تغشَّاني الاستياء حين وجدت جاك نائمًا على السرير. لم يطاوعني قلبي لإيقاظه، لأنني كنت أعلم بأنه مُرهَق، فقد اعترف لي في أثناء العشاء أنه كاد يلغي عطلة نهاية الأسبوع التي أخذناها بسبب كم العمل الذي كان

يُثقله، لكنه لم يرغب في خذلاني. عندما تقلب في النهاية بعد ساعتين، شعر بالصدمة لأنه غط في النوم، ضمني بين ذراعيه، ومارسنا الحب.

في اليوم التالي، بقينا في السرير معظم الصباح، وبعد قضاء وقت غداء خامل، عدنا إلى لندن.

وعلى الرغم من أن هذا يعني أنني لن أرى جاك طوال الأسبوع المقبل، فقد كنت فرحة لأننا تمكنا من قضاء وقت بعيد عن الجنون الذي دفعنا إليه حفل زفافنا الوشيك. كما وهبني الابتعاد عن جاك قليلًا فرصة إنهاء اللوحة التي بدأت في رسمها من أجله قبل شهرين.

ولضيق الوقت، استسلمت لفكرة إهدائها إليه كهدية زفاف بدلًا من هدية عيد الميلاد؛ كما وددت. لكن كون جاك منشغلًا دائمًا في المساء، ومع حقائبي المركونة إلى أجل غير مسمى في الجزء الخلفي من الخزانة؛ تمكنت من إكمالها في الوقت المناسب ليوم عيد ميلاده. كنت آمل أننا -إذا أحبها- سنزين بها جدران منزلنا الجديد، يمكنني بسهولة تخيلها معلَّقة فوق المدفأة التي تحدثنا عنها.

كانت لوحة كبيرة، للوهلة الأولى، بدت وكأنها رسم تجريدي بدرجات مختلفة من اللون الأحمر مع إضافات خفيفة من الفضة تمر من خلالها. وعند تفحصها عن قرب، تتبدى كتلة اللون الأحمر كمئات من اليراعات الصغيرة، ولن يعرف سواي أنا وجاك بأن كتلة اللون الأحمر هذه لم ترسَم بالطلاء، بل بأحمر الشفاه، الذي دهنته بطبقة من الورنيش الشفاف قبل اكتمال الرسمة.

لم يصادف قط أن أخبرتُ جاك كيف استمتعت برسمها، وحتى حين أُعجب بإحدى اللوحات القماشية المعلَّقة في مطبخي، لم أخبره أنني أنا الرسامة. لذلك أخبرته في يوم عيد ميلاده -حالما تأكدت من انبهاره باللوحة التي قدمتها له- أنني لم أرسم اليراعات بنفسي فحسب، بل صنعتها بتقبيل اللوحة مئات المرات بوضع درجات مختلفة من أحمر الشفاه، أغدق الكثير من الثناء علي، لدرجة أبهجتني أني استطعت مفاجأته. كان مسرورًا لأنني أستطيع الرسم، وقال إنه حال انتقالنا لمنزلنا، سيترقب جدرانًا مترعة بلوحاتي.

بيع منزلي بسرعة، ووددت أن يضع جاك المال الذي كسبته من بيعه في المنزل الجديد في سبرينغ إيتون، لكنه رفض، وذكرني بأنها هديتي للزفاف.

في يوم أحد، اكتشف قرية سبرينغ إيتون الهادئة في أثناء عودته من منزل آدم وديان، وجدها مثالية؛ على بعد عشرين ميلًا من جنوب لندن، لم يُرد أن أرى المنزل حتى نعود من شهر العسل، واحتاج إلى القيام ببعض الأعمال الصغيرة في المنزل قبل انتقالنا إليه. حين ألححت عليه أن يحكي لي كيف وجده، ابتسم ببساطة وأخبرني بأنه المنزل المثالي. وعندما سألته عما إذا كان موافقًا للصورة التي رسمناها معًا، أجاب بجدية بأنه يطابقها تمامًا. أخبرته بأنني أرغب في الاستفادة من المال الذي جنيته من بيع منزلي لتأثيث منزلنا الجديد، كهدية زفاف في المقابل، فوافق بعد عناء طويل من الإقناع. بات من الغريب التسوق لشراء أثاث منزل لم أرَه من قبل، سوى أن جاك كان يعرف بالضبط ما يريده، فلا يمكنني الشك في ذوقه.

تركت وظيفتي قبل شهر من موعد الزفاف المقرر، وبعد أسبوع اشتكيت لجاك بسخرية كيف بدأ شعوري بالفراغ الجديد يتلاشى، ظهر على عتبة منزلي وهو يحمل صندوقًا مزينًا بشريطة حمراء. وحين هممت بفتحه، ظهرت جروة «لابرادور» تبلغ من العمر ثلاثة أشهر وأخذت تحدق إليَّ.

صرخت، أخرجتها:

- جاك، إنها جميلة! من أين حصلت عليها؟ هل هي لك؟

قال:

- لا، إنها لك، حتى تنشغلي بها.

ضحكت قائلة:

- قطعًا ستشغلني.

أنزلتُها على الأرض، فراحت تركض في الردهة لاستكشاف كل ما أمامها.

- لكنني لا أعرف ما سيحل بها حين نسافر لشهر العسل في تايلاند. أظن أنني سأطلب من والديَّ رعايتها، لكن لست متأكدة من موافقتهما.

- لا تقلقي، كل الأمور مرتَّبة. لقد وجدت مدبرة منزل تعتني بمنزلنا في أثناء سفرنا بعيدًا. لا أريده أن يكون خاليًا، ولا يزال ثمة بعض الأثاث الذي يتعين تسلُّمه، لذلك ستعيش فيه حتى نعود، وستعتني بمولي من أجلنا.

نظرت إلى الجروة...

- مولي؟ أجل، هذا الاسم يناسبها تمامًا. ستسعد ميلي بها كثيرًا، فلطالما كانت تتوق لاقتناء كلب. ميلي ومولي؛ يبدوان مثاليين معًا!

أومأ جاك قائلًا:

- هذا تمامًا ما حسبته، ستحبها ميلي.. وأنتِ؟ هل ستحبينها؟
- بالطبع! (ضممتها بين ذراعي) لقد أحببتها بالفعل. (ضحكت بينما بدأت الجروة تلعق وجهي) أخشى أنني سأكره تركها حين نسافر لتايلاند.
- لكن، فكري بمدى سعادتك وقت رؤيتها مجددًا حين نرجع.. أستطيع تخيلكما بالفعل.

قالها وابتسم.

- لا أطيق الانتظار لأريها لميلي! كم أنت لطيف يا جاك! (دنوت منه وقبلته بحنان) مولي هي تمامًا ما أحتاج إليه لكي تسليني في أثناء وجودك في العمل طيلة اليوم. آمل أن تكون ثمة بعض الأماكن الجميلة للمشي في سبرينج إيتون.
- هناك الكثير، وبخاصة على طول النهر.

قلت له بسعادة:

- لا أقوى على الانتظار، ولا أستطيع التمهل حتى أرى المنزل، ولا يمكنني انتظار المزيد حتى أتزوجك!

قال وهو يقبِّلني:

- ولا أنا، ولا أنا حقًّا.

مرت الأسابيع الأخيرة بسرعة بوجود مولي التي ملأت يومي. في اليوم السابق لحفل الزفاف، أحضرت ميلي من المدرسة وتركنا مولي بصحبة جاك، وكان سيصحبها في ذلك المساء ليبقيها مع مدبرة المنزل. كرهت تركها، لكن جاك أكد لي أن السيدة جونز -السيدة التي وجدها لتعتني بمنزلنا- لطيفة لطفًا زائدًا، وأنها سعدَت بالعناية بمولي حتى عودتنا من تايلاند. كنت قد انتقلت إلى فندق قريب قبل بضعة أيام، بعد أن رأيت آخر ممتلكاتي تسافر إلى سبرينغ إيتون في شاحنة نقل، لذلك عدت أنا وميلي إلى هناك للاستعداد لليوم المقبل. أمضينا المساء نتأكد من أن ثيابنا مناسبة تمامًا، نجرب المساحيق التي ابتعتها خصيصى لحفل الزفاف. لم أكن أرغب في ارتداء فستان زفاف تقليدي، ولهذا اشتريت فستانًا من الحرير الكريمي يصل حتى كاحلي تقريبًا، وكان ملائمًا لمقاساتي بدرجة مثالية، اختارت ميلي فستانًا كريميًّا أيضًا، لكن بشريطة خصر وردية اللون تناسب لون باقة الزهور التي ستمسك بها.

حينما ارتديت فستاني صباح اليوم التالي، رأيتُني جميلة لدرجة لم أشعر بها من قبل. وصلَت باقات الزفاف إلى الفندق في وقت سابق؛ زهور وردية لميلي وشلال من الزهور الحمراء الداكنة لي.

جهَّز جاك سيارة لتقلنا لمكتب التسجيل، وعندما طُرِق الباب في تمام الحادية عشرة في صباح اليوم التالي، أرسلتُ ميلي لتفتح الباب.

قلت:

- أخبريهم بأنني سأخرج خلال دقيقة.

وانزويتُ داخل الحمام لكي أتفحص نفسي لمرة أخيرة في المرآة. راضية عما رأيته، عدت إلى غرفة النوم وأخذت باقة زهوري.

- تبدين مذهلة.

نظرت إلى الأعلى في دهشة ورأيت جاك واقفًا عند المدخل. بدا وسيمًا جدًّا في بذلته الداكنة وسترته الحمراء القاتمة، لدرجة هيجت معدتي.

- جميلة تقريبًا مثل ميلي.

بجانبه، صفقت ميلي بسعادة.

صحت:

- ماذا تفعل هنا؟ (كنت متوترة وسعيدة في نفس الوقت). هل هناك خطب ما؟

اقترب وأخذني بين ذراعيه.

- لم أطق الانتظار حتى أراكِ، هذا كل ما في الأمر. وأيضًا، لدي شيء لك.

أطلقَ سراحي، ووضع يده في جيبه وأخرج صندوقًا أسود.

- ذهبت إلى البنك هذا الصباح لكي أحضره.

حين فتحت الصندوق، تلألأ عقد رائع من اللؤلؤ مسدول على قاعدة من المخمل الأسود، مع زوجين من الأقراط المرصعة باللؤلؤ.

- جاك، إنه غاية في الجمال!

- إنه يخص والدتي. لقد نسيتُ أمره حتى الليلة الماضية. اعتقدت أنك قد ترغبين في ارتدائه اليوم، ولهذا السبب أتيت. لستِ مضطرة لوضعه بالطبع.

قلت له بينما أرفع العقد وأفك قفله:

- أود ذلك.

- دعيني أقوم بهذا (أخذه مني ولفه حول عنقي). ما رأيك؟

استدرتُ نحو المرآة.

- لا أصدق مدى تطابقه مع الفستان؛ نفس درجة الكريمي بالضبط.

فككت الأقراط الذهبية التي كنت أرتديها واستبدلتُ بها اللآلئ. ضحكت ميلي وقالت:

- غريس جميلة، جميلة جدًّا جدًّا!

قال جاك بجدية:

- أوافقك الرأي.

وضع يده في جيبه الآخر وسحب صندوقًا أصغر وقال:

- لدي شيء لك أيضًا يا ميلي.

عندما رأت ميلي اللؤلؤة التي على شكل دمعة في سلسلة فضية، شهقت وقالت فرِحة:

- شكرًا لك يا جاك. سأرتديه الآن.

قلت له:

- أنت لطيف جدًّا يا جاك (وثبتُّ عقد ميلي حول عنقها). لكن أتعلم أنه من المفترض أن رؤيتك لعروسك قبل حفل زفافها يجلب الحظ السيئ؟

ابتسم...

- حسنًا، أعتقد بأنني سأجرب حظي.

- كيف حال مولي؟ هل استقرت على ما يرام؟

- تمامًا. انظري.

أخرج هاتفه من جيبه ليرينا أنا وميلي صورة مولي وهي نائمة بداخل سلة.

قهقهت قائلة:

- إذًا الأرضية مكسوة بالبلاط. على الأقل أعرف شيئًا واحدًا عن منزل المستقبل.

وضع هاتفه في جيبه وقال:

- هذا كل ما ستعرفينه. الآن، هلَّا نذهب؟ فوجئ السائق حين طلبت منه أن يصحبني في الطريق لآخذك، لذلك إذا لم نخرج الآن سيعتقد أني أتيت لإنهاء كل شيء.

شبَّكنا الأذرع ومضينا إلى السيارة، وانطلقنا صوب مكتب التسجيل. حينما وصلنا، كان الجميع في انتظارنا، بمن فيهم والداي. حزما عفش منزلهما استعدادًا للانتقال إلى نيوزيلندا وكانا على وشك المغادرة بعد أسبوعين من عودتنا من شهر العسل. فوجئت قليلًا حين أخطراني بأنهما سيغادران عما

قريب، لكن حين فكرت في الأمر، أدركتُ أنهما انتظرا ستة عشر عامًا طويلة. التقيت بهما أنا وجاك لتناول العشاء في الأسبوع الماضي، لكي يمنحانا وصاية ميلي، مما يعني أننا أضحينا الآن الوصيين الشرعيين لها.

كنا جميعًا سعداء بهذا الترتيب، وقالا إنهما سيساعداننا بأي طريقة ممكنة، ربما بسبب شعورهما بالذنب لكون جاك سيتحمل الأعباء المالية. لكن جاك أصرَّ على أن اثنينا سنكون مسؤولين عن ميلي، ووعدهما بأنها لن تحتاج إلى أي شيء.

فوجئ ضيوفنا برؤية جاك خارجًا من السيارة معي أنا وميلي، وعندما شرعنا في صعود الدرج الذي يُفضي لمكتب التسجيل، سخروا منه بلطف بسبب عدم استطاعته مقاومة ركوب السيارة الرولز رويس. رافقني أبي واصطحب جاك ميلي، وعمي ليونارد، الذي لم أره منذ عدة سنوات، مد لأمي ذراعه. كنت عند قمة الدرج تقريبًا، حين سمعت صراخ ميلي، فاستدرت لكي أراها تتدحرج على الدرج.

صرخت:

- ميلي!

وحالما توقفَت عن التدحرج وتكوَّمَت عند نهاية الدرج، كنت قد وصلت منتصف الطريق. بدا لي أن دهرًا مرَّ بي قبل أن أتمكن من اختراق الحشد الملتف حولها، ركعت بجانبها، غير مهتمة بأن ثوبي سيتسخ، كل ما عناني أن ميلي كانت مستلقية هناك بلا حراك.

- لا بأس، غريس، إنها تتنفس.

قالها آدم مطمْئنًا، حيث جثم على الجانب الآخر منها، بينما بحثت بطريقة محمومة عن نبض.

- ستكون بخير، سترين. ديان تتصل بسيارة إسعاف، ستكون هنا قريبًا.

سألت:

- ماذا حدث؟

وأزحت شعرها عن وجهها ولم أجرؤ على تحريكها.

- غريس، أنا آسفة جدًّا.

نظرتُ إلى الأعلى ورأيت جاك، وجهه أبيض كورقة.

- لقد تعثرت فجأة؛ أعتقد أن كعبها علق في ذيل فستانها، وقبل أن أعرف ماذا يحدث، كانت تسقط. حاولت أن أمسكها لكنني لم أستطع اللحاق بها.

قلت بعجلة:

- كل شيء على ما يرام.. إنه ليس خطأك.

- كان يتحتم عليَّ الإمساك بها بقوة أكبر.

تابع كلامه يائسًا، بينما مرر يده من خلال شعره.

- كان عليَّ أن أنتبه لكون الخطوات ليست دائمًا سهلة بالنسبة إليها.

قال أبي بهدوء:

- لا تعجبني طريقة انحناء ساقها. تبدو كما لو أنها مكسورة.

قلت بفزع:

- يا إلهي!

- انظري، إنها تستعيد وعيها (أمسكت أمي بيد ميلي).

تمتمت حينما بدأت تتحرك:

- لا بأس يا ميلي، كل شيء على ما يرام.

وصلت سيارة الإسعاف خلال دقائق. وددت الذهاب معها إلى المستشفى، لكن أمي وأبي أخبراني بأنهما سيذهبان، وذكراني بأن المفترض أنني الآن أتزوج.

- لا أستطيع إتمام الزواج الآن.

بكيت، بينما نُقلت ميلي لسيارة الإسعاف، فقالت أمي بخفة:

- بالطبع يمكنك الزواج.. ستكون ميلي بخير.

بكيت...

- لديها كسر في ساقها، وربما إصابات أخرى لا نعرفها.

قال جاك بهدوء:

- لن ألومك لو أردتِ إلغاء الحفل.

- الأمر فقط أنني لا أرى كيف يمكننا المضي قدمًا في كل شيء، ونحن لا نعرف حتى مدى خطورة إصابة ميلي.

كان المسعفون باهرين؛ تفهموا الوضع الصعب الذي كنت فيه، فقاموا بفحص ميلي بدقة قدر الإمكان في سيارة الإسعاف وأخبروني بأنه باستثناء ساقها لا تبدو هناك أي عظام مكسورة، وإذا أردت استكمال حفل زفافي، فإن والديَّ سيبقيانني على اطلاع بأي تطورات. وأشاروا أيضًا لأنه بمجرد وصول ميلي إلى المستشفى، سيتم نقلها بعيدًا لإجراء الأشعة السينية، لذلك لن أتمكن من البقاء معها على أي حال. كنت لا أزال بائسة، نظرت إلى المكان الذي يقف فيه جاك ويتحدث بهدوء مع آدم، جعلني مظهر الأسى على وجهه أتخذ القرار. صعدت إلى سيارة الإسعاف وقبَّلت ميلي الهائمة في ملكوتها، ووعدتها بأن آتي لرؤيتها في صباح اليوم التالي، ثم أعطيت والديَّ رقم هاتف جاك، لأن هاتفي كان في الحقيبة، وطلبت منهما إخباري بمجرد ورود أي أخبار. سألني جاك بقلق، بمجرد مغادرة سيارة الإسعاف:

- هل أنت متأكدة من أنك لا تزالين تريدين المضي قدمًا؟ لا أفترض أن أي شخص قادر على الاحتفال بعد ما أصاب ميلي. ربما يجب أن ننتظر حتى نطمئن أنها ستكون بخير.

نظرتُ إلى ضيوفنا، الذين كانوا يتنقلون من هنا لهناك، كانوا يحتاجون إلى معرفة ما إذا كان حفل الزفاف سيُقام أم يُلغى.

- أعتقد أنهم سيتقبلون الأمر لو تقبلناه نحن (أدرت وجهي نحوه) جاك، هل ما زلت تريد الزواج؟

- بالطبع، أكثر من أي أمر آخر. لكن، في النهاية، هو قرارك.

- إذًا دعنا نتزوج. هذا ما تريده ميلي.

كنت أكذب، لأنني أعرف أن ميلي لن تفهم لماذا تزوجنا دونها. الشعور بأنني خنتها جعل الدموع تغمر عينيَّ من جديد، أغمضتهما، وابتلعت الدموع بسرعة حتى لا يراها جاك، على أمل ألا أضطر للاختيار بينه وبين ميلي مرة ثانية.

كان الجميع سعداء لأننا سنكمل الحفل بعد كل شيء، وحينما اتصلَت أمي بعد ساعتين لتخبرنا بأن ميلي بخير -باستثناء ساقها المكسورة- شعرت بالوهن والارتياح معًا. رغبت في إنهاء الحفل والذهاب لرؤيتها في نفس الليلة، لكن أمي قالت إنها نائمة، ومع المسكنات التي أعطاها لها الطبيب لم يكن متوقَّعًا أن تستيقظ قبل صباح اليوم التالي على أي حال. وأكدَت أنها تنوي البقاء معها في المستشفى طوال الليل، لذلك أخبرتها أننا سوف نتوقف لرؤية ميلي في صباح اليوم التالي، في طريقنا إلى المطار.

وعلى الرغم من أنني استمتعتُ لبقية المساء، فإنني كنت مسرورة حين غادر آخر ضيوفنا. وكنا أخيرًا في طريقنا إلى الفندق. نظرًا لأن سيارة جاك كانت لا تزال في لندن، فقد أقرضنا مويرا وجايلز واحدة من سياراتهما حتى نتمكن من الوصول إلى المطار في اليوم التالي، والعودة إلى سبرينغ إيتون حين نعود من تايلاند. مع وجود مرآب مليء بالسيارات، أصروا أنهما لا يحتاجان إليها وقالا إنه بمقدورنا إعادتها حين يتسع لنا الوقت.

عندما وصلنا إلى الفندق الذي كنا سنقضي فيه الليلة، ذهبت مباشرة إلى الحمام وجهزت لنفسي حمامًا ساخنًا، تركت جاك يصب لنفسه بعضًا من النبيذ ريثما أنتهي. وحين كنت مستلقية في حوض الاستحمام، رجع ذهني إلى ميلي مرة تلو الأخرى، ولم يسعني إلا أن أكون فَرِحة لأن اليوم انتهى أخيرًا.

وحالما بردت المياه، خرجت وجففت نفسي على عجل، متحمسةً لرؤية وجه جاك حين يراني في قميص قصير من الحرير الكريمي وملابس داخلية كنت قد اشتريتها خصيصى لليلة الزفاف. لبستها، وفتحت الباب برعشة ترقب ودخلت غرفة النوم.

# الحاضر

بينما نحن في السيارة متجهان إلى المنزل بعد زيارة ميلي، أذكِّر جاك بأنني سأضطر للاتصال بديان في وقت ما قبل يوم الجمعة، لإخبارها بأنني لن أستطيع تناول الغداء معها ومع إستير.

- لا بالعكس، أعتقد أن عليكِ أن تذهبي.

يكرر نفس الكلام مرات عديدة، قبل أن أعرف لاحقًا أنه لا يعني كثيرًا ما يقوله.

- على كلٍّ لقد ألغيتِ موعدك معها مرتين.

حتى هذه الكلمات لا يكفي سماعها لتعزيز قراري. غير أنه في صباح يوم الجمعة، حين يطلب مني ارتداء أجمل فساتيني، لا يسعني إلا أن أتساءل عما إذا كانت اللحظة التي كنت أنتظرها قد حانت أخيرًا. يتسابق عقلي مع الأحداث، لدرجة أنني أذكر نفسي بجميع الأوقات الأخرى التي انتهت بخيبة أملي. حتى حين أركب السيارة بجوار جاك، لا أسمح لنفسي بأن أصدق ما يحدث الآن تمامًا. لكن حينما نسلك الطريق المتجه إلى البلدة، أصدق ما يحدث فعلًا، وأشرع في خلق سيناريوهات محمومة، مرعوبة من أنني سأترك اللحظة تفلت مني. حين يوقف جاك السيارة على الطريق خارج المطعم ويترجل منها، أدرك كم كنت مخدوعة.

ديان وإستير جالستان بالفعل. تلوِّح ديان صوبي فيما أشق طريقي، بابتسامة أُخفي خيبة أملي المريرة، شاعرةً بيَد جاك التي تلمس ظهري.

- أنا سعيدة للغاية أنكِ استطعتِ المجيء.

تقولها وهي تعانقني عناقًا خاطفًا ثم تقول:

- جاك، ما ألطف أن تأتي وتلقي التحية. هل هو موعد غدائك؟

يقول:

- لقد عملت من المنزل هذا الصباح. ولستُ مضطرًا لأن أذهب إلى المكتب حتى وقت متأخر بعد ظهر اليوم، لذا كنت آمل أن تسمحا لي بالانضمام معكما على الغداء، مقابل أن أدفع الحساب بالطبع.

أضحك قائلة:

- في هذه الحالة، يمكنك الانضمام إلينا بكل سرور، لن تكون ثمة مشكلة في إضافة مقعد إضافي، وبخاصة أن طاولتنا لأربعة أشخاص.

تهتف إستير ممازحة:

- ما عدا أننا لن نكون قادرتين على الحديث عنك الآن.

بينما يحضر جاك كرسيًا من طاولة أخرى، أفكر أنها لو حاولَت قول أي شيء أكثر إيذاءً لما استطاعَت. غير أن الأمر لم يعد مهمًّا الآن.

- أنا متأكد من أن لديك أشياء لتتحدثي عنها أكثر إثارة مني.

ابتسم جاك، وأجلسني في مواجهة إستير وأشار إلى النادلة لإحضار مقعد آخر.

- وغريس سيكون لديها أشياء لطيفة لتقولها عنكَ على أي حال، لذلك لن يكون الأمر ممتعًا (تنهدت ديان).

- أوه، لا بد أنها يمكنها العثور على بعض العيوب الصغيرة (نظرت إستير إليّ بتحدٍّ). أليس كذلك يا غريس؟

أقول:

- أشك في ذلك.. كما ترين، جاك مثالي جدًا.

- حسنًا، هيا، لا يمكن أن تجديه بهذا الكمال! ينبغي أن يكون ثمة أمر ما!

أعقد حاجبي، كأنني أفكر في الأمر، ثم أهز رأسي بالنفي.

- لا، حقًّا، لا يمكنني التفكير في أي شيء، إلا إذا كان شراء الكثير من الزهور يعد أمرًا سيئًا. أحيانًا يكون من الصعب العثور على ما يكفي من المزهريات للاحتفاظ بها.

تقول ديان التي تجلس بجانبي:

- هذا ليس أمرًا سيئًا يا غريس (لجأت إلى جاك). لا أعتقد أنه باستطاعتك توجيه آدم ببعض النصائح حول كيفية تدليل الزوجة، أليس كذلك؟

- لا تنسَي أن غريس وجاك متزوجان حديثًا على نحو ما، بالمقارنة بنا جميعًا (توضح إستير)، وليس لديهما أطفال بعد. تتحول هذه الشهامة إلى القفز انتحارًا من النافذة حالما يجيء الأطفال (توقفتْ لبرهة). هل عشتما معًا لفترة طويلة قبل الزواج؟

أوضح جاك:

- لم يكن لدينا وقت للسكن معًا. تزوجنا بعد أقل من ستة أشهر من لقائنا.

ترفع إستير حاجبيها متعجبة:

- يا إلهي، حدث الأمر بهذه السرعة!

قال وهو يمسك بيدي:

- حالما أدركت أن غريس هي مَن كنتُ أبحث عنها، لم أجد هناك أي جدوى من التسكع.

ترمقني إستير وبسمة ترتسم على طرف شفتيها:

- ألم تجدي أي بقايا لجثث في الخزانة عند زواجكما؟

- ولا واحدة.

آخذ لائحة الطعام التي تقدمها لي النادلة وأتصفحها بلهفة، ليس فقط لأنني أريد أن أوقف استجواب إستير لعلاقتي أنا وجاك، لكن لأنني جائعة أيضًا. بينما أتصفح أصناف الطعام المعروضة، أجد أن شريحة اللحم تأتي مع المشروم والبصل والبطاطس المقلية. كم هذا شهي!

تسأل ديان برجاء:

- هل سيطلب أيٌّ منكما طبقًا دسمًا؟

تهز إستير رأسها:

- آسفة. سأطلب سلطة.

أجيبها:

- أرغب في شريحة اللحم مع البطاطس المقلية. (أضيف قائلة لعلمي بأنها تحتاج إلى سماع ذلك) وسأطلب على الأرجح كعكة شوكولاتة للتحلية.

تهتف فرِحة:

- في هذه الحالة، سأشارك إستير في السلطة وأنت في كعكة الشوكولاتة.

يسأل جاك:

- هل ترغب أيٌّ منكما في النبيذ؟

هو الأفضل في الضيافة كعادته. ترد عليه ديان:

- لا، شكرًا. يا للحسرة، سأتناول في الأغلب وجبة غداء خالية من الكحول، لأن جاك لا يشرب أبدًا خلال النهار.

تقول إستير:

- أرغب في القليل من النبيذ، لكن فقط إذا كنت ستشرب أنت وغريس القليل معي.

يجيبها جاك:

- لا يناسبني ذلك. لدي الكثير لأفعله خلال اليوم.

ألتفت صوب إستير:

- أنا عن نفسي أرغب في شرب النبيذ، هل تفضلين النبيذ الأحمر أم الأبيض؟

في أثناء انتظارنا، تنتقل المحادثة إلى مهرجان الموسيقى المحلي، الذي يُقام في شهر يوليو من كل عام ويجذب الناس من مسافة أميال. نتفق على أن جميعنا قريبون بدرجة ما من مكان المهرجان، لذا سنتمكن من حضوره بسهولة، غير أنه بعيد بما يكفي لكيلا يزعجنا الآلاف من الجماهير الذين يحضرون إلى المدينة خصيصى من أجله. وعلى الرغم من أن ديان وآدم

يذهبان دائمًا إلى المهرجان، لم نذهب أنا وجاك قط من قبل، لذا ننجذب سريعًا لخطة ديان بأن نذهب جميعًا لحضوره. وخلال الحديث عن الموسيقى، نعرف أن إستير تعزف على البيانو، أما روفوس فيعزف الجيتار، وعندما أعترف بأنني لم أكُن يومًا موسيقية مثلهما، تسألني إستير إن كنت أحب القراءة، فأقول إنني أحبها على الرغم من أنني لا أقرأ كثيرًا. نتحدث عن نوع الكتب التي نحبها، وتذكر إستير أفضل الكتب الجديدة مبيعًا، وتلك التي صدرت للتو، وتتساءل عما إذا كنا قد قرأناها. يتضح أن أحدًا منا لم يقرأها. تستفسر بينما تضع النادلة الأطباق فوق الطاولة:

- أتودين أن أعيره لك؟
- أجل، من فضلك.

أتأثر كثيرًا بعرضها، فيما أنسى وجود ديان من الأساس.

تعرض عليَّ قائلة:

- سأمر عليك بعد ظهر اليوم، ليس عندي حصص في أيام الجمعة.

أتذكر الآن...

- قد تضطرين لتركه في صندوق الرسائل. عادة ما أكون في الحديقة ولا أسمع الجرس.

تهتف بحماس:

- أود أن أرى حديقتك ذات يوم، وبخاصة بعد ما قاله جاك عن براعتك في البستنة.

يقول جاك:

- لستِ بحاجة إلى المجيء خصيصى لأجل ذلك (متجاهلًا تلميحاتها الصريحة التي رمت بها للتو). يمكن لغريس أن تشتري الكتاب بنفسها.
- إنها ليست مشكلة على الإطلاق (بينما تصب نظراتها على طبق السلطة بتقدير جَم) يا إلهي، تبدو شهية.

- في الواقع، سنذهب ونشتري نسخة فور انتهائنا من الغداء، متجر سميث قريب جدًّا.

أستفسر محاولةً تغيير مجرى الحديث:

- ألا تعملين أيام الجمعة فقط؟

- ولا أيام الثلاثاء. أنا وأحد المعلمين الآخرين نتشارك في العمل.

تقول ديان بحزن:

- أتمنى لو أستطيع فعل ذلك. إنه لعمل شاق بدوام كامل حين يكون لديك أطفال. لكني أكره التخلي عن العمل تمامًا، وهو البديل الوحيد الذي أمامي، فشركتي لم تسمع عن مشاركة الوظائف بعد.

تحدق إستير إليَّ قائلة:

- لا أصدق أنك لا تشتاقين إلى العمل. أعني، لقد كان لديك وظيفة رائعة للغاية قبل أن تتزوجي.

أشغل نفسي بتقطيع اللحم، لأنه من الصعب أن أتذكر الحياة التي اعتدتُها من قبل.

- لا على الإطلاق؛ لدي الكثير لأبقى منشغلة طيلة اليوم.

- إذًا ما هواياتك الأخرى، بعيدًا عن الرسم والبستنة والقراءة؟

أجيبها مدركةً كيف تبدو إجابتي واهنة:

- أوه، القليل من هنا ومن هناك.

تدخل جاك:

- ما لم تخبرك به غريس هو أنها تخيط الكثير من ملابسها الخاصة، منذ بضعة أيام صنعت لنفسها رداءً جميلًا.

- حقًّا؟

كعادتي لا أتردد في الكلام، أوضِّح:

- لقد كان ثوبًا أرتديه للمنزل، ليس مكلفًا. لا أحوك فساتين السهرة ولا أي رداء معقد كثيرًا.

تلمع عينا ديان:

- لم أكن أعرف أنك تجيدين استخدام الإبرة. ليتني أستطيع الحياكة مثلك.

تقول إستير:

- وأنا كذلك. ربما يمكنكِ أن تعلميني يا غريس.

تقترح ديان:

- ربما يمكننا أن نستهل رحلة الحياكة معك بحيث تصبحين معلمتنا.

أبيِّن لهما:

- لستُ ماهرة حقًّا، ولهذا لم أذكر ذلك من قبل. أضطرب جدًّا حينما يطلب أحد رؤية شيء صنعته.
- حسنًا، إذا كنتِ بارعة في الحياكة مثلما أنت بارعة في الطبخ، فأنا متأكدة من أن الفستان الذي صنعتِه جميل!

تقول إستير:

- عليكِ أن ترينا إياه في وقت ما.
- سأفعل ذلك، أعدك، لكن فقط إذا لم تطلبي مني أن أحوك لكِ واحدًا.

الحاجة المستمرة للرد على تعقيبها تجعلني أتوتر بشدة، لدرجة أنني أفكر في المغادرة قبل تناول الحلوى، وهو شيء لا أفعله عادة. لكن لو لم أنتظر الكعكة فلن تحصل ديان على واحدة، ولأن إستير أعلنت صراحةً أنها شبعت جدًّا، وأنها غير قادرة على تناول أي شيء آخر، لذا فمن الممكن أن أنتظر لأنهي الوجبة بسرعة. أوازن بين الإيجابيات والسلبيات، ويبقى إغراء كعكة الشوكولاتة قويًّا جدًّا في النهاية. آخذ رشفة أخرى من النبيذ، على أمل تجنب المزيد من استجوابات إستير، متمنية أنها ستحوِّل انتباهها إلى ديان لبعض الوقت.

كما لو أنها تقرأ أفكاري، تتوجه بالسؤال لديان عن ابنها. عادات الطفل في الطعام هي أحد المواضيع المفضلة لديان في الحديث، لذلك أحصل على

برهة من الوقت فيما يدور الحديث حول أفضل السبل لحمل الأطفال على أكل الخضار الذي لا يحبونه. يستمع جاك باهتمام، كما لو أن الموضوع يحظى باهتمام حقيقي بالنسبة إليه، ويتحول ذهني إلى ميلي، يقلقني كيف ستستقبل الأمر لو لم أجد الفرصة لرؤيتها خلال عطلة نهاية الأسبوع، إذ إن شرح غيابي عنها يزداد صعوبة عليها. لم يخطر ببالي قط أن أتمنى لو أنها مختلفة عما هي عليه. الآن أتمنى ذلك باستمرار؛ ألا تكون مصابة بمتلازمة داون، ولا بحاجة إلى أن تعتمد عليَّ، وتستطيع أن تعيش حياتها الخاصة بدلًا من الاضطرار لمشاركتي حياتي.

أعود فجأة لأرض الواقع حين تطلب ديان طبق الحلوى، أخبر إستير، عندما تسأل فيما كنت سارحة، بأنني أفكر في ميلي. تتساءل ديان عما إذا كنا قد رأيناها مؤخرًا، لذلك أخبرها بأننا رأيناها يوم الأحد الماضي، وأن جاك أخذنا لنتناول غداءً جميلًا. أنتظر حتى يسأل أحدهم ما إذا كنا سنراها مرة أخرى في نهاية هذا الأسبوع، لكن لا أحد سأل، ولست مضطرة لأن أكون أكثرهن حكمة.

تقول إستير مع وصول الكعكة:

- إنها حتمًا تتطلع إلى القدوم للسكن معك.

- نعم إنها كذلك.

يبتسم جاك:

- نحن نتطلع لهذا أيضًا.

- ما رأيها في المنزل؟

أمد يدي لكأسي وأقول:

- في الواقع لم تره بعد.

- لكن ألم تنتقلا قبل عام؟

يوضح جاك:

- نعم، لكننا نريد أن يكون كل شيء مثاليًا قبل أن تراه.

ترد عليه:

- لقد بدا لي مثاليًّا كفاية عندما رأيته.

- لم تنتهِ غرفتها تمامًا بعد، لكنني أستمتع كثيرًا بتجهيزها، أليس كذلك يا عزيزتي؟

مع الرعب الذي يداهمني، أشعر بالدموع تنهمر بداخلي، فأدير رأسي سريعًا، مدركة عيني إستير اللتين تتفقدانني.

تتساءل ديان:

- أي لون ستكون؟

يقول جاك:

- أحمر، إنه لونها المفضل.

ثم يومئ برأسه نحو كعكة الشوكولاتة الخاصة بي ويقول:

- تناولي طعامك يا عزيزتي.

أحمل ملعقتي وأتساءل كيف سأتمكن من القيام بما يقول.

تقول إستير:

- تبدو لذيذة. لا أعتقد أنك تريدين مشاركتها معي، أليس كذلك؟

أظهِر التردد، أتساءل لماذا يزعجني الأمر، فلم أكن لأخدع جاك. أقول وأنا أقدم لها شوكتي:

- تفضلي.

- شكرًا لكِ (تأخذ قطعة من الكعكة). هل جئت أنت وجاك في سيارتين منفصلتين؟

- لا، أتينا معًا.

- إذًا سأعيدك، إن أردتِ ذلك.

يقول لها جاك:

- لا بأس، أنوي توصيل غريس إلى المنزل قبل الذهاب إلى المكتب.

تقول إستير عابسة:

- أليس هذا عكس اتجاهك؟ يمكنك أن تذهب للمكتب رأسًا على الطريق السريع من هنا. سآخذها إلى المنزل يا جاك، لا توجد أي مشكلة.

- هذا لطف منك، لكن هناك مستندات أحتاج إلى جلبها من البيت قبل الذهاب لمقابلة أحد عملائي في وقت لاحق اليوم، إنه لأمر مخزٍ أني نسيت إحضارها معي، لو لم يكن الأمر كذلك لجعلتُكِ تأخذين غريس إلى المنزل بكل سرور.

- مرة أخرى إذًا. (تلتفت إستير صوبي) غريس، ربما يمكننا تبادل أرقام الهواتف؟ أرغب في اصطحابكم جميعًا لتناول العشاء، غير أنني بحاجة إلى سؤال روفوس لمعرفة متى يكون متاحًا. لديه رحلة قادمة إلى برلين ولست متأكدة من موعدها.

- بالطبع.

أقول ذلك بينما أعطيها رقم هاتف المنزل، وتسجله على هاتفها المحمول.

تقول:

- وهاتفك المحمول؟

- ليس لديَّ.

تتأكد مما سمعَت مرة ثانية:

- ليس لديك هاتف محمول؟!

- لا.

- لمَ لا؟

- لأنني لا أرى حاجة إلى امتلاكه.

- لكن كل شخص فوق سن العاشرة وتحت سن الثمانين لديه واحد.

- حسنًا، ليس أنا. (أقولها مستمتعةً بِردة فعلها).

تقول ديان:

- أعلم أنه أمر لا يصدَّق، أليس كذلك؟ لقد حاولتُ إقناعها بشراء واحد لكنها غير مهتمة.

تستفسر إستير:

- لكن كيف بالله عليكِ يمكن لأي شخص أن يتواصل معكِ حين تكونين خارج البيت؟

أهز كتفي باستهجان:

- لن يتمكنوا.

تقول ديان بجفاء:

- يا له من أمر جيد!

- لا يمكنني الخروج للتسوق دون أن يتصل آدم أو أحد الأطفال عبر الهاتف ليطلب مني أن أجلب شيئًا ما، أو لمعرفة متى سأعود. عدد المرات التي كنت أقف فيها عند الكاشير في متجر تيسكو أحاول وضع كل ما اشتريت في أكياس، بينما أحاول حل أمر ما حدث في المنزل، إنه أمر لا يمكن تصوُّره.

تتساءل إسيتر وهي لا تزال تحاول أن تستوعب كيف أعيش حياتي على هذا النحو:

- لكن ماذا لو كانت لديك مشكلة؟

أبين لها قائلة:

- كان الناس يتدبرون أمورهم جيدًا من قبل، بلا هواتف محمولة.

- نعم، سابقًا، في العصور المظلمة (تستدير نحو جاك). جاك، اشترِ لزوجتك هاتفًا محمولًا.

يفتح جاك يديه في إيماءة الهزيمة:

- سأكون سعيدًا جدًّا بهذا. بيد أني أعلم أني لو ابتعتُ لها واحدًا فلن تستخدمه.

- لا أصدق. ليس حينما تدرك كيف أن الهواتف المحمولة عملية جدًّا.

أؤكد ما قاله جاك:

- جاك على حق، لن أستخدمه.

- من فضلك أخبريني بأن لديك جهاز كمبيوتر.

- بلى، بالطبع لدي.

- إذًا هل يمكنني الحصول على عنوان بريدك الإلكتروني؟

- إنه jackangel@court.com.

- أليس هذا عنوان جاك؟

- إنه عنواني كذلك.

ترفع رأسها عن الطاولة وتنظر إليَّ بتساؤل:

- أليس لديك بريد إلكتروني خاص بك؟

- لأي غرض؟ فليس لدينا أي أسرار نخبئها عن بعضنا بعضًا. وإذا أرسل لي الناس بريدًا إلكترونيًّا، فعادة ما تتم دعوتنا لتناول عشاء أو أي شيء آخر يتعلق بجاك، لذا فمن الأسهل أن يرى الرسائل أيضًا.

يقول جاك وبسمة تلوح على وجهه:

- وبخاصة أن غريس كثيرًا ما تنسى إخباري ببعض الأمور.

تنظر إستير نحونا بتمعن وتقول:

- أنتما حقًّا زوجان مرتبطان، أليس كذلك؟ حسنًا، مع عدم وجود هاتف محمول، أفترض أنه سيتعين عليك اللجوء إلى القلم والورقة لتدوين رقمي. ألديك قلم؟

أعرف أن ليس بحوزتي قلم بالطبع، سوى أني أجيبها:

- لست متأكدة.

وأهمُّ بتصنُّع التفتيش عن قلم بداخل حقيبتي. أمدُّ يدي نحو الحقيبة المعلقة على ظهر الكرسي، بيد أنها تصل إليها قبلي، وتسلمني إياها.

- يا إلهي، تبدو فارغة!

أقول لها:

- أفضِّل التحرك بخفة (بينما أفتح حقيبتي وأنظر بداخلها)، لا، للأسف ليس معي قلم.

- ليس ثمة معضلة، سأسجله أنا (يُخرج جاك هاتفه المحمول). حصلتُ بالفعل على رقم منزلك يا إستير، من روفوس، لذا أعطني فقط رقم هاتفك المحمول.

بينما تُمليه رقمها، أحاول يائسة أن أحفظه عن ظهر قلب، لكن الأرقام تختلط في النهاية. أغمض عيني وأحاول استرجاع الأرقام القليلة التي حفظتها، لكن ذلك يبدو مستحيلًا.

يقول لها جاك:

- شكرًا إستير.

أفتح عيني وأجدها تنظر نحوي بفضول.

- سأكتبه لغريس حين نصل إلى المنزل.

- انتظر لحظة؛ هل هي 721 أم 712 في المنتصف؟ (تعقد إستير جبينها) لا يمكنني تذكُّره جيدًا. النهاية سهلة بما يكفي - 9146 - أيمكنك التحقق منه يا ديان؟

تخرِج ديان هاتفها وتستطلع رقم إستير.

- إنها 712.

- أوه نعم - 07517129146. هل سجلت ذلك يا جاك؟

- نعم، لا بأس. هل تريد أي منكن احتساء القهوة؟

لا نستجيب لعرضه، فديان يتعين عليها العودة إلى العمل، وإستير لا تريد أي شيء. يطلب جاك الفاتورة وتختفي ديان وإستير في دورة المياه. أود الذهاب أيضًا، لكنني لا أرغب في ملاحقتهما. تُسدَّد الفاتورة، وننفصل أنا وجاك عنهما ونسير باتجاه موقف السيارات.

- حسنًا، هل استمتعتِ اليوم يا زوجتي الصغيرة المثالية؟

يسأل جاك، وهو يفتح لي باب السيارة.

في محاولة للإجابة عن أحد أسئلته الصعبة أقول:

- ليس تمامًا.

- ولا حتى الكعكة التي كنت تتطلعين إليها؟

أبتلع ريقي بصعوبة:

- ليس بقدر ما ظننت.

- من حسن حظك أن إستير شاركتكِ فيها، أليس كذلك؟

أجيبه:

- كنت سآكلها على أي حال.

- وتحرمينني من كل هذه المتعة؟

تسري رعشة في جسدي:

- إطلاقًا.

يرفع حاجبيه:

- هل أنا على وشك اكتشاف تجديدكِ لروحك القتالية؟

تجتاحني بهجة البوح بالحقيقة، ويساورني الملل كالعادة مؤخرًا.

يرمقني جاك بنظرة مغتبطة:

- هيا يا غريس؛ في انتظارك.

# الماضي

في ذلك المساء؛ مساء يوم الزفاف، لحظة دخولي غرفة النوم بعد الاستحمام، استبد بي الهلع، فقد وجدت الغرفة خالية. افترضت أن جاك خرج ليجري مكالمة هاتفية، شعرت بالغضب لأن شيئًا ما يمكن أن يكون أكثر أهمية مني بالنسبة إليه في ليلة زفافنا. لكن سرعان ما تحول غضبي لقلق حين رجعَت بي الذاكرة لميلي المنوَّمة في المستشفى، وفي غضون ثوانٍ تمكنت من إقناع نفسي أن شيئًا فظيعًا حدث لها، وأن أمي اتصلَت بجاك لتخبره، وأنه غادر الغرفة لأنه لا يريدني أن أسمع المحادثة.

ركضتُ نحو باب الغرفة وفتحته، متوقعة أن أرى جاك يذرع الممر جيئة وذهابًا؛ مفكرًا كيف ينقل إلي الأخبار المأساوية. سوى أن الممر كان موحشًا. حسبتُ أنه نزل إلى الردهة ولم أرغب في تضييع الوقت في البحث عنه، ففتَّشت في أمتعتي التي أنزلها السائق في الفندق، وأخرجت هاتفي واتصلت بوالدتي. بينما كنت أنتظر الرد، خطر لي أنه إذا كانت تتحدث مع جاك، فلن أتمكن من الوصول إليها على أي حال. كنت على وشك إنهاء المكالمة والاتصال بوالدي، غير أني سمعت رنين هاتفها، وبعد ثوانٍ صوتها.

- أمي، ما الذي حدث؟ (شرعتُ في البكاء رغمًا عني) أكان هناك مضاعفات لحالة ميلي أو أي شيء من هذا القبيل؟

- لا، كل الأمور على خير ما يرام (بدت أمي متفاجئة).

- إذًا ميلي بخير؟

- نعم، يبدو أنها نائمة. هل أنت بخير؟ يبدو أنك قلقة.

قعدت على السرير وموجة ارتياح تغمرني، شرحت لها:

- لقد اختفى جاك، لذا اعتقدت أنك ربما اتصلتِ به لتنقلي بعض الأخبار غير السارة، وظننت بأنه راح يتحدث معك على انفراد.

- ماذا تقصدين بـ اختفى؟

- حسنًا، إنه ليس في الغرفة. ذهبت إلى الحمام لأستحم، وحين خرجتُ لم أجده.

- ربما ذهب إلى مكتب الاستقبال لغرض ما. لا بد أنه سيعود حالًا. كيف مضى حفل الزفاف؟

- على ما يرام، جيد حقًّا، مع الأخذ في الحسبان أنني لم أستطع التوقف عن التفكير في ميلي. كرهت أنها لم تكن هناك. ستصاب بخيبة أمل كبيرة حين تدرك أننا أكملنا الحفل دونها.

- لا بد أنها ستتفهم.

قالت أمي ذلك، وأحسست بالحنق عليها من ضآلة معرفتها بميلي، لأنها بالطبع لن تتفهم. فزعت حينما وجدت نفسي على وشك البكاء، لكن بعد كل ما حدث، كان اختفاء جاك هو القشة التي قصمت ظهري. أخبرت أمي بأنني سأراها في المستشفى في صباح اليوم التالي، وطلبت منها أن تقبِّل ميلي، وأنهيت الاتصال.

عندما هاتفتُ جاك، هدَّأت من روعي، فلم أكن قد تجادلتُ معه من قبل، أو صرخت في وجهه عبر الهاتف كزوجة وقحة، حيث إن ذلك لن يُفيد بشيء. من الواضح أن خطبًا ما قد ألم به، واحد من عملائه، أو مشكلة طرأت في اللحظة الأخيرة وعليه أن يحلها قبل مغادرتنا لتايلاند. سيكون مكدَّرًا تمامًا بسبب أمر ما عكَّر عليه ليلة زفافه كما أحدس.

ارتحتُ حين سمعت رنين هاتفه، وغمرتني السكينة بأنه لم يكن مشغولًا بمهاتفة شخص آخر، وصار لدي رجاء أن المشكلة -مهما كانت- قد تم حلها. لكن حين لم يجب، كتمتُ صرخة الإحباط وتركتُ رسالة على بريده الصوتي.

- جاك، أين أنت بالله عليك؟ أيمكنك معاودة الاتصال من فضلك؟

أغلقتُ الخط، وبدأتُ أذرع الغرفة بلا كلل، متسائلة أين ذهب. وقعَت عيناي على الساعة فوق المنضدة المجاورة للسرير، وكانت تشير إلى التاسعة. حاولت أن أتخيل لماذا لم يُجب جاك مكالمتي، وتساءلت عما إذا كان أحد الشركاء الآخرين قد جاء إلى الفندق للتحدث معه. وبعد مرور عشر دقائق أخرى، عاودتُ الاتصال به. هذه المرة وُجِّهتُ مباشرة إلى بريده الصوتي. سجلت صوتي بحدة قائلة:

- جاك، أرجوك عاود الاتصال بي. (على الرغم من معرفتي بأنه أغلق الهاتف بعد مكالمتي الأخيرة). أود أن أعرف مكانك.

حملتُ حقيبتي على السرير، فتحتها، وأخرجتُ منها البنطال والقميص البيج اللذين كنت أخطط لارتدائهما غدًا في أثناء السفر. شددت البروتيل على جسدي، ثم ارتديت ملابسي بسرعة، ووضعت بطاقة المفتاح في جيبي، وهممت بمغادرة الغرفة حاملةً هاتفي.

كنت مشوشة لا أستطيع الجلوس وانتظار المصعد، لذا نزلت على الدرج حتى الردهة وتوجهت لمكتب الاستقبال.

- السيدة أنجيل، أليس كذلك؟ (ابتسم لي الشاب خلف المكتب) كيف يمكنني مساعدتك؟

- في الواقع، إنني أبحث عن زوجي. هل رأيته في أي مكان؟

- أجل، لقد نزل منذ نحو ساعة، بعد وقت قصير من تسجيل دخوله للفندق.

- هل تعرف أين ذهب؟ هل ذهب إلى الحانة؟

هز رأسه:

- لقد خرج من البوابة الأمامية. افترضتُ أنه سيحضر شيئًا من السيارة.

- هل رأيته يعود إلى الداخل؟

- لا، لم أره، لكنني كنت مشغولًا بالحديث مع نزيل آخر لبعض الوقت، لذا فمن المحتمل أنني لم أره في أثناء ذلك.

نظر إلى الهاتف في يدي وقال:

- هل حاولتِ الاتصال به هاتفيًّا؟

- نعم، لكن هاتفه مغلق. ربما يكون في الحانة، غارقًا في حزنه لأنه الآن رجل متزوج.

ابتسمتُ، محاوِلة تخفيف الأمر.

- سأذهب وألقي نظرة.

شققتُ طريقي نحو الحانة ولم أجد ثمة أثرًا لجاك. بحثتُ في الصالات العديدة وغرفة اللياقة البدنية والمسبح. وفي طريقي للبحث عنه في المطعمين، تركتُ رسالة أخرى على بريده الصوتي، وكان صوتي يتفجر من القلق.

- ألم يحالفك الحظ؟

أعطاني موظف الاستقبال نظرة تعاطف حين عدتُ بمفردي.

هززتُ رأسي وقلت:

- أخشى ألا أجده في أي مكان.

- هل تأكَّدتِ من وجود السيارة في موقف السيارات؟ على الأقل ستعرفين ما إذا كان قد برح الفندق أم لا.

خرجتُ من الأبواب الأمامية واتبعتُ الممر المفضي لموقف السيارات في الجزء الخلفي من الفندق. لم تكن السيارة حيث تركها جاك، ولا في أي مكان آخر. لم أرغب في العودة عبر الردهة ولقاء موظف الاستقبال مرة أخرى، دخلت من الباب الخلفي وصعدت الدرج في اتجاه غرفة النوم، داعية الله أن أجد جاك هناك، وأُفاجأ بأنه عاد في أثناء ذهابي للبحث عنه. عندما وجدت غرفة النوم خالية، اغرورقَت عيناي بالدموع وانفجرتُ في البكاء من شدة الإحباط. أخبرتُ نفسي بأن حقيقة عدم وجود السيارة تشرح لماذا لم يرد على المكالمات، فهو لا يجيب على الهاتف مطلقًا في أثناء القيادة. بيد أنه لو كان عليه الذهاب إلى المكتب من أجل بعض المهام العاجلة، فلماذا لم يطرق باب الحمام ويخبرني بذلك؟ وإذا لم يكن يرغب في إزعاجي في أثناء الاستحمام،

فلماذا لم يترك لي رسالة على الأقل؟ بدأت الهواجس تتراكم بداخلي، اتصلتُ برقمه وتركتُ رسالة تقول بحرقة إنني لو لم أسمع منه خلال الدقائق العشرة التالية، سأتصل بالشرطة. كنت أعلم أن الشرطة ستكون آخر ملجأ أتجه إليه، وأنني قبل اتصالي بهم سأتصل بآدم بالتأكيد، غير أني أملتُ أن يدرك جاك مدى قلقي عليه حين أذكر الشرطة.

غدت أطول عشر دقائق في حياتي. وبعدها، وفيما كنت على وشك الاتصال بآدم، أصدر هاتفي صفيرًا؛ تلقيت رسالة نصية. تنفست الصعداء، فتحتها وحالما وجدتُ أنها من جاك، تدحرجَت دموع الارتياح من عيني، فصار من المستحيل أن أقرأ ما فيها. بيد أن ذلك لم يكن مهمًّا، لأني كنت أعرف مُسبقًا ما سيقوله، علمت بأنه سيقول إنه تم استدعاؤه على نحو عاجل، وأنه آسف لأني أخذت على عاتقي هَمَّ اختفائه، لكنه لم يستطع الرد على الهاتف في أثناء الاجتماع، وأنه سيعود قريبًا، وأنه يحبني.

أخذت منديلًا من العلبة الموضوعة فوق المنضدة، ومسحت عيني، جففتُ أنفي، ونظرت إلى الرسالة مرة أخرى. «*لا تكوني هستيرية هكذا، فهذا لا يناسبك. حدث أمر ما، سأراك في الصباح*».

جلستُ على السرير مذهولة، أقرأ الرسالة مرة بعد الأخرى، مقتنعة بأنني قد أسأتُ فهمها لسبب أو لآخر.

لم أستطع التصديق بأن يكتب جاك شيئًا قاسيًا جدًّا ومقتضبًا على هذا النحو.

فلم يتحدث معي بهذه الطريقة من قبل، ولم يرفع صوته معي قط. شعرت بأن صفعة قد انطبعَت على وجهي. ولماذا لن يعود حتى صباح الغد!

أستحق بكل تأكيد بعض الشرح والاعتذار، على الأقل!

استبد بي الغضب بغتة، فعاودتُ الاتصال به، بينما كنتُ أرتجف من الغيظ، أتحداه في الرد.

وحينما لم يرد، أجبرتُ نفسي على ألا أترك بريدًا صوتيًّا قد أندم عليه لاحقًا. احتجتُ إلى التحدث لشخص ما بشدة، ووجدتُ أني لا أستطيع الاتصال

بأي أحد، فقد كانت علاقتي بوالديَّ رسمية لدرجة لا تسمح لي بالنشيج على الهاتف، ولسبب ما شعرت بالخجل من إخبار أي من أصدقائي. اعتدتُ أن أثق في كيت وإميلي، لكنني أدركت مدى إهمالي لهما منذ أن قابلت جاك، لذلك لم أشعر بالقدرة على الاتصال بهما كذلك. فكرتُ في الاتصال بآدم لمعرفة ما إذا كان يعرف سبب استدعاء جاك بطريقة فجائية، لكن لأنهما لا يعملان في نفس المجال، لم أكن واثقة أنه سيعرف السبب. ومرة أخرى، كان ثمة شعور بالخجل من أن شيئًا يمكن أن يكون أكثر أهمية مني بالنسبة إلى جاك في ليلة زفافنا. بذلتُ جهدًا لكي أحسر الدموع التي تساقطت من عيني على المنديل.

لو كان برفقة أحد المحامين الآخرين، حسب اعتقادي، وحُبس في اجتماع بالغ الأهمية، فمن الطبيعي أن يُغلق الهاتف بعد محاولتي الأولى للاتصال به، حتى لا يتعرض للمزيد من الإزعاج. ربما كان ينوي معاودة الاتصال بي حالما تسنح الفرصة.

لكن يجب أن يكون الاجتماع قد استغرق وقتًا أطول من المتوقع، وقد استمع لرسائلي في أثناء استراحة موجزة، وغضب من نبرة صوتي، فانتقم مني بإرسال الرسالة النصية الحادة، بدلًا من الاتصال بي. وربما خمَّن أنه لو تحدث معي في التو واللحظة، فسأكون منهارة لدرجة لا تمكنه من العودة إلى اجتماعه. بدا كل شيء معقولًا جدًّا، لدرجة أشعرتني بالندم على التصرف بهستيريا كما وصفني.

لقد كان جاك محقًّا في صب جام غضبه عليَّ. استوعبتُ بالفعل كيف يمكن أن يؤثر عمله على علاقتنا، فالله وحده يعلم عدد المرات التي كان فيها متعبًا جدًّا أو مرهقًا لدرجة انعدام قدرته على ممارسة العلاقة الحميمية، وقد اعتذر بالفعل عن ذلك، وتوسل إليَّ لكي أتفهم أن طبيعة عمله تجعله لا يستطيع أن يكون معي عقلًا وجسدًا في كل وقت. وبالنسبة إلي، كنت فخورة بفكرة أننا لا نتجادل مطلقًا، بيد أنني كنت ساعتها أقف أمام أول عقبة.

لم أرغب في أي شيء سوى رؤية جاك، لكي أعبر له عن مدى أسفي، وأحس بذراعيه تلتف حولي، وأسمعه يهمس لي بأنه سامحني.

عند قراءة رسالته لمرة ثانية، أدركتُ أنه حين قال إنه سيراني في الصباح، كان يقصد خلال الساعات القليلة المقبلة. فاجتاحني هدوء شديد، وكذلك إعياء عاتٍ لا يُقاوم، فخلعت ملابسي ونهضت إلى السرير، ورحتُ أتلذذ بتخيُّل كيف سيوقظني جاك قبل مرور زمن طويل، لكي يمارس الحب معي. ثم انحسر رجائي في كون ميلي لا تزال نائمة بهدوء، ورحتُ أغط في نوم عميق. لم يخطر ببالي أن جاك قد يقضي الليلة بصحبة امرأة أخرى، لكنها كانت أول فكرة تخطر لي حين استيقظتُ صباح اليوم التالي بعد الساعة الثامنة ووجدتُ أنه لم يرجع بعد. قاومتُ الذعر الذي تملكني، أمسكت بهاتفي المحمول، متوقعة أن أجد رسالة منه، حتى لو كانت رسالة تقول متى سيعود إلى الفندق. لكن لم يكن هناك رسائل، ولأنه كان محتملًا أن يكون قد قرر النوم لبضع ساعات في المكتب، وجدتُني أقع في حيرة شديدة، إن كان الأصوب أن أتصل به وأوقظه. لكنني لم أستطع الصبر أطول من ذلك، فاتصلت به على أي حال. وحين تلقيت رسالة بريده الصوتي، أخذت نفسًا عميقًا وتركت رسالتي بنبرة عادية حاولتُ استجماعها قدر المستطاع، وطلبت منه إخباري بتوقيت مجيئه إلى الفندق، وأننا بحاجة إلى الاتصال بالمستشفى لرؤية ميلي في طريقنا إلى المطار. ثم استحممت، وارتديت ملابسي، وجلست أنتظر.

في أثناء انتظاري، أدركت أنني لم أكن أعرف حتى موعد رحلتنا. كنت أعرف أن جاك ذكر شيئًا عن رحلة ما بعد الظهر، كما سيتعين علينا أن نكون في المطار قبلها بساعتين على الأقل. في النهاية، تلقيت رسالة نصية من جاك بعد نحو الساعة، وانتابتني الحيرة من جديد بسبب نبرتها غير المفهومة؛ لم يقدم أي اعتذار، ولم يذكر شيئًا أكثر من ضرورة لقائه في موقف سيارات الفندق في تمام الحادية عشرة. وفي أثناء هبوطي في مصعد الفندق وأنا أجرجر حقيبتي سفر وأحمل حقائب اليد، تهيجت معدتي بفعل القلق. سلمت مفتاح الغرفة في مكتب الاستقبال، وفرحت لرؤية شابة لطيفة بدلًا من الرجل الذي تحدثت إليه في الأمس، رجوتُ ألا تعرف شيئًا عن زوجي المتغيِّب. ساعدني الحمال في نقل الأمتعة لموقف السيارات. قلت له إن زوجي ذهب لتزويد الوقود، وتوجهت رأسًا إلى مقعد قريب متجاهلة اقتراحه بأن الأفضل

أن أنتظر بالداخل في دفء ردهة الفندق. لم أرِد أخذ معطف ثقيل معي لتايلاند، ولأنني خمنت بأني سأمضي من الفندق إلى السيارة رأسًا، ومنها إلى المطار، غامرت بالخروج في الهواء الطلق بسترة لا تقيني الرياح الشديدة التي تهب على موقف السيارات. وحالما ظهر جاك بعد نحو خمس وعشرين دقيقة، كان لوني قد ازرقَّ من البرد وصرت على وشك البكاء. أوقف جاك السيارة على بعد بضعة أقدام مني، ونزل منها ومشى لحيث كنت جالسة في انتظاره. قال:

- ادخلي.

وحمل الحقائب ووضعها بداخل صندوق الأمتعة.

سرَت برودة قارصة عبر جسدي، لدرجة أني تعثرتُ على مسافة قريبة من السيارة واندفعت صوب الباب، وتُقتُ إلى الإحساس بالدفء بداخل السيارة. انتظرته حتى يتكلم ويقول شيئًا -أي شيء- يفسر به ما حدث منه، وبسبب صمته شعرتُ كما لو أنني أجلس بجوار شخص غريب لا أعرفه. وحين استمر الصمت لمدة طويلة، استجمعتُ شجاعتي ورفعتُ نظري إليه. صدمَتني جَفوته التي ارتسمت على ملامحه، إذ كنتُ أتوقع أن ألمح غضبًا أو إنهاكًا أو انزعاجًا، لكن لم يكن ثمة مشاعر من الأساس. سألتُه بتردد:

- ما الذي يحدث يا جاك؟

جاء رد فعله كأنني لم أفُه بكلمة. صرختُ:

- بحق السماء يا جاك! ما الذي يحدث بحق الجحيم؟

قال بغيظ:

- من فضلك لا أحب هذه الطريقة.

نظرتُ إليه مشدوهة.

- ماذا تظن؟ تريد أن تختفي دون أن تنبس بكلمة، وتتركني أقضي ليلة زفافنا بمفردي، ثم تتأخر نصف ساعة حين تأتي لكي تُقلني، وتتركني أنتظر في البرد القارس! بالتأكيد لدي الحق أن أغضب!

قال:

- لا، على الإطلاق، ليس لكِ أي حق لتغضبي.
- لا تكن سخيفًا! هل ثمة شخص آخر يا جاك؟ أهذا كل ما في الأمر؟ هل أنت مغرم بواحدة؟ هل كنت تزجي وقتك طوال الليلة الفائتة معها؟
- الآن أنت السخيفة، أنت زوجتي يا غريس، فلِم أحتاج إلى غيركِ؟

هززتُ رأسي بقهر شديد:

- أنا لا أفهمك. هل ثمة مشكلة في العمل؟ شيء ليس بمقدورك إخباري به؟
- سأشرح كل شيء حين نصل إلى تايلاند.
- لماذا لا تخبرني الآن؟ أرجوك يا جاك، أخبرني ما الخطب.
- في تايلاند.

وددتُ من كل قلبي لو أني أخبرتُه بعدم رغبتي في السفر لتايلاند في هذه الحالة المزاجية، لكن غمرني إحساس بالارتياح لحقيقة أني حالما أصل هناك سأحصل -على الأقل- على تفسير لهذه البداية شديدة السوء لزواجنا. ولأنه بدا متعكر المزاج لسبب ما يتعلق بمشكلات العمل، لم أشعر بقلق شديد حيال مستقبلي معه، وأني سأرى من هذا الكثير فيما بعد. كنت منشغلة جدًّا بالتوصل لطريقة للتأقلم مع هذا الشخص الذي لم أعرفه من قبل، لذا مرت فترة قبل أن أدرك أننا نتوجه مباشرة إلى المطار. نشجت قائلة:

- ماذا عن ميلي؟ أليس من المفترض أن نراها؟!
- أخشى أن الأوان قد فات، يتحتم علينا الآن أن نعود أميالًا إلى الوراء.
- لكنني أخبرتك في رسالتي بأنه يتوجَّب علينا التوقف عند المستشفى!
- حسنًا، لم تقولي أي شيء يخص ميلي والذهاب إلى المستشفى حين ركبتِ السيارة، لذلك اعتقدتُ أنك غيرتِ رأيك، وعلاوة على ذلك، ليس لدينا الوقت فعلًا.
- لكن رحلتنا لن تغادر قبل ظهر هذا اليوم!

- ستقلع الطائرة في الثالثة، ما يعني أنه يتعين علينا أخذ بطاقات الركوب في تمام الثانية عشرة.

- لكنني وعدتُها! أخبرتُ ميلي بأنني سأذهب لرؤيتها هذا الصباح!

- متى؟ متى أخبرتِها بهذا، لا أتذكر.

- حين كانت في سيارة الإسعاف!

- كانت فاقدةً للوعي، وبالكاد ستتذكر.

- ليس **هذا** هو المقصود! على أي حال، لقد أخبرتُ أمي بأننا سنأتي لرؤية ميلي، وستخبرها بالتأكيد.

- إذا شاورتِني في الأمر أولًا، لكنتُ أخبرتكِ بأنه محال.

- متى كان يمكنني أن أقوم بمشاورتك؟ حين لم تكن موجودًا يا جاك؟! أرجوك عُد إلى الوراء، لدينا متسع من الوقت. قد يفتح تسجيل صعود الطائرة في الثانية عشرة، لكنه لن يغلق إلا بعد ذلك بوقت طويل. لن أبقى طويلًا، أعدك، أريد فقط أن أراها.

- لا نقاش حول هذا الأمر، أعتذر.

بكيت وقلت:

- لماذا تفعل هكذا؟ إنك تعرف ميلي وتعلم أنها لن تتفهم لو لم أزرها.

- أجل، اتصلي بها وفسِّري لها الأمر، هاتفيها وأخبريها بأنكِ أسأتِ الفهم.

نهشني الإحباط، فانفجرت باكية:

- لم أسئ الفهم (قلت بين شهقات البكاء) لدينا متسع من الوقت، وأنت تعرف هذا.

لم يرني أبكي من قبل، ومع أنني شعرت بالخجل من نفسي بسبب هذا البكاء، إلا أنني رجوت أن يستوعب كم كان غير معقول معي. لذا حين انعطفَت السيارة عن الطريق، ومضى بها نحو محطة خدمة على نحو مفاجئ، مسحتُ عينيَّ وخُيل إليَّ أنه سيستجيب لي ويستدير إلى الخلف، همست فيما يوقف السيارة:

- شكرًا لك.

لكنه أطفأ المحرك واستدار نحوي قائلًا:

- أنصتي لي يا غريس، واستمعي جيدًا. إذا كنت ترغبين في الذهاب لرؤية ميلي، يمكنك القيام بذلك، تستطيعين الخروج من السيارة الآن، وإيقاف سيارة أجرة تأخذك إلى المستشفى. لكنني ذاهب إلى المطار، وإذا اخترتِ المضي إلى المستشفى فلن تأتي معي لتايلاند. إن الأمر بهذه البساطة.

طأطأتُ رأسي، وأخذت الدموع تنهمر على خدي.

- لا أصدق ما تفلعه بي (قلتُ وأنا أنوح)، تخيرني بينك وبين ميلي، لن تفعل هذا بي لو أنك تحبني.

- مع أن هذا هو الواقع فعلًا.

- كيف يمكنني الاختيار؟! (رمقته بحزن) أحبكما بنفس القدر!

تنهَّد تنهيدة امتعاض:

- يحزنني أنك تؤلفين أغنية وترقصين عليها. بالطبع ينبغي أن يكون الأمر بسيطًا. هل ستُنهين زواجنا برمته، لأنني أرفض العودة لرؤية ميلي بينما نحن فعلًا في الطريق إلى المطار؟ هل أعني لك القليل إلى هذه الدرجة؟

- لا، بالطبع لا.

أوقفتُ سيل دموعي.

- ألا تعتقدين أنني كنت سخيًّا جدًّا معكِ طوال الوقت، ولم أشتكِ قط من طول الوقت الذي نقضيه مع ميلي نهاية كل أسبوع؟

قلت بائسة:

- أجل، أعتقد.

أومأ برأسه راضيًا:

- إذًا ماذا تختارين يا غريس؟ المطار أم المستشفى؟ زوجك أم أختك؟ (توقف لبرهة وخاطبني بهدوء) أنا أو ميلي؟

- أنت بالطبع.

- حسنًا. والآن أين جواز سفرك؟

غمغمت قائلة:

- في حقيبة يدي.

- أيمكنني أخذه؟

أمسكت حقيبتي، وتناولتُ جواز سفري وسلمته إليه.

قال:

- شكرًا لكِ.

ووضعه في الجيب الداخلي لسترته. ودون كلمة أخرى، أدار محرك السيارة وخرج من محطة الخدمة وعاد إلى الطريق السريع. وعلى الرغم مما حدث، لم أستطع أن أصدق حقًا كونه لن يأخذني لرؤية ميلي، وتساءلت عما إذا كان ما حدث للتو نوعًا من الاختبار، ولأنني آثرتُه عليها فقد يوافق الآن أن يأخذني للمستشفى.

ثم وجدتنا متجهَين مرة أخرى صوب المطار، فشعرت باليأس، ليس فقط بسبب ميلي، ولكن لأني خلال الشهور الستة التي انقضت منذ قابلتُ جاك، فاتني أن ألمح هذا الجانب المتسلط من شخصيته. لم أتخيله للحظة إلا أروع رجل في الكون، وأكثر الناس عقلانية على الإطلاق. دفعتني غريزتي أن أطلب منه إيقاف السيارة كي أنزل منها، لكن وجدتُني خائفة مما قد يحدث لو فعلتُ ذلك. في تلك الحالة المزاجية التي كان فيها، لم تكن ثمة طريقة لمعرفة ما إذا كان سينفذ تهديده ويسافر لتايلاند دوني أم سيتراجع عنه. وماذا لو فعل؟ أين يمكن أن يتركني؟! هل هذا هو الزواج الذي رغبنا فيه؟! وبحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى المطار، شعرت بغثيان غير محتمل بسبب الإجهاد. وفيما كنا نقف في صف الانتظار قبل صعود الطائرة، اقترح جاك أن أتصل بأمي وأخبرها بأننا لم نستطع الذهاب إلى المستشفى، وقال إن عليَّ أن أقوم بذلك

على وجه السرعة، فكلما اتصلتُ بها مبكرًا سيكون أفضل للجميع. كنت لا أزال في حيرة مما فعل، غير أني فعلت كل ما طلب مني، وحين حوِّلَت مكالمتي إلى بريد أمي الصوتي، لم أعرف ما إذا كان عليَّ أن أشعر بالضيق أم بالارتياح. عمومًا، فكرتُ أني ربما لا أستطيع الحديث مع ميلي في هذه اللحظة، فتركتُ رسالة توضح أني أسأت تقدير وقت رحلتنا فلم أتمكن من المجيء لرؤية ميلي، وطلبتُ من أمي أن تقبِّلها نيابة عني وأن تخبرها بأنني سأتصل بها حالما نهبط في تايلاند. وحين انتهيت من التسجيل، ابتسم جاك وأمسك بيدي، ولأول مرة على الإطلاق شعرتُ بالرغبة في انتزاعها منه. ثم حان دورنا في الدخول إلى الطائرة، وكان جاك قد فتن المضيفة بشدة، وقال لها إننا تزوجنا للتو، وشرح لها كيف مر يوم زفافنا بشكل كارثي، حيث سقطَت وصيفتنا -المصابة بمتلازمة داون- من أعلى الدرج وكُسرت ساقها، عندها تم نقل مكانينا إلى الدرجة الأولى.

بيد أن ذلك لم يُشعرني بأي تحسن، بل إن كان ثمة شعور قد استبدَّ بي، فهو اشمئزازي من طريقته في استغلال حالة ميلي ليستميل تعاطف المضيفة معنا. لم يكن جاك القديم الذي أعرفه ليفعل هذا أبدًا. انشغلتُ في التفكير في كيفية قضاء الأسبوعين المقبلين مع شخص صار يبدو لي غريبًا، بل مرعبًا. ومع ذلك، فلم يكن ثمة بديل إلا إخبار جاك بأنني لا أريد السفر معه إلى تايلاند. وحتى بعدما مررنا من مكتب الجوازات، لم أستطع التخلص من شعوري بأني ارتكبتُ أكبر خطأ في حياتي. شعرتُ بحيرة أكبر في صالة المغادرة، عندما جلس جاك وبدأ يقرأ في الصحيفة وذراعه تحيط بكتفي كما لو أنه لا ينشغل بأي شيء آخر في العالم الذي يدور حوله. رفضتُ الشمبانيا التي قُدِّمت لي، على أمل أن يفهم جاك أنني في حالة مزاجية لا تسمح بالاحتفال. لكنه قبِل الكأس ببساطة، وبدا أنه لم يتأثر ولو قليلًا بالفجوة التي صارت بيننا الآن. حاولتُ أن أقول لنفسي إن ما حدث لا يعدو ما يحدث من شجارات بين المُحبين، ليس إلا ومضة عابرة على طريق زواج طويل وسعيد، لكنني كنت أعلم أنه أكثر خطورة من ذلك. وفي محاولة يائسة لفهم كيف حدثت هذه الفجوة، راجعتُ كل ما جرى معي منذ خرجتُ من حمام

الغرفة قبل أقل من أربع وعشرين ساعة، وحين تذكَّرت الرسائل المفجعة التي تركتها على بريده الصوتي، بدأت أتساءل عما إذا كنتُ أنا المخطئة. لكنني كنت أعلم أني لستُ كذلك، كنت موقنة من أن ذلك خطأ جاك، لقد كنت متعبة بشدة، ولم أتمكن من معرفة السبب. صرت غير قادرة على الانتظار حتى نصعد على متن الطائرة، فقد كنتُ آمل أن أصل إلى تايلاند في حالة ذهنية أفضل بعد أن تم التلاعب بي لمدة أربع عشرة ساعة. رفضتُ تناول أي شيء في صالة المغادرة، لذلك شعرتُ بجوع شديد في الوقت الذي صرنا فيه على وشك الصعود إلى متن الطائرة، فقد كنت منزعجة جدًّا من فكرة تناول الإفطار. صار جاك أكثر اهتمامًا بي حين استقررنا في مقعدَينا، وراح يتأكد أن لديَّ كل ما أحتاج إليه، فبدأ مزاجي يتحسن تدريجيًّا. وحين بدأت أسترخي وشعرت بأن عينيَّ تغمضان، سأل جاك:

- هل أنتِ متعبة؟

- أجل (أومأت برأسي)، وجائعة جدًّا. لو غفوت، هل يمكنك إيقاظي وقت تقديم العشاء؟

- بالطبع.

استغرقت في النوم قبل أن تقلع الطائرة. وحينما فتحت عيني من جديد، كانت المقصورة مظلمة والجميع نائمون. فقط جاك هو مَن كان مستيقظًا ويقرأ في الصحيفة. نظرتُ إليه في ذهول.

- أظن أنني طلبتُ منك إيقاظي لتناول العشاء؟

- تصوَّرتُ أنه من الأفضل ألا أزعجك. لكن لا تقلقي، سيقدمون وجبة إفطار في غضون ساعتين.

- لا يمكنني الانتظار ساعتين أخريين؛ لم أتناول الطعام منذ الأمس!

- إذًا اطلبي من إحدى المضيفات أن تحضر لكِ شيئًا.

حدقتُ إليه باستغراب شديد؛ في حياتنا السابقة، قبل أن نتزوج، كان سيرتب الأمر مع المضيفة بنفسه. أين ذاك الرجل المثالي الذي اعتقدتُ أنه

اختفى؟ هل كان الأمر كله صورة مصطنعة، هل غطى نفسه بعباءة من اللطف وروح الدعابة فقط ليُثير إعجابي؟! وضع الصحيفة شاعرًا بعينيَّ المعلَّقة به.

سألتُه بهدوء:

- مَن أنت يا جاك؟

قال:

زوجك (كرر) أنا زوجك.

وأخذ يدي في يده ورفعها إلى شفتيه وقبَّلها وقال:

- للأفضل أو للأسوأ، في المرض وفي العافية، حتى يفرقنا الموت.

ترك يدي، وضغط على الزر، واستدعى المضيفة التي جاءت على الفور.

- هل يمكنكِ إحضار شيء لزوجتي حتى تأكله، من فضلك؟ فاتتها وجبة العشاء.

قالت مبتسمة:

- بالتأكيد يا سيدي.

قال جاك فور أن غادرت:

- هاك، سعيدة؟

ثم عاد لصحيفته. كنت مسرورة لكونه فاتته رؤية دموع الامتنان المثيرة للشفقة التي اغرورقت بها عيناي.

حين جاء الطعام، أكلته بسرعة، ولم أرغب في الحديث مع جاك، فقد نمت حتى بدأنا نهبط إلى بانكوك.

أصر على اتخاذ جميع الترتيبات الخاصة بشهر العسل بمفرده، فقد أراد أن يفاجئني بكل شيء. كان قد زار تايلاند عدة مرات من قبل، وعرف أفضل أماكن الإقامة هناك، لذلك، وعلى الرغم من أنني ألمحت بحماس إلى جزيرة كوه ساموي، لم تكن لدي أدنى فكرة عن المكان الذي نزلنا فيه بالفعل. لم يسعني إلا الشعور بخيبة الأمل حين قادني نحو سيارات الأجرة بدلًا من التوجه إلى صالة الرحلات الداخلية. وبعد فترة وجيزة، صرنا في طريقنا إلى

وسط بانكوك، وبدأتُ أشعر بالإثارة بسبب صخب المدينة، على الرغم من خوفي المعتاد من الضوضاء.

أمام فندق يدعى المعبد الذهبي، أبطأت سيارة الأجرة سرعتها. تحسَّنت معنوياتي لدى رؤية واحد من أجمل فنادق المدينة ينتصب أمامي. لكن بدلًا من التوقف عنده، واصلَت سيارة الأجرة طريقها حتى وصلنا أمام فندق جيد نسبيًّا، لكنه أقل فخامة بالطبع، على بعد ثلاثمائة متر فقط من الأول. كانت الردهة أفضل من الواجهة، سوى أنه حين دخلنا غرفتنا وجدنا الحمام صغيرًا جدًّا، بحيث واجَه جاك صعوبة في الاستحمام، كنت أتوقع منه أن يستدير ويغادر في الحال. لكنه قال:

- ممتاز.

وخلع سترته وعلقها في خزانة الملابس.

- هذا يفي بالغرض تمامًا.

قلت وأنا أجول بنظري في أنحاء الغرفة:

- جاك، لا يمكنك أن تكون جادًّا. بالتأكيد يمكننا أن نجد ما هو أفضل من هذا.

- حان وقت الاستفاقة يا غريس.

تجلت الجدية القاتمة في محياه. تساءلت لماذا لم يخطر ببالي أنه ربما فقد وظيفته؟ وكلما تأملت الأمر أكثر، أدركت أنني عثرت أخيرًا على التفسير المؤكد للتغيير المفاجئ الذي حلَّ به. جلست أفكر، وشرع ذهني يتخبط في زوبعة من الفرضيات حتى يحل المعضلة، فمن المحتمل تمامًا أنه عاد إلى المكتب يوم السبت -بينما كنت أستحم- في محاولةٍ لترتيب أمور التخارج مع شركائه الآخرين، قبل سفرنا لشهر العسل. بالطبع لم يرِد أن يخبرني في أثناء حفل زفافنا بخبر كهذا، وبالطبع بدت رغبتي في زيارة ميلي تافهةً في نظره، بالمقارنة بما كان يمر به! لا عجب أنه كان يريد الانتظار حتى نصير في تايلاند لكي يخبرني بما حدث، لذا فمن الواضح أنه قام بتغيير حجز الفندق

لآخر أقل سعرًا. أعددت نفسي لسماع أنه لم ينجح في التفاوض مع شركائه بشأن استمراره في وظيفته. سألته:

- ماذا حدث؟

- أخشى بأن الحلم قد انتهى.

قلت مطمْئنة:

- لا يهم. سنتدبر أمرنا.

وقلت لنفسي إنه قد يكون أفضل شيء حدث لنا.

- ماذا تقصدين؟

- حسنًا، أثق في كونك ستستطيع بسهولة أن تحصل على وظيفة أخرى، كما يمكنك أن تفتتح مكتبك الخاص لو أردت. وإن ضاقت بك الظروف، أستطيع دائمًا أن أعود إلى العمل. لكن لا يمكنني استعادة وظيفتي السابقة من جديد، غير أني أوقن بأنهم سيقبلونني بشكل أو بآخر.

نظر إليَّ مستمتعًا:

- لم أفقد وظيفتي يا غريس.

حدقت إليه:

- إذًا ما كل هذا؟

أومأ برأسه في أسى:

- كان ينبغي لكِ أن تختاري ميلي، كان يجدر بك عمل هذا فعلًا!

أحسست بوخز الخوف ينهشني حتى عمودي الفقري. سألته:

- ما هذا الذي يحدث؟ (حاولتُ أن أُبقي نبرة صوتي هادئة قدر المستطاع) لمَ تفعل ذلك؟!

- أتدركين ما الذي فعلتِه؟ أتدركين أنك قد بعتِ روحك لي؟ وروح ميلي كذلك (هنا توقف لبرهة) وبخاصة ميلي.

قلت بحدة:

- توقف! توقف عن اللعب بي!

- إنها ليست لعبة.

بث هدوؤه الذعر بداخلي. شعرتُ بعيني تتجول في جنبات الغرفة، تبحث لا شعوريًّا عن أي مَخرج.

قال مؤنِّبًا:

- لقد فات الأوان.. راحت عليك!

- لا أفهم (قلتُ فيما أخنق عبراتي من جديد) ما الذي تريده؟

- أريد ما في حوزتي الآن بالضبط؛ أنتِ وميلي.

- ليس لديك ميلي، وبالتأكيد لم تحصل عليَّ بعد.

انتزعتُ حقيبتي، ونظرتُ إليه بغضب عارم وقلت:

- سأعود إلى لندن.

سمح لي بالعبور إلى الباب وقال:

- غريس؟

أخذت وقتي قبل أن أستدير نحوه، لم أكن متأكدة من ردة فعلي حين يُخبرني بما أعلم أنه سيقوله، إن الأمر كله ضرب من المزاح السخيف. لم أكن أريده أيضًا أن يرى مدى ارتياحي لذلك، لأنني لم أستطع تحمل التفكير فيما كان ليحدث لو أنه سمح لي بتخطي العتبة.

سألته ببرود:

- ماذا؟

فوضع يده في جيبه وأخرج جواز سفري.

- ألم تنسَي شيئًا؟ (أمسكه بين إبهامه وسبابته، وعلَّقه أمامي) لا يمكنك الذهاب إلى لندن دونه كما تعلمين. في الواقع، لا يمكنك الذهاب إلى أي مكان من غيره.

مددت يدي نحوه:

- أعطني إياه، من فضلك.

- لا.

- أعطني جواز سفري يا جاك! أعني ما أقوله!

- حتى لو أعطيتك إياه، كيف ستذهبين إلى المطار دون نقود؟

قلتُ بغطرسة:

- لدي مال (فرِحةً بأنني اشتريتُ بعض «الباتات» قبل مغادرتنا) لدي أيضًا بطاقة الائتمان.

قال:

- لا (وأخذ يهز رأسه بأسف) ليس بحوزتك شيء بعد الآن.

عندها شرعتُ أفتش عن حقيبتي بسرعة، وتبين لي أنها اختفت، وكذلك هاتفي المحمول.

- أين حقيبتي وهاتفي؟ ماذا فعلت بهما؟

اندفعت أبحث وأنبش عنهما في حقيبة سفره.

قال مستمتعًا بما يحدث:

- لن تجديهما هناك، إنك تضيعين وقتك فحسب.

- هل تعتقد حقًّا أن بإمكانك الاحتفاظ بي كسجينة هنا؟! وأنه ليس بمقدوري الرحيل لو أردت ذلك؟

قال برصانة:

- هنا يأتي دور ميلي.

شعرت ببرودة تجتاحني.

- ماذا تقصد؟

- فكري في الأمر على هذا النحو؛ ماذا تظنين سيحدث لميلي لو توقفتُ عن دفع رسوم المدرسة؟ المصحة، ربما؟

- سأدفع أنا رسومها؛ لدي ما يكفي من المال من بيع منزلي.

- لقد دفعتِ لي هذا المال، أتذكرين؟ لشراء أثاث منزلنا الجديد، وهو ما فعلته بالضبط. أما بالنسبة إلى ما تبقى منه.. حسنًا، إنه ملكي الآن. ليس معك أي نقود يا غريس، لا شيء على الإطلاق.

- إذًا سأعود لعملي (أضفت بوحشية) وسأقاضيك لاستعادة بقية أموالي.

- لا، لن تفعلي. كبداية، لن تعودي إلى العمل من الأساس.

- لا يمكنك منعي.

- بالطبع يمكنني القيام بذلك.

- كيف؟ نحن في القرن الحادي والعشرين يا جاك. إذا كان ذلك يحدث فعلًا، ولم يكن نوعًا من المزاح السخيف، أتعتقد حقًّا أنني سأظل زوجتك؟

- أجل، لأنه لن يكون لديك خيار آخر. لِمَ لا تجلسين لكي أخبرك عن السبب.

- لست مهتمة بالسبب. أعطني جواز سفري ومالًا كافيًا للعودة إلى إنجلترا، وسنعد كل ما حدث خطأ فادحًا. يمكنك البقاء هنا لو رغبتَ في ذلك، وحينما تعود، نستطيع أن نخبر الجميع بأننا اكتشفنا كيف لا يُلائم أحدنا الآخر، فقررنا الانفصال.

- هذا كرم كبير منكِ.

وفيما بدا كما لو أنه ينظر في الأمر، وجدتُ نفسي أحبس أنفاسي.

- المشكلة يا غريس أني لم أرتكب أي خطأ. لم أفعل ولن أفعل أبدًا.

- أرجوك يا جاك (قلت بيأس)، من فضلك دعني أذهب.

- سأخبركِ بما سأفعل. إذا جلستِ سأشرح لكِ كل شيء، بالضبط كما وعدتك. وبعد ذلك، حين تكونين قد سمعتِ ما أريد أن أقوله، سأسمح لك بالمغادرة لو رغِبتِ في ذلك.

- أتعدني؟

- عند كلمتي.

قمت بسرعة بتقييم خياراتي، وعندما أدركت أنه ليس لدي خيار آخر، جلستُ عند حافة السرير، بعيدًا عنه قدر المستطاع.

- هيا إذًا.

أومأ برأسه.

- لكن قبل أن أبدأ، ولكي تفهمي مدى جديتي، سأفشي لك سرًّا.

رمقته بحذر:

- ماذا؟

مال صوبي وابتسامة صغيرة ترتسم على زاوية فمه، همس قائلًا:

- ليس هناك مدبرة منزل.

# الحاضر

أعود إلى المنزل بعد الغداء مع ديان وإستير، أصعد لغرفتي؛ كما أفعل دومًا. أسمع صوت اصطكاك المفتاح وهو يدور بداخل القفل، وبعد دقائق أسمع أزيز ستائر التعتيم التي تهبط؛ احتياط آخر كي لا أجد طريقي إلى الباب الموصد، أو أنسل عبر الدرج إلى الردهة. تلتقط أذني أدق الأصوات، فلا يوجد صوت آخر يشغلها، لا موسيقى ولا تلفاز، تلتقط أزيز البوابات السوداء فيما تفتح، وبعد مُضي برهة أخرى، صوت السيارة وهي تُعفِّر الطريق المفروش بالحصى.

لا ينتابني القلق من رحيله كما أشعر عادة، لأنني اليوم أكلت. ذات مرة، غاب عن البيت لثلاثة أيام، في تلك الفترة كنت على استعداد لأكل صابون الحمام. ألتفت حولي في جنبات الغرفة، التي صارت منزلي منذ ستة أشهر، ليس فيها الكثير، فيما عدا سرير، ونافذة ذات قضبان، وباب آخر. تفضي لحمام صغير، بوابتي الوحيدة إلى عالم مختلف، حيث يوجد الدوش، والحوض، والمرحاض، وكعكة صغيرة من الصابون، المنشفة هي الزينة الوحيدة. على الرغم من أنني أعرف كل شبر من هذين المكانين، فإن عيني تدور بحثًا فيهما باستمرار، فدائمًا ما تشغلني فكرة افتقادي لأي شيء يمكن أن يجعل حياتي أكثر قابلية لأن تُطاق؛ مسمار يمكن استخدامه في الحفر على حافة السرير، فأصب فيه كربي، أو على الأقل ترك بعض الأثر في محيطي لو اختفيتُ فجأة. لكن لا شيء. على أي حال، ليس الموت ما يفكر فيه جاك بالنسبة إلي، بل إنه يخطط لما هو أكثر دقة من ذلك، وكما هو الحال على الدوام، حين أفكر فيما هو قادم، أبتهل بالدعاء ابتهالًا محمومًا، أن يلقى حتفه في حادث سيارة وهو في طريقه إلى المنزل، إن لم يكن الليلة فقبل نهاية يونيو، أو حين تأتي ميلي لكي تعيش معنا، لأنه بعد ذلك سيكون الأوان قد فات. ليس لدي كتب، لا ورق، أو

حتى قلم يمكنني استخدامه لإلهاء نفسي. أقضي الأيام معلَّقة في الوقت، كتلة إنسانية سلبية. على الأقل، هذا ما يراه جاك.

في الحقيقة، أقضي جل وقتي في انتظار شيء سيحدث في وقت ما، لا بد أن يحدث ذلك ذات لحظة، لأنني لو اعتقدتُ أنه لن يحدث أبدًا، فكيف يمكنني الاستمرار؟ كيف يمكنني المُضِيُّ في التمثيلية التي صارت عليها حياتي الآن؟

كدت أعتقد أن الفرصة جاءت ذات يوم، والتي أجدني حين أتذكر ومضاتها أقول: كم كنت غبية جدًّا! كيف اعتقدتُ فعلًا أن يسمح جاك لي بحضور مأدبة غداء بمفردي، حيث يمكنني استغلال الفرصة للهروب؟ كل ما في الأمر أنه لم يخاطر قبل ذلك باصطحابي لمكان عام، غير أنه قرر أن يتسلى بأوهامي.

ذات مرة، حينما تظاهرت لديان بأنني نسيت أن ألتقي بها على الغداء، أخذني جاك لمنتصف الطريق إلى المطعم، ثم أعادني إلى البيت غارقًا في الضحك حين اسودَّ وجهي وغرقتُ في خيبة أمل يائسة، أدركت عندها أن فرصة الهروب صارت معدومة.

أفكر أحيانًا في قتله، لكنني لن أستطيع. فبدايةً، ليس لدي أي وسيلة للقيام بذلك. ليس لديَّ إمكانية الوصول لأدوية أو سكاكين، أو أي أداة قتل أخرى، لأنه يحجب عني كل شيء. لو طلبتُ إسبرين للصداع، وتنازل وقام بمنحي حبة منه، فإنه ينتظرني حتى أبلعها أمامه، كي لا أستطيع إخفاءها في مكان ما، حيث يمكنني رويدًا رويدًا ومع كل نوبة صداع أن أملك مخزونًا كافيًا لتسميمه. يقدم لي الوجبات في أطباق بلاستيكية، معها أدوات مائدة بلاستيكية وكأس بلاستيكية. وحين أقوم بإعداد الطعام لحفل عشاء، يكون حاضرًا في جميع الأوقات، ويراقبني بعناية فائقة فيما أعيد السكاكين لعُلَبها، في حال أقرر إخفاء واحدة لنفسي واستخدامها ضده في وقت ما. أحيانًا يقطع لي ما أحتاج إليه. على أي حال، ما فائدة قتله؟ إذ سيُزَج بي في السجن، أو أُحبَس في انتظار محاكمة، ماذا سيحدث عندها لميلي؟ لم أكن قط سلبية هكذا. قبل أن أفهم تمامًا وضعي المفعم باليأس، كنت أبرع في محاولاتي للابتعاد عنه. لكن في النهاية، لم يكن الأمر يستحق كل ذلك، فالثمن الذي أدفعه في كل مرة باهظ جدًّا. أقوم من السرير وألقي نظرة عبر النافذة إلى

الحديقة في الأسفل. صُنعت القضبان على مسافات قريبة جدًّا، بحيث يكون من غير المجدي أن أكسر الزجاج وأنسل من بينها، كما أن فرص العثور على أداة يمكنني إدخالها بين القضبان شبه معدومة. وحتى لو وجدتُ شيئًا بمعجزة ما، في إحدى المناسبات النادرة التي يسمح لي فيها بالخروج من المنزل، فلن أتمكن من إخفائه، فجاك دائمًا معي، هو حارسي، ووصيي، وسجّاني.

لا يسمح لي بالسير لأي مكان إلا بصحبته، ولا حتى لدورات المياه في المطاعم. يعتقد أنه لو تركني بعيدًا عن بصره لمدة ثانيتين، فسوف أغتنم الفرصة لإخبار شخص ما بمحنتي، وأطلب مساعدته حتى أهرب. لكنني لن أفكر في مثل ذلك، ليس ثانيةً، إلا لو كنت متأكدة بنسبة مائة في المائة بأنهم سيصدقونني، فلدي ميلي ماثلةً في أفكاري. هي السبب في أنني لا أطلب المساعدة في الشارع أو المطعم، إذ إن جاك أكثر مصداقية مني في أذهان الناس؛ جربتُها مرة وظُنَّ بي الجنون، بينما نال جاك التعاطف بسبب اضطراره لتحمُّل هذيان امرأة وهلوساتها التي لا تنتهي. لا توجد ساعة في غرفة نومي ولا أملك ساعة يد، سوى أنني أصبحت بارعة جدًّا في تقدير الوقت. يكون الأمر أسهل في فصل الشتاء، حينما يحل الليل مبكرًا، لكن في الصيف لا تكون لدي فكرة عن الوقت الذي يعود فيه جاك من العمل؛ يمكن أن يرجع في أي وقت بين السابعة والعاشرة مساءً، هذا كل ما أعرفه.

يبدو وضعي غريبًا، إذ أشعر بالارتياح كلما سمعتُ الأصوات التي تُخبر بعودته. منذ تلك المرة التي غاب فيها لثلاثة أيام متواصلة، أخاف الموت جوعًا. قام بذلك لكي يلقني درسًا. إذا كنت قد تعلمت أي شيء عن جاك، فهو أن كل ما يفعله وما يقوله محسوب بدقة حتى آخر لحظة. يفتخر بأنه يقول الحقيقة فحسب، ويستمتع بأنني الوحيدة التي تفهم المعنى الكامن وراء كلماته. كان التعليق الذي قاله خلال حفل العشاء الذي أقمناه في منزلنا، حين ذكر أن ميلي ستأتي لتعيش معنا وأن ذلك سيُضيف بُعدًا جديدًا لحياتنا، كانت هذه إحدى طريقتين من عباراته التي تحمل معنى مزدوجًا. الطريقة الأخرى؛

تعقيبه المتعلق بمعرفته بأنني سأفعل أي شيء من أجل ميلي، وأن ذلك هو ما جعله يدرك أنني المرأة التي كان يبحث عنها طوال حياته.

الليلة، يعود إلى المنزل في نحو الثامنة مساءً حسب تقديري. أسمع البوابة الأمامية تُفتح، ثم تُغلق وراءه، ووقع خطواته يتردد في الردهة، وصوت اصطكاك مفاتيحه فيما تُلقى فوق طاولة الصالة. أتخيله يأخذ هاتفه من جيبه، وبعد ثوانٍ، أسمع صوت الخشخشة وهو يضعه بجوار المفاتيح. سكون، ثم صوت باب خزانة المعاطف وهو يعلق سترته. أعرف تحركاته بما فيه الكفاية لكي أتوقع مُضِيَّه رأسًا إلى المطبخ، ليسكب لنفسه كأسًا من النبيذ، أعرف ذلك لأن غرفتي تقع فوق المطبخ مباشرةً، وقد تعلمت التمييز بين الأصوات المختلفة حالما يحل المساء.

بالطبع، بعد دقيقة أو نحو ذلك -بعدما يُلقي نظرة على رسائل البريد ربما- أسمعه فيما يدخل المطبخ، ويفتح باب الخزانة ويخرج كأسًا، ويغلق الباب مرة ثانية، ويمشي صوب الثلاجة ويفتح بابها، يفتح الدرج، يمسك بقالب مكعبات الثلج، يلويه يمنة ويسرة، يحرر بعض المكعبات، ثم يقذف بمكعبين داخل الكأس، واحدًا تلو الآخر. أسمعه يفتح الصنبور، يعيد ملء لوح الثلج بالماء، ثم يعيده إلى درج الفريزر، يغلقه ثم يوصد الباب، يلتقط قنينة النبيذ، يفتح الغطاء، يسكب القليل بداخل كأسه، يُعيد الغطاء، يضع القنينة في مكانها من جديد، يمسك بالكأس، يُقلب النبيذ مع الثلج. في الواقع لا أسمع صوته وهو يرتشف رشفته الأولى، غير أني يمكنني تصوُّره وهو يفعل ذلك، إذ تمُرُّ ثوانٍ دائمًا قبل أن أسمعه يمشي عائدًا أدراجه، حيث يخرج إلى الردهة ويدلف لمكتبه. من الجائز أنه سيحضِّر لي بعض الطعام في أثناء المساء، لكن على كلٍّ، لقد أكلتُ في وقت الغداء، لست قلقة حيال ذلك. ليس ثمة انتظام في مواعيد الوجبات التي يحضرها لي. قد أحصل على وجبة في الصباح، أو في المساء، أو لا شيء على الإطلاق.

إن أحضر لي وجبة للفطور، فقد تكون مكونة من حبوب الإفطار وكوب من العصير، أو قطعة فاكهة وماء. في المساء، قد يحضر وجبةً من ثلاثة أطباق، وكأسًا من النبيذ، أو شطيرة وبعض الحليب. يعرف جاك أنه لا يوجد

شيء أكثر راحة من الروتين، لذا فهو يستبعده تمامًا. على الرغم من أنه لا يعرف ذلك، فإنه يسدي لي معروفًا. فباستبعاد الروتين، ليس ثمة خطر من أن أصير جزءًا من نظامه غير قادر على التفكير بنفسه. عليَّ أن أفكر بنفسي. إنه لأمر مروع أن يعتمد المرء على شخص آخر في أساسيات حياته، وبفضل صنبور الحمام الصغير لن أموت من العطش أبدًا. يمكن أن أموت من الملل، لأنه لا يوجد شيء لتخفيف وطأة الأيام الخالية الممتدة أمامي بلا نهاية. حفلات العشاء التي كنت أخافها كثيرًا، صرت أرحب بها تمامًا. حتى إنني أستمتع بالتحدي المتمثل في مطالب جاك المتزايدة والصارمة، المتعلقة بما سنقدمه لضيوفنا، لأني حين أنتصر عليه -كما فعلت يوم السبت الماضي- فإن طعم النجاح يجعل وجودي أمرًا يطاق. هذه هي حياتي. ربما بعد نصف ساعة أو نحو ذلك من وصوله إلى المنزل، أسمع وقع خطواته على الدرج، ثم المفتاح يدور بداخل القفل. ينفتح الباب ويقف عند المدخل، زوجي الوسيم المضطرب. أنظر إلى يديه برجاء، لكنه لا يحمل صينية.

- لقد تلقينا بريدًا إلكترونيًّا من مدرسة ميلي، يرغبون في التحدث إلينا. (يتأملني لبرهة) ما الذي يودون الحديث عنه؟ إنني أتساءل.

أشعر بأن جسدي يتجمد.

- ليس لدي أدنى فكرة.

سعيدة إزاء عدم قدرته على رؤية الطريقة التي تبدأ بها نبضات قلبي في التسارع.

- حسنًا، يجدر بنا أن نذهب فحسب، ونكتشف، أليس كذلك؟ من الواضح أن جانيس أخبرت السيدة جودريتش بأننا نخطط لزيارة أخرى هذا الأحد، واقترحَت أن نأتي أبكر من المعتاد حتى نستطيع التحدث معها (توقف لبرهة). أتمنى أن تكون كل الأمور على ما يرام.

- إنها كذلك بكل تأكيد.

أقول بهدوء أكثر مما أشعر به حقيقةً، فيقول:

- من الأفضل أن تكون كذلك.

- ثم يغادر الغرفة ويوصد الباب خلفه.

على الرغم من أنني سعيدة بأن السيدة جودريتش أرسلت البريد الإلكتروني، فهذا يعني أنني سأتمكن من رؤية ميلي مرة أخرى، فإن القلق يغمرني.

لم يحدث أن استُدعينا إلى المدرسة من قبل. تعرف ميلي أنها يجب ألا تقول كلمة واحدة، لكن في بعض الأحيان أتساءل عما إذا كانت تفهم فعلًا. ليس لديها أدنى فكرة عن حجم الخطر الذي نتعرض له، فكيف لي أن أخبرها؟ إن الحاجة إلى إيقاظنا من هذا الكابوس الذي وقعنا فيه -الأحرى الكابوس الذي تركتُ نفسي وميلي نقع فيه- تضغط عليَّ، أجبر نفسي على التقاط أنفاس عميقة كي لا أشعر بالذعر. لا زال أمامي نحو أربعة أشهر، هكذا أذكر نفسي، أربعة أشهر للعثور على تلك النافذة الصغيرة التي أحتاج إليها، أعبر بطريقة ما أنا وميلي من خلالها، لأنه ليس ثمة أحد ليساعدنا. والداي كانا هما الوحيدان القادران على المساعدة، وهما الآن على الجانب الآخر من العالم، وجاك هو الذي شجعهما على الانتقال بهذه السرعة. إنه ذكي جدًّا وعبقري. كل ما قلته له، استخدمه ضدي. أتمنى لو لم أكن قد أخبرتُه قط بفزع والديَّ يوم وُلِدت ميلي، أو كيف كانا يحسبان الأيام حتى أوفِّي بوعدي بأن تسكن ميلي معي، حينها سيتمكنان أخيرًا من الرحيل إلى نيوزيلندا. وهذا ما جعله يلعب على حبل الخوف لديهما؛ أنني سوف أتراجع بطريقة ما عن الوعد الذي قطعتُه، وأن المطاف سينتهي بهما إلى الاعتناء بميلي بمفردهما.

في عطلة نهاية الأسبوع التي طلب مني فيها أخذه لرؤية والديَّ، لم يكن في باله أن يطلب يدي للزواج، بل أن يُخبر أبي أني ذكرتُ له أن ميلي سترحل معهما إلى نيوزيلندا، وأنني أرغب في الزواج والاستقلال بحياتي مع أسرتي الخاصة.

حينها كاد والدي أن يموت من الصدمة، اقترح جاك عليهما أن يهاجرا بصفة عاجلة لا آجلة، حتى يتخلص من كل مَن هم حولي أو يستطيعون مساعدتي.

أجلس على السرير، أتساءل كيف سأقضي بقية المساء وآخر الليل.

سيطير النوم مني، فثمة لقاء مع السيدة جودريتش معلق فوقي. لو نظرتُ إلى الأمر بموضوعية، فسأجد فرصة مثالية لكشف الحقيقة؛ حقيقة أن جاك يحتجزني بداخل سجن، وأنه ينوي أن يلحق ضررًا لا يوصف بميلي، وأتوسل إليها لمساعدتي والاتصال بالشرطة، ولكنني أعلم أنه في هذه اللحظة بالتحديد، حين أبدأ في التنفس بطريقة مختلفة عن المعتاد، سيشرع جاك في تنفيذ مخططه لإسقاطي. لن ينتهي بي الأمر فقط بإذلالي ودفعي إلى اليأس أكثر مما أنا عليه الآن، بل سيشرع جاك في انتقامه. أرفع يدي أمامي، أتأمل رعشتها؛ أمر لم يعُد باستطاعتي التحكم فيه، أدرك الآن فقط ما كان جاك يعرفه طوال الوقت؛ الخوف هو أفضل رادع للجميع.

# الماضي




استفسرت منه:

- ماذا تقصد؟

بينما أجلس عند حافة السرير في غرفة الفندق، تساءلت لماذا، حين منحني خيار الذهاب إلى المستشفى لرؤية ميلي أو الذهاب إلى تايلاند بصحبته، كان يؤمن، على الرغم من كل ما حدث منذ يوم زفافنا، بأنه لا يزال رجلًا صالحًا.

- أعني ما قلته بالضبط؛ لا توجد مدبرة منزل.

تنهدت، كنت متعبة جدًّا.

- ما الذي تريد أن تخبرني به؟

- قصة. قصة عن صبي صغير. أترغبين في سماعها؟

- إذا كان هذا يعني أن تتركني أغادر، نعم أود سماعها.

- جيد.

سحب الكرسي الوحيد الموجود في الغرفة وجلس أمامي وقال:

- كان هناك صبي صغير يعيش في بلدة نائية، بعيدًا عن هنا، مع أمه وأبيه. حين كان صغيرًا جدًّا، خاف الصبي من أبيه القاسي الشديد، وأحب أمه. لكن حين رأى كيف كانت الأم ضعيفة وغير مجدية، حتى إنها لا تستطيع حمايته من الأب، بدأ الصبي يحتقرها، وصار يبتهج لنظرة الرعب في عينيها حين يجرها الأب إلى القبو لكي يحبسها مع الفئران. ولمعرفته بأن الأب يستطيع أن يبث مثل هذا الرعب في إنسان آخر، تحوَّل خوف الصبي منه إلى إعجاب، وبدأ في الاقتداء به. وسرعان ما تحول صوت صراخ أمه الذي يتردد عبر الألواح الخشبية

في سقف القبو لموسيقى عذبة في أذنيه، وصارت رائحة خوفها عطرًا أخاذًا في أنفه. وبدأ يتوق لذلك الإحساس الفريد الذي انطبع لديه، بحيث صار الصبي حين يترك له الأب زمام السلطة، يأخذ الأم إلى القبو، فتتوسل منه الرحمة كي لا يتركها، هنا بالذات كانت تشتعل شرارة الإثارة الغامرة. وبعد ذلك، وفيما كان يتشرب صوت الخوف ويستنشق رائحته، صار يتمنى لو استطاع إبقاءها هناك إلى الأبد.

في إحدى الليالي، وكان الصبي قد بلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا، استطاعت الأم الفرار من القبو وقتما كان الأب يعمل في الخارج في تقسيم المنتجات الزراعية. غير أن الصبي كان يعلم بأنها لو غادرت، فلن يسمع صوت خوفها مجددًا، لذا قام بضربها ومنعها من المغادرة. ومع كل صرخة، صار يضربها من جديد. ضربة تلو أخرى. تصرخ، فيضربها المرة تلو المرة. وكلما استنجدَت أكثر، زاد من ضربه أكثر وأكثر، حتى وجد نفسه لا يستطيع التوقف، إلا حين هوت ساقطةً على الأرض. وبينما ينظر لوجهها المحطَّم والمضرج بالدماء، رآها أجمل من أي وقت مضى. وصل الأب، الذي استدعته صرخات الأم، وسحب الصبي من أمامها. لكن الأوان كان قد فات، لأنها ماتت بالفعل. غضب الأب وأخذ يضرب الصبي. ثم جاءت الشرطة، فأخبرهم الصبي بأن أباه قتل أمه وأنه حاول حمايتها. فسُجِن الأب، وفرح الولد كثيرًا. وعندما كبر الولد، بدأ يتوق لشخص جديد، شخص يمكن أن يغرس الخوف فيه متى أراد، وكيفما أراد، شخص يمكن إخفاؤه بعيدًا، شخص لن يفقده أبدًا. كان يعلم أنه لن يكون سهلًا عليه العثور على هذا الشخص، بيد أنه كان مقتنعًا بأنه لو اجتهد بما فيه الكفاية، فسيعثر على الشخص المطلوب نهاية المطاف. وبينما كان يتقصى، بحث عن طريقة لإشباع رغباته المِلحَّة. أتعرفين ماذا فعل؟ (هززتُ رأسي مترنحة) صار محاميًا متخصصًا في قضايا العنف الأسري.

أتعلمين ماذا فعل بعد ذلك؟ (انحنى إلى الأمام وقرَّب فمه من أذني) تزوجكِ يا غريس.

أحسستُ أنني بالكاد يمكنني التنفس. خلال الوقت الذي كان يتحدث فيه، لم أشأ أن أُصدِّق أنه ذاك الصبي في القصة، لكن مع انتهائه، جلستُ أنتفض بارتعاش ورهبة. وأخذت الغرفة تطفو أمام عينيَّ، فيما جلس هو إلى الوراء ومدَّ ساقيه أمامه، على وجهه نظرة رضا.

- الآن أخبريني، هل استمتعتِ بالقصة؟

قلت:

- لا (وأخذ صوتي يرجف). لكنني أنصتُّ إليها، فهل يمكنني الذهاب الآن؟

أرغمتُ نفسي على الوقوف، غير أنه دفعني إلى الجلوس قائلًا:

- أخشى أنه لا يمكنك.

انسكبت دموع الخوف من عيني:

- لقد وعدتَني.

- هل وعدتكِ؟

- أرجوك، أرجوك دعني أذهب. ولن أخبر أحدًا بما قلته لي للتو، أعدك.

- بلى، بالطبع ستفعلين.

هززت رأسي:

- لا، لا، لن أخبر أحدًا.

ران الصمت عليه لبرهة، كما لو أنه يفكر فيما قلته.

- الأمر يا غريس هو أنني لا أستطيع السماح لك بالرحيل، لأنني بحاجة إليك.

عندما رأى الخوف في عيني، جلس القرفصاء بجانبي، واستنشق الهواء عبر منخريه:

- ممتاز.

ثمة أمر ما حول الطريقة التي قالها بها، جعل فرائصي ترتعد، فانكمشتُ بعيدًا عنه.

قال:

- لا تقلقي، لن أؤذيكِ (بينما يمد يده إلى خدي) هذا ليس سبب وجودك هنا. لكن دعينا نعود إلى القصة - لذا، بينما كنت أنتظر العثور على الشخص المطلوب، غطيتُ نفسي بسمت الاحترام. أولًا، رحتُ أبحث عن الاسم المثالي، فتوصلتُ إلى اسم «أنجيل». فكرتُ في الواقع في تسمية نفسي غابرييل أنجيل، لكنني رأيتُ أنه قد يكون أمرًا يتجاوز الحد بمسافة كبيرة، لذلك فكرت قليلًا، وقمتُ ببعض التحقيقات، واكتشفتُ أن الرجال الطيبين في الأفلام يُطلق عليهم غالبًا اسم جاك، مرحبًا! هنا وُلد جاك أنجيل. ثم وجدت لنفسي الوظيفة المثالية -هز رأسه متسليًا- المفارقات لا تتوقف أبدًا عن إدهاشي.. جاك أنجيل، المدافع عن النساء المعنَّفات. بيد أنني كنت بحاجة أيضًا إلى حياة مثالية، حين يبلغ الرجل الأربعين من عمره دون علامة على وجود زوجة في مرمى البصر، يبدأ الناس في طرح الأسئلة.. يمكنكِ أن تتخيلي شعوري حينما رأيتكِ أنتِ وميلي معًا في المنتزه، زوجتي المثالية، و....

بصقتُ عليه قائلةً:

- محال! لن أكون زوجتك المثالية أبدًا. إذا كنت تعتقد بأنني سأبقى زوجةً لك بعد ما قلته لي، وأنجب أطفالك...

انفجر ضاحكًا، قاطعني:

- أطفال؟! أتعلمين ما هو أصعب شيء فعلته على الإطلاق؟ لم يكن الأمر يتعلق بقتل والدتي أو رؤية والدي يذهب إلى السجن؛ كلا، هذان الأمران كانا أسهل شيء، بل كانا من دواعي السرور. أصعب ما فعلته هو ممارسة الحب معك. كيف لم تلمحي ذلك وتنتبهي لأعذاري؟ كيف لم تدركي هذا حين مارستُه معكِ أخيرًا؟ إنه لأمر مجهد ومقرف وغير طبيعي! لهذا السبب اختفيتُ في الليلة الماضية. كنت أعلم بأنك تتوقعين ممارستي للحب معك -بعد كل شيء، كانت ليلة زفافنا- وفكرة الاضطرار إلى استمراري في ذلك لمجرد الحفاظ على المظاهر

كانت أكثر مما أستطيع تحمله. لذلك، كما ترين، لا أتوقع أنك ستنجبين أطفالي. حينما يبدأ الناس في التساؤل، سنخبرهم بأننا نعاني مشكلات، وبعد ذلك لن يستفسروا من باب الذوق. أريدكِ أن تكوني زوجتي بالاسم فقط... لستِ أنتِ مَن تُناسبني يا غريس، بل ميلي.

حدقت إليه:

- ميلي؟!

- أجل، ميلي. إنها تناسب جميع متطلباتي بدقة. في غضون ستة عشر شهرًا أخرى، ستكون لي، وسأتمكن أخيرًا من نيل ما منعتُ نفسي عنه لفترة طويلة. لن يفتقدها أحد، أنت فقط، ليس لأنني أنوي قتلها؛ لقد ارتكبتُ هذا الخطأ مرة من قبل...

قفزت على قدمي قائلة:

- أصِدقًا تعتقد أني سأدعك تؤذي شعرة من رأس ميلي؟!

- إن وددت هذا فعلًا، هل تعتقدين حقًّا أنك ستتمكنين من إيقافي؟

ركضت صوب الباب. قال بتململ:

- إنه مغلق.

- النجدة! (صرخت بأعلى صوتي، طرقت الباب بقبضتي) النجدة!

صاح قائلًا:

- افعلي هذا مرة أخرى ولن تري ميلي مجددًا. تعالي واجلسي.

انتابني الارتياع، واصلت الطرق على الباب، وبُحَّ صوتي طلبًا للمساعدة.

- أحذرك يا غريس، تذكرين ما قلته لك عن وضع ميلي في المصحة؟ يمكنني ترتيب ذلك بكل سهولة. (ثم فرقع بأصابعه) بهذه السرعة.

استدرت لكي أواجهه:

- لن يسمح والداي بذلك أبدًا!

- أتحسبين فعلًا أنهما سيتركان الحياة المريحة في نيوزيلندا، لأجل إنقاذها وأخذها للعيش معهما؟ لا أتصور ذلك. ليس ثمة أحد يا غريس، لا أحد سينقذ ميلي، ولا حتى أنتِ.

صرخت منفعلة:

- أنا الوصية القانونية عليها!

- وأنا أيضًا، ولديَّ الورقة التي تثبت ذلك.

- لن أوافق أبدًا على إبعادها!

- لكن ماذا لو ثبت أيضًا أنك غير سليمة عقليًّا؟ بصفتي زوجك، سأكون مسؤولًا عنكِ وعن ميلي، ويمكنني أن أفعل ما أشاء.

أشار إلى الباب:

- تفضلي، واصلي الطرق والصراخ طلبًا للمساعدة. إن هذا يثبت جنونك.

قلت بصوت مبحوح:

- أنت المجنون.

- الأمر واضح.

هب واقفًا ومشى صوب منضدة السرير، سحب الهاتف من مقبسه، وأخذ سكينًا من جيبه وقطع السلك.

- سأمنحكِ بعض الوقت بمفردك حتى تفكري فيما قلته، وحينما أعود، سنتكلم مرة ثانية. تعالي واجلسي على السرير.

- لا.

- لا تكوني مُتعِبَة هكذا.

- لن تحبسني هنا!

خطا نحوي...

- لا أريد أن أُضطر لإيذائك، لسبب بسيط هو أنني إن بدأت فلن أستطيع كبح نفسي. لكنني سأؤذيك لو اضطررت (رفع ذراعيه، فكرت أنه سيضربني فجفلتُ منه). وإذا كنت ستموتين، فأين ستذهب ميلي؟

شعرت بيديه على كتفي وتجمدت من الخوف، تخيلتها ستتحرك صوب رقبتي. لكن بدلًا من هذا، أدارني بقوة نحو السرير ودفعني نحوه. شعرت بالارتياح لكونه لم يخنقني، لكوني لا أزال على قيد الحياة، دفعني صوت فتح الباب إلى النهوض من السرير. لكن قبل أن أتمكن من الوصول إليه، انسل إلى الخارج بسرعة وأوصده خلفه، ضربت الباب بقبضتي، وناديته، متذللة بأن يسمح لي بالخروج. سمعت صوت خطواته تتلاشى في الممر، صرخت طلبًا للنجدة دون توقف، صرتُ أصيح وأصيح.. لكن لم يأتِ أحد، كنتُ مشدوهة مما يحدث لي، فهويت على الأرض ورحت أبكي. استغرق الأمر مني بعض الوقت حتى أجمع شتات نفسي. نهضت على قدمي، وتوجهت إلى الباب المفضي إلى الشرفة، لكني لم أستطع فتحه. رفعت رأسي ونظرت من فوق سياج الشرفة، وكان كل ما أمكنني رؤيته هو السماء الزرقاء وأسطح المباني. كانت غرفتنا في الطابق السادس في نهاية ممر طويل، ما يعني أنه لا توجد غرف مجاورة إلا من جانب واحد. مشيت صوب الجدار، وطرقته بقوة عدة مرات، لكن لم يكن هناك من يجيب، خمنت أن معظم الناس كانوا في الخارج الآن، لزيارة معالم المدينة، فقد كنا في فترة الظهيرة. سرت إلى حقائبنا الموضوعة على السرير وشرعت أبحث فيها عن أي شيء يساعدني في الخروج من الغرفة. لم يكن ثمة شيء. اختفى الملقاط ومقص الأظافر. لم يكن لدي فكرة كيف استطاع جاك أن يخرجهما من حقيبتي الخاصة دون أن أراهما، لا بد أن يكون قد قام بذلك قبل مغادرتنا إنجلترا، ربما في الفندق حين كنت أستحم.

انهمرت الدموع من عيني، حالما داهمتني فكرة أنه قبل أقل من أربع وعشرين ساعة، كنت أتطلع لبدء حياة زوجية سعيدة دون أدنى تصور عن الرعب الذي ينتظرني في المستقبل. ولكي أقاوم الذعر الذي يهددني، أجبرت نفسي على التفكير بعقلانية فيما يمكنني فعله. حتى سمعتُ شخصًا ما يعود إلى الغرفة المجاورة، لم يكن ثمة جدوى من محاولة لفت انتباهه بالطرق على الحائط. فكرتُ في دفع ملاحظة أسفل الباب على أمل أن يراها أي شخص يعود لغرفة مجاورة تقع في نهاية الممر، ويكون فضوليًا بما

يكفي لكي يقرأها. لكن قلمي كان قد اختفى هو الآخر من حقيبتي، وكذلك أقلام الرصاص وأحمر الشفاه. استبق جاك جميع تحركاتي. بدأتُ أبحث في الغرفة بحثًا محمومًا عن أي غرض يمكن أن يساعدني. لكن لم يكن ثمة شيء. جلستُ على السرير مغلوبة على أمري. لو لم أتمكن من سماع أصوات أبواب تُفتح وتُغلق في مكان آخر من الفندق، سأعتقد بأنه مهجور، لذا فقد كانت هذه الأصوات مريحة على نحو ما، إلا أن إحساسي بالارتباك كان مخيفًا فوق الاحتمال. لقد وجدت صعوبة في تصديق أن ما يحدث لي حقيقي، وخطر ببالي أني ربما قد وقعتُ في فخ برنامج تلفزيوني مروع، حيث يتم وضع الناس في مواقف مرعبة بينما العالم يشاهد كيف تتعامل الضحية مع الوضع الذي وجدت نفسها فيه، تخيلت أنني أشاهد نفسي على الشاشة، وأن ملايين الناس يراقبونني، ما جعلني أستطيع التراجع خطوة إلى الوراء وتأمل الخيارات التي أمامي بشيء من الموضوعية. كنت أعرف أنني لو استغرقتُ في القصة الرهيبة التي حكاها لي جاك، فلن أتمكن من الاحتفاظ بالهدوء النسبي الذي تمكنتُ أخيرًا من الوصول إليه. لذلك استلقيتُ على السرير، ووجهت دفة أفكاري نحو ما سأفعله عند عودة جاك، وما سأقوله له وكيف سأتصرف معه. وجدتُ نفسي أستغرق في النوم على الرغم من محاولاتي البائسة لمقاومته. في المرة التالية التي فتحت فيها عيني، كان الظلام الدامس يهيمن على المكان، وعرفت أنني نمتُ لفترة من الوقت. أخبرني ضجيج الحياة الليلية الذي تعج به الشوارع أسفل الفندق بأن المساء قد حل، قمت من السرير وتوجهت صوب الباب. لا أعرف السبب -ربما كنت لا أزال ناعسة- لكنني وجدت غريزتي تدفعني لإدارة المقبض. وحين انتبهتُ لكونه استدار بسهولة، وأن الباب لم يكن مغلقًا، صُدمت لدرجة أن الأمر استغرق مني بعض الوقت لكي أستوعبه. وقفت في مكاني، محاوِلة حل هذه المعضلة، واتضح لي أني لم أسمعه في الواقع يغلق الباب.

لقد افترضتُ ببساطة أنه أغلق الباب، ولذلك لم أحاول فتحه. ولم يقل حقيقةً إنه سيحبسني؛ لقد وصلت لهذا الاستنتاج بمفردي. حين تذكرت كيف خالجني الذعر وقتها، وكيف طرقت على الباب والحائط، شعرت بالغباء

والخجل، تخيلت جاك يضحك وهو يبتعد مغادرًا. آلمَت دموع الغضب جفوني. أغمضت عيني بحنق، وذكّرت نفسي بأن في حوزته جواز سفري ومحفظتي، وأني لا أزال سجينة مهما كانت نياته ومقاصده. لكنني على الأقل أستطيع الخروج من الغرفة. فتحت الباب بهدوء، خائفةً من أن أجد جاك واقفًا وراء الباب متأهبًا للانقضاض عليَّ، أجبرت نفسي على النظر إلى الممر ووجدته خاليًا، عدت إلى الغرفة وتناولتُ حذائي، أمسكتُ بحقيبتي وتركت الغرفة. ركضتُ صوب المصعد والظن يساورني أنني قد أجد جاك واقفًا خلف باب المصعد، لذا قررتُ النزول على الدرج. نزلت درجتين مع كل خطوة، وبالكاد أمكنني التصديق بأني أهدرت تلك الساعات الثمينة في التفكير كأنني أسيرة. وعندما وصلت إلى الردهة ووجدتها مزدحمة بالناس، غمرني شعور بالراحة والانشراح. استنشقتُ نفسًا عميقًا لأهدئ نفسي، ثم مشيت بسرعة صوب مكتب الاستقبال، حيث كنت أنا وجاك قد سجلنا وصولنا قبل ساعات، فرِحةً لأن الكابوس أوشك على نهايته.

- مساء الخير، هل يمكنني مساعدتك؟

ابتسمَت لي الفتاة الصغيرة خلف المكتب. قلت:

- نعم، من فضلك أود الاتصال بالسفارة البريطانية (بينما أرغم نفسي على الحديث بهدوء). أحتاج إلى العودة لإنجلترا، وقد فقدتُ جواز سفري ومحفظة نقودي.
- أوه، يا للأسف! (بدت الشابة آسفة لما حصل لي) هل يمكنني أن أسألك عن رقم غرفتك من فضلك؟
- لا أعرف رقمها، إنها في الطابق السادس، اسمي غريس أنجيل وقد سجلتُ وصولي بعد ظهر اليوم بصحبة زوجي.
- 601، (أكدت فيما تنظر لشاشتها) هل لي أن أسأل أين فقدت جواز سفرك؟ هل كان هذا في المطار؟

- لا، لقد فقدته هنا في الفندق (ضحكت مرتعشة). في الحقيقة لم يَضِع، بل إن زوجي أخذه مع المحفظة. والآن لا يمكنني العودة لإنجلترا. (نظرت إليها متوسلة) إنني فعلًا في حاجة إلى المساعدة.
- أين زوجك، سيدة أنجيل؟
- ليس لدي أدنى فكرة.

وددت إخبارها بأنه حبسني في الغرفة، لكنني كتمتُ ما بداخلي في اللحظة الملائمة، مذكِّرة نفسي بأنني كنت أظن ذلك فحسب.

- لقد غادر منذ ساعتين، وأخذ معه جواز سفري ونقودي. اسمعي، هل يمكنك الاتصال بالسفارة البريطانية نيابة عني من فضلك؟
- هلا تفضلتِ بالانتظار لثوانٍ، ريثما أتحدث إلى مديري.

منحتني ابتسامة مشجعة، وذهبَت للتحدث مع رجل يقف بعيدًا عنها.

حين أوضحَت له مشكلتي، نظر إليَّ وعلى وجهه ابتسامة باهتة، فأدركتُ عندها فقط كيف أبدو شعثاء المظهر، وتمنيتُ لو أنني قد بدلت ملابس السفر. أومأ برأسه وهو يصغي إليَّ، ثم ابتسم لي مطمْئنًا، والتقط الهاتف وشرع في الاتصال. اقترحَت الشابة حين عادت إليَّ:

- ربما ترغبين في الجلوس بينما نقوم بترتيب الأمور.
- لا، لا بأس. على أي حال سأحتاج على الأرجح إلى التحدث مع السفارة بنفسي.

بعدما أنهى الرجل المكالمة، توجهت إليه سائلةً:

- ماذا قالوا؟
- لِمَ لا تجلسين في أثناء انتظارك؟
- هل سيأتي أحد من السفارة إذًا؟
- ربما من الأفضل أن تستريحي.
- غريس؟

التفتُّ ورائي، فرأيت جاك يُسرع نحوي.

- كل شيء على ما يرام يا غريس، أنا هنا.

اجتاح الرعب خلايا جسدي، بكيت.

- ابتعد عني!

التفتُّ إلى الشابة التي كانت تنظر نحوي بقلق وقلت:

- ساعديني أرجوك، هذا الرجل خطير!

قال جاك بهدوء:

- لا بأس يا غريس (ثم ابتسم للمدير بسمة حزينة)، شكرًا لإخباري بأنها هنا. الآن يا غريس (تابع حديثه كما لو كان يتحدث لطفل)، لماذا لا نعود إلى غرفتنا حتى تتمكني من النوم؟ ستشعرين بتحسن كبير حالما تستريحي.

- لست بحاجة إلى النوم، كل ما أحتاج إليه هو العودة إلى إنجلترا.

أدركتُ كيف يراقبنا الناس بفضول، فبذلت جهدًا لخفض صوتي.

- أعطني جواز سفري يا جاك، ومحفظتي، وهاتفي المحمول (مددت يدي صوبه).

- الآن (تأوه قائلًا)، لماذا تفعلين هكذا دومًا؟

- أريد جواز سفري يا جاك.

هز رأسه:

- لقد أعدتُ إليك جواز سفرك في المطار كما أفعل دائمًا، ووضعتُه في حقيبتك، كما تفعلين دائمًا.

- تعلم جيدًا بأنه ليس هناك.

وضعت حقيبتي على المنضدة وفتحتها. قلت للمرأة:

- انظري (رجف صوتي متأثرًا مما حدث معي. هززت محتويات الحقيبة على المنضدة). إنه ليس هنا ولا محفظتي أيضًا. أخذها جميعها و...

توقفت عن الكلام وحدقت حين سقط جواز سفري ومحفظتي من الحقيبة، ثم حقيبة مستحضرات التجميل وفرشة الشعر وعلبة المناديل

المبللة وزجاجة أقراص لم أرها من قبل، وهاتفي المحمول. صرختُ في وجه جاك قائلةً باتهام:

- لقد عدتَ في أثناء نومي ووضعتها في الحقيبة!

التفتُّ إلى المدير:

- أقسم لك بأنها لم تكن بحوزتي. أخذها، ثم خرج، وجعلني أصدق أني محبوسة بداخل الغرفة.

بدا المدير في حيرة من أمره:

- لكن يمكنك فتح الباب من الداخل.

- أجل، لكنه جعلني أعتقد بأنني محبوسة!

أمكنني سماع صوتي الهستيري فيما أقول ذلك.

- أعتقد أني أعرف ما حدث (التقط جاك زجاجة الحبوب وهزها)، لقد نسيتِ تناول دوائك، أليس كذلك؟

صرخت:

- لا أتناول أي أدوية، هذه ليست لي، أنت من وضعها هنا!

- هذا يكفي يا غريس (كان صوت جاك حازمًا) تبدين سخيفة!

اقترح المدير:

- هل هناك أي شيء يمكننا القيام به للمساعدة؟ كوب ماء ربما؟

- نعم، يمكنك الاتصال بالشرطة! هذا الرجل مجرم خطير! (عمَّ الردهة صمت مصدوم) ما أقوله صحيح! (أردفتُ بيأس، بينما يتذمر الناس من خلفي) لقد قتل والدته. اتصل بالشرطة، من فضلك!

تنهد جاك:

- هذا بالضبط ما حذرتك بشأنه (وتبادل نظرة مع المدير). هذه ليست المرة الأولى التي يحدث فيها شيء من هذا القبيل، لسوء الحظ (وضع يده تحت كوعي). هيا يا غريس، لنذهب.

تجاهلته قائلة:

- هلا اتصلتِ بالشرطة من فضلك؟ (حدقتُ إلى الشابة بقلق، تلك التي تحدثتُ إليها في البداية. توسلتُ إليها) أرجوك، إنني أقول الحقيقة!

- اسمعي يا غريس -هذه المرة بدا جاك غاضبًا- إذا كنت تريدين حقًا الاتصال بالشرطة، قومي بذلك. لكن هل تذكرين ما حدث في المرة السابقة؟ لم نتمكن من مغادرة البلاد حتى يحققوا في ادعاءاتك، وعندما أدركوا أنهم كانوا في مطاردة جنونية، هددوا بمقاضاتك لإضاعة وقت الشرطة. وكان ذلك في أمريكا. لا أعتقد أن الشرطة هنا ستكون متفهمة لهذه الدرجة.

قال المدير بقلق:

- أنا حقًا لا أنصحك بإشراك الشرطة، ما لم يكن فعلًا ثمة سبب وجيه لذلك.

- هناك سبب وجيه للغاية لذلك! هذا الرجل خطير!

اقترحَت الشابة بتوتر:

- إذا كانت السيدة أنجيل تريد المغادرة حقًا، فربما يمكننا الاتصال بسيارة أجرة لكي تُقلها إلى المطار الآن، بعد أن وجدَت جواز سفرها.

نظرتُ إليها بارتياح.

- نعم، نعم، من فضلك افعلي ذلك (بدأتُ في استرجاع أغراضي بداخل الحقيبة). من فضلكِ اتصلي بأي أحد حالًا.

سأل جاك:

- هل ستستمرين في هذا حقًا؟

- قطعًا! لا شيء يمكنني القيام به أكثر من هذا.

التفتَ إلى المدير:

- إني أعتذر بشدة عن كلّ هذهَ الجلبة. هل يمكن لأحد من موظفيك أن يرافق زوجتي لغرفتنا حتى تتمكن من تجهيز متاعها؟

- بالطبع. كيكو، هل يمكنكِ أن تصطحبي السيدة أنجيل لغرفتها في أثناء استدعائي لسيارة أجرة؟

- شكرًا لك.

قلت بامتنان، بينما تبعتُ كيكو إلى المصعد. كانت ساقاي ترتعشان لدرجة أنني واجهت صعوبة في المشي.

- شكرًا جزيلًا لكِ.

أجابَت بأدب:

- على الرحب والسعة يا سيدة أنجيل.

- أعلم أنكِ ربما تعتقدين أنني مجنونة، ولكن يمكنني أن أؤكد لكِ عكس ذلك.

تابعت، وشعرت بأنني مدينةٌ لها بنوع من التفسير.

- لا بأس يا سيدة أنجيل، ليس عليكِ أن تشرحي أي شيء.

ابتسمَت وهي تضغط على زر المصعد. قلت لها:

- يجب عليكم الاتصال بالشرطة. حالما أرحل، يجب عليكم الاتصال بالشرطة وإخبارهم بأن زوجي السيد أنجيل مجرم خطير.

- إنني متأكدة من أن مديرنا سيقوم باللازم.

وصل المصعد وتبعتُها لداخله، مدركةً أنها لم تصدق لدقيقة واحدة كون جاك مجرمًا خطيرًا. لكن لم يكن ذلك مهمًّا، لأنني كنت أنوي الاتصال بالشرطة بنفسي حالما أصل لسيارة الأجرة. وصلنا للطابق السادس ولحقتُ بها في الممر حتى باب الغرفة. أخذتُ المفتاح من حقيبتي، وفتحتُ الباب ووقفت إلى الوراء، اعتراني الخوف من الدخول. غير أنه لم يكن ثمة سبب للقلق؛ كل شيء كما تركته تمامًا. ذهبتُ لحقيبة ملابسي وبحثت بداخلها عن ملابس نظيفة. قلت:

- لحظة واحدة، لن أتأخر (واختفيت بداخل الحمام). سوف أبدل ملابسي فقط.

خلعتُ ثيابي على عجل، واغتسلتُ سريعًا، ثم ارتديت الملابس الأخرى، وبينما أكوِّم الملابس المتسخة على شكل كرة، شعرتُ بانتعاش وصفاء ذهني. لا أريد أن أتأخر أكثر من ذلك، فتحت الباب. لكن قبل أن أتمكن من الخروج من الحمام، اندفعَت يد نحوي ودفعتني إلى الداخل مرة أخرى، وأطبقَت يد أخرى على فمي، فخنقَت الصرخة التي مزقت أحشائي.

- هل استمتعتِ بهذا السيناريو الصغير الذي أعددته لك؟ (سأل جاك، ووجهه على بعد بوصات من وجهي) لقد فعلتِ ذلك بطريقة هائلة. والأفضل من هذا كله، لقد تمكنتُ من صيد عصفورين بحجر واحد. أولًا وقبل كل شيء، أثبتُّ للتو أمام العشرات من الأشخاص أنك غير مستقرة، فالمدير، في هذه اللحظة بالذات، كتب وصفًا دقيقًا لما فعلتِهِ قبل قليل، لذلك فهنالك سجل رسمي لأفعالك. وثانيًا، كنت آمل أن تكوني قد تعلمتِ كيف سأكون دائمًا متقدمًا عليكِ بخطوة (هنا توقف لبرهة لكي يسمح لكلماته بأن تعبرني ببطء) هذا ما سنفعله. سأرفع يدي عن فمك، وإذا قمتِ بأي تصرف أحمق، فسوف أجبرك على تناول ما يكفي من الحبوب لقتلك، وسيبدو موتك كأنه انتحارٌ لشابة غير متزنة. إن حدث هذا، وبصفتي الوصي الوحيد على ميلي، فسأحافظ بالطبع على الوعد الذي قطعناه وأجلبها لتعيش في منزلنا الجديد الجميل، باستثناء أنك لن تكوني هناك، قولي لي من سيحميها؟ هل كلامي واضح؟ (أومأتُ برأسي في صمت). جيد.

رفع يده عن فمي وجرَّني لخارج الحمام، وألقاني على السرير.

- الآن، أريدك أن تنصتي جيدًا. في كل مرة تحاولين فيها الهرب، سواء بالطرق على الباب، أو التحدث إلى شخص ما، أو محاولة اقتناص فرصة للفرار مني، فإن ميلي هي التي ستدفع الثمن. إليك هذا المثال، فبعد محاولتك الهرب اليوم، لن نرى ميلي في نهاية الأسبوع بعدما نعود، كما تنتظر منا. وإذا فعلتِ أي شيء غبي مرة أخرى غدًا، فلن نذهب في الأسبوع التالي أيضًا. وهلم جرًّا. سندَّعي إصابتك بمغص في المعدة لتبرير غيابنا، وهي علة في المعدة ستستمر لأسابيع عديدة

طبقًا للضرورة. لذا، إذا أردتِ رؤية ميلي لمرة ثانية في غضون فترة زمنية معقولة، فأقترح عليكِ أن تفعلي بالضبط ما أمليه عليك.

صرت أرتجف ولا أستطيع السيطرة على نفسي، ليس بسبب شعوري بالتهديد من نبرة صوته، بل أيضًا لإدراكي أن فرصة الهرب قد ضاعت بسبب مجيئي إلى الغرفة. لم أكن بحاجة إلى شنطة سفري، كان يمكنني المغادرة بسهولة دونها، لكن حين ذكرها جاك، بدا من المعقول جدًّا إحضارها. إذا لم يطلب من شخص ما مرافقتي، فلربما شككت في دوافعه في حقّي على العودة للغرفة. ماذا لو أدركت في وقت مبكر أن الباب لم يكن مغلقًا، أو لم أنم، لما تمكن من إعادة جواز سفري وهاتفي المحمول ومحفظتي إلى الحقيبة.

- تتساءلين عما إذا كانت النتيجة ستختلف لو أنكِ تصرفتِ بطريقة أخرى، أليس كذلك؟ (قال باستمتاع تام) دعيني أخلِّصك من بؤسك.. فالإجابة لا، كانت النتيجة ستكون هي نفسها تمامًا. لو نزلتِ إلى الردهة قبل أن تسنح لي الفرصة لاستبدال جواز سفرك ومحفظتك وهاتفك، كنتُ سأضعهم ببساطة في شنطة سفركِ حالما تغادرين الغرفة. الآن تدركين أني كنت أراقبك طوال الوقت؛ كنتُ سأقترح أمام الجميع أنك ربما فقدتِهم، ثم أجعل مدير الفندق يرافقكِ إلى الغرفة للبحث عن مفقوداتك. أعرفك جيدًا يا غريس، أعرف كيف تتصرفين، وماذا تقولين. أعرف أنك ستحاولين الهرب مرة أخرى قبل أن نغادر تايلاند، وسيكون هذا في غاية الحماقة. لكنك ستتعلمين في النهاية، لأنه لا مفر من التعلم.

انتحبتُ قائلة:

- أبدًا، لن أستسلم لك أبدًا.

- حسنًا، سنرى. الآن، هذا ما سنفعله.. سنأخذ قسطًا من النوم، وصباح الغد سنذهب لتناول الإفطار، وعندما نجتاز مكتب الاستقبال ستعتذرين عن الضجة التي تسببتِ فيها هذا المساء، وتقولين إنك لا تريدين العودة إلى إنجلترا بالطبع. وبعد الإفطار، وقتما تنظرين

إلى عيني بلطف شديد، سألتقط لك صورًا رائعة خارج الفندق، لكي نُظهِر لجميع أصدقائنا مدى سعادتكِ معي هنا. وبعدها، وبينما أخرج لأنجز بعض أعمالي، ستتشمسين في الشرفة، وحين نعود إلى إنجلترا، ستكون بشرتك مسمرة بدرجة جميلة.

وبدأ في فك رباط حذائه. شعرتُ بإنهاك مفاجئ بعد كل هذه الإثارة، قلت:

- لن أنام معك في نفس السرير.

- إذًا نامي على الأرض، ولا تزعجي نفسك بمحاولة الفرار، فالأمر لا يستحق كل هذا العناء حقًا.

سحبت غطاءً من السرير وجلست على الأرض، لففت الغطاء حولي مخدرةً بالخوف. وعلى الرغم من أن غريزتي حثتني على الهرب حالما تسنح فرصة، فقد أخبرتني عقلانيتي أنه سيكون من الأسهل بكثير لو انتظرتُ حتى نعود إلى إنجلترا، لو حاولتُ مجددًا هنا وفشلت، لا يمكنني التفكير فيما سيفعله بي. كان يعتقد أنه يعرفني، وأنه يعرف كيف أتصرف، وقد توقع أني سأحاول الهروب مرة أخرى. الشيء الوحيد الذي بإمكاني أن أفعله الآن، هو أن أجعله يخطئ التوقع، وأن أدفعه للاعتقاد بأني قد استسلمت. وبقدر ما كنت أرغب في الابتعاد عنه، فإن أولويتي الآن هي العودة لإنجلترا، أعني العودة لميلي.

# الحاضر

في أثناء ذهابنا إلى مدرسة ميلي صباح يوم الأحد، أشعر بالاضطراب الشديد إزاء طلب السيدة جودريتش أن ترانا. من المريح أن جاك لم يحضر لي الإفطار قبل مغادرة المنزل. لم يحضر لي أي طعام بالأمس، ولم يدخل معدتي أي طعام منذ وجبة غداء المطعم يوم الجمعة. لا أعرف لماذا اختار التجويع هذه المرة، لكن ربما لأن إستير قد ساعدتني في إنهاء طبق الحلوى، فعدَّ ذلك غشًّا أستحق عليه العقاب، على الرغم من معرفته بأنني لن أستطيع تناولها بعدما ذَكَر غرفة نوم ميلي. في العالم السقيم الذي خلقه جاك، ثمة العديد من الأمور التي لا يُسمح لي بفعلها، أحدها هو إهدار الطعام. يرتعد قلبي ويرتفع نبضه حالما ندخل مكتب السيدة جودريتش، وبخاصة حين تجلس جانيس معنا ويبدو وجهها جامدًا. لم نرَ ميلي بعد، لذا أفترض أنها لا تعرف بأنني أنا وجاك هنا بالفعل. لكن لا داعي للقلق. كل ما يريدون إخبارنا به هو أنها تُعاني صعوبة في النوم، مما يجعلها عصبية في أثناء النهار، وقد وصف طبيب المدرسة شيئًا لتهدئتها قبل النوم. أسأله:

- هل تقصد حبوبًا منومة؟

فتقول السيدة جودريتش:

- نعم. لتنظيم نومها -بعد أخذ الإذن منك بالطبع- وفقط حين تحتاج إليها.

- ليس لدي مشكلة في هذا، ماذا عنك يا عزيزتي؟ (يسأل جاك، ملتفتًا نحوي).

- إذا كان هذا في مصلحة ميلي (أقول ببطء) لا بأس، لا سيما إذا اعتقد الطبيب أنها بحاجة إليها (أردف) كل ما في الأمر أنني لا أريد أن تعتمد بشكل دائم على أدوية تُساعدها على النوم.

يستفسر جاك:

- آمل أنه لم يصف لها شيئًا قويًا للغاية؟

- لا، على الإطلاق، دواء يمكن شراؤه بلا وصفة طبيب.

تفتح السيدة جودريتش ملفًّا موضوعًا أمامها على المكتب، وتخرج منه قصاصة ورق وتسلمها له.

- شكرًا جزيلًا. سأدون الاسم وحسب، إذا لم تمانعي.

يسجِّل جاك اسم الدواء في هاتفه.

- لقد أعطيتها حبة واحدة ليلة أمس؛ فقد بدت منزعجة جدًّا. آمل أن يكون هذا على ما يرام.

أقول بطريقة مطمئنة:

- بالطبع.

- لديك إذنٌ خطيٌّ باتخاذ أي إجراء ترينه مناسبًا في أثناء غيابي.

تسترسل السيدة جودريتش في حديثها:

- ما نتساءل عنه هو ما إذا كان ثمة سبب يجعل ميلي تواجه مشكلة فجائية في النوم (تتوقف عن الكلام لبرهة)، هل بدت قلقة، أو غير سعيدة، حين زرتها في الأسبوع الماضي على سبيل المثال؟

يهز جاك رأسه:

- لقد بدت في حالتها المعتادة.

- وكذلك بالنسبة إلي، مع أنها تضايقَت من أننا لم نأخذها إلى الفندق لتناول الغداء (أردِف) إنه مكانها المفضل، مع أنني أنا وجاك نفضل المطعم المجاور للبحيرة. لكنها سرعان ما تقبلت الفكرة.

تنظر السيدة جودريتش إلى جانيس:

- كنا نتساءل عما إذا كان السبب أنها لم تر المنزل بعد.

أقول بسرعة:

- أشك في ذلك، أعني... إنها تدرك أننا نريد أن تراه بعدما ننتهي منه تمامًا، بدلًا من أن يكون نصفه مغطى بأغطية حماية الأثاث... إلا لو كانت ذكرت لك شيئًا آخر يا عزيزي؟

يؤكد جاك:

- لا شيء على الإطلاق. لكن لو كان هذا يضايقها، فيسرُّني أن تأتي وتراه فور انتهاء غرفة نومها. المشكلة الوحيدة أنها ستقع غالبًا في غرامها على الفور، ولن ترغب في مغادرتها (يضيف ضاحكًا) من الجائز أن يكون التفكير في انتقالها من هنا هو ما يشغل بالها.

أقترح متجاهلةً قلبي الذي سقط من مكانه:

- على كلٍّ، لقد كانت المدرسة منزلها على مدار السنوات السبعة الماضية، وهي سعيدة فيها للغاية.

تومئ جانيس مؤيدةً كلامي:

- أنت على حق بكل تأكيد، لا بد أن نفكِّر في هذا الاتجاه.

- كما أنها مرتبطة بكِ بشكل خاص. ربما يمكنكِ طمأنتها بأنكِ ستبقين على اتصال دائم، وستستمرين في رؤيتها حين ترحل من هنا (أستمر في حديثي قائلة) إن رغبتِ في ذلك.

- قطعًا سأفعل هذا! لقد أضحت ميلي أختًا صغيرة لي.

- حسنًا، إن كان بإمكانك إخبارها بأنك ستأتين لزيارتها بانتظام حين تنتقل للسكن معنا، فإنني متأكدة من أن ذلك سيكون كافيًا لتهدئة أي مخاوف لديها.

يبتسم جاك، ويفهم جيدًا ما أنا ذاهبةٌ إليه. يهتف قائلًا:

- وإذا قالت ميلي أي شيء، أي شيء على الإطلاق، مهما بدا قليل الأهمية، لكنه يثير قلقك، فأرجو أن تشركينا في الأمر.

- كل ما نريده هو أن تكون ميلي سعيدة.

تقول السيدة جودريتش:

- طَيِّب، هل لي أن أكرر كيف أن ميلي ستكون سعيدة الحظ بكما.

يصحح جاك بتواضع:

- نحن المحظوظان بها. في الحقيقة، مع وجود غريس وميلي في حياتي، أعد نفسي أكثر الرجال حظًّا في العالم. (يردف قائلًا) الآن ربما يمكننا اصطحاب ميلي لتناول الغداء، على الرغم من أنها قد تصاب بخيبة أمل لأننا لن نذهب للفندق، فقد حجزت طاولة في مطعم جديد، يُقال إنه يُقدِّم أفضل وأشهى الأطباق.

- إنني لا أكلف نفسي عناء التفكير. إذا قرر جاك أن يأخذنا لمكان جديد، فهذا يعني أنه تحقق تمامًا من جودته.

تستفسر ميلي وتشع نظرة أمل في عينيها:

- نذهب إلى الفندق اليوم؟

يقول جاك:

- في الواقع، هناك مطعم جديد أريد أن آخذك إليه.

ترد عليه بوجه عابس:

- أنا أحب الفندق أكثر من مكان آخر.

- سنذهب إليه في يوم آخر، هيا لنذهب.

تكسو الكآبة وجه ميلي ونحن نشق طريقنا إلى السيارة، يبدو الإحباط واضحًا في محياها لعدم ذهابنا إلى الفندق. أضغط على يدها فيما ندخل السيارة، وتفهم أنني أحذرها من شيء ما، فتبذل جهدًا لتنعش مزاجها قليلًا.

على الغداء، يسأل جاك ميلي عن السبب في عدم استطاعتها النوم في أثناء الليل، فتقول إن كل ما في الأمر أنها تسمع طنين ذباب بداخل رأسها. يسأل عما إذا كانت الحبة التي قدمتها لها جانيس في الليلة السابقة قد ساعدتها، فتقول إنها نامت جيدًا مثل «الرضيعة»، فيُخبرها بأننا سنسمح لها بتناول

الحبة متى احتاجت إليها. تستفسر ما إذا كانت مولي قد رجعت بعد، ولأن حلقي يصير جافًّا على نحو مفاجئ -كما يحدث دائمًا حين أفكر في مولي- فإن جاك يخبرها بلطف بأنه من الصعب أن تعود مولي، وقد تعثر عليها فتاة صغيرة أخرى لا تعرف أنها هاربة، فتحبها كثيرًا.

يقطع جاك وعدًا معها أنه حالما تنتقل لتعيش معنا، سيأخذها لاختيار جرو صغير لها، فيضيء وجه ميلي بسعادة غامرة.

تستبد بي الرغبة في انتزاع سكين من على الطاولة، وغرزها في عمق ساحق في قلب جاك. ربما يشعر هو بهذا فيغطي يدي بيده، مما يجعل النادلة التي تُقبِل لرفع أطباقنا، تبتسم إزاء هذا الود الذي يشملنا. حين نفرغ من الحلوى تقول ميلي إنها بحاجة إلى الذهاب لدورة المياه. يقول جاك:

- هيا، انطلقي.

تنظر ميلي إلي وتقول:

- تعالي يا غريس.

- أجل، إنني بحاجة إلى الذهاب أيضًا.

يقول جاك:

- سنذهب جميعًا.

نتبعه صوب دورة المياه، ونجدها كما حسبتُ تمامًا؛ واحدة للسيدات وأخرى للرجال، والبابان متجاوران. نجد دورة السيدات مشغولة، فننتظر على جانبي جاك حتى تفرغ. تخرج فتاة منها، فتمسك يد جاك بمرفقي بإحكام، كتذكير لي كي لا أخبرها بأن زوجي مريض نفسيًّا، وحين تختفي ميلي في الداخل، تستدير السيدة لنا وتبتسم، وأعلم أن ما تراه ليس إلا زوجين شابين ساحرين يقفان قريبَين جدًّا من بعضهما بعضًا؛ صورة توحي لمن يراها بحالة حب غامرة، ما يجعلني أدرك مرة أخرى كم أن وضعي ميؤوس منه. أشعر باليأس من وجود شخص ينتابه الشك في الكمال المطلق لحياتنا، وكلما جلسنا مع أصدقاء، أتعجب من غبائهم في تصوُّر أني أنا وجاك لا نتجادل أبدًا، وأننا نتفق على كل شيء تمام الاتفاق، وأنني امرأة ذكية تبلغ من العمر اثنين

وثلاثين عامًا، ليس لديها أطفال، تكتفي بالجلوس واللعب في المنزل طيلة اليوم. أتوق لشخص يطرح الأسئلة، تساوره الشكوك ويشتبه في وضعنا. تنتقل هواجسي مباشرة لإستير، وأتساءل عما إذا كان ينبغي أن أكون أكثر حرصًا فيما أتوق إليه. لو ارتاب جاك في استجواباتها المتلاحقة، فقد يظن بأني شجعتها بطريقة ما، وأن لا جدوى من استمراري على قيد الحياة. لولا ميلي، لكنت أُقبل على الموت بكل سرور بعد أن خبرتُ هذه الحياة الجديدة مع جاك. لولاها لما كنت هنا، كما قال جاك من قبل؛ إنه يريد ميلي، وليس أنا.

# الماضي

ذاك النهار في تايلاند؛ صباح اليوم التالي بعد ليلة اكتشافي حقيقة الوحش الذي تزوجته، لم أكن متعجلة أن يستيقظ جاك، لأنني كنت أعرف أنه حالما يصحو، سيكون عليَّ أن أبدأ في لعب الدور الذي صار مرسومًا لحياتي منذ تزوجتُ جاك. قضيت طوال الليل أهيئ نفسي ذهنيًّا لأن أتقبل فكرة أنني لو رغبتُ في العودة إلى إنجلترا، بسرعة وأمان، فسيتعين عليَّ أن أتظاهر بأنني امرأة محطمة وخائفة. لم أكن قلقة بشأن التظاهر بالخوف، لأنني كنت بالفعل أرتعد. سيكون التظاهر بالانكسار أكثر صعوبة، لأنه ببساطة يُخالف طبيعتي المقاوِمة. غير أن جاك توقع أني سأحاول الهروب مرة أخرى قبل مغادرتنا تايلاند، لذا كنت مصممة على عدم الفرار، إذ كان يهمني أن يعتقد يقينًا أنني استسلمتُ له فعلًا. حين شعرتُ به يتحرك، تدثرتُ بغطائي وتظاهرتُ بالنوم، على أمل أن أنال قسطًا إضافيًّا من الراحة. سمعتُه ينهض من السرير، ويقترب من حيث كنت أجلس مسندة ظهري إلى الحائط. شعرتُ بنظراته تُحدِّق إليّ، فبدأت فرائصي ترتعد وقلبي ينبض بشدة، كنت موقنة أنه يستطيع شمَّ خوفي. بعد دقيقتين أو نحو ذلك، ابتعد عني، غير أنني حين سمعتُ باب الحمام يُفتح، وماء الدش يندفع خلف الكابينة، فتحتُ عينيَّ.

قال:

- عرفتُ أنك تتظاهرين بالنوم.

مما جعلني أصرخ فزِعة، إذ كان يقف بجواري تمامًا.

- هيا، انهضي، لديكِ قائمة اعتذارات طويلة لهذا الصباح، أتذكرين؟

استحممت وارتديت ملابسي بينما كان يشاهدني. شعرت بالراحة إزاء ما قاله في الليلة الفائتة؛ إنه ليس منجذبًا إليَّ من الناحية الجسدية. قال فيما يهز رأسه مشيرًا للفستان الذي اخترته:

- جيد. الآن ارسمي بسمة على وجهك.

تمتمت قائلة:

- حينما نكون في الطابق الأسفل (لكي أماطل قليلًا في الوقت).

قال بنبرة حازمة:

- الآن، أريدك أن تنظري إليَّ كما لو أنك تحبينني.

ازدردتُ ريقي بصعوبة، والتفت صوبه بتؤدة، ظانَّةً إني لن أستطيع القيام بذلك، غير أني حين رأيتُ الرقة البادية على وجهه فيما ينظر إليَّ، شعرتُ بحيرة ومَيْل للتنازل، كما لو أن جميع ما حدث في الثماني وأربعين ساعة الماضية، كان محض حلم. لم أستطع إخفاء الشوق الذي شعرت به، وحين ابتسم إليَّ بلطف، لم يسعني إلا مبادلته الابتسام.

قال:

- هذا أفضل. حافظي عليها طوال فترة الإفطار.

انتابتني الدهشة، كيف نسيتُ ولو لوهلة قصيرة ما كان عليه بالفعل، واحمرَّت وجنتاي من الخجل؟!

- فكري في الأمر بهذه الطريقة يا غريس، إذ من الواضح أنك لا تزالين تجدينني جذابًا، سيُسهِّل ذلك عليكِ لعِب دور الزوجة المحبة.

وخزَت دموع الأسى عيني، فاستدرت بعيدًا، مشيحةً بوجهي عن مظهره الذي يتعارض تمامًا مع الشر الذي يقدح بداخله. فما دام قادرًا على خداعي ولو لبضع ثوانٍ، على الرغم من كل ما أعرفه عنه، فكيف سأستطيع إقناع الناس بأنه ذئب في ثياب حمل وديع؟!

هبطنا بالمصعد إلى الردهة، ومررنا أمام مكتب الاستقبال، فوجَّهني جاك صوب مدير الفندق، ووقف محيطًا كتفي بذراعه، بينما رحتُ أعتذر عن

تصرفي في الليلة السابقة، موضحةً أنه بسبب تغيير الوقت ونسياني تناول الدواء في الوقت المحدد. كنتُ أعلم بأن كيكو تراقبني في صمت من خلف منضدة الاستقبال، وكلي رجاء بأن تفهم بحدسها -ربما كنوع من التعاطف الأنثوي- وتُدرك أن بكائي في الليلة الفائتة كان حقيقيًّا. ربما داهمتها المخاوف حين ظهر جاك فجأة بداخل الغرفة وقتما كنت أبدل ثيابي في الحمام، وأخبرها بأنه سيتولى الأمر بنفسه. حالما انتهيت من الاعتذار للمدير، ألقيت نظرة خاطفة عليها، وأردت أن أُفهِمها أني ألعب دورًا تمثيليًّا وأني أريد منها أن تتصل بالسفارة على الرغم من كل شيء. غير أنها تجنبَت الأمر ولم تنظر نحوي من الأساس. تقبل المدير اعتذاري ورافقنا إلى الشرفة، وضَيَّفنا بنفسه حالما أجلسَنا على طاولة تحت ضوء الشمس. وعلى الرغم من أنني لم أكن جائعة، أرغمتُ نفسي على تناول الطعام، ليقيني بأني سأحتاج إلى الحفاظ على قوتي. وبينما كنا نأكل، استمر جاك في التمثيل وصارت تتدفق منه الكلمات ليخبرني بما سنفعله اليوم؛ كان يمثل على الأشخاص الجالسين بالقرب من طاولتنا، إذ لم نقم بأي شيء مما قاله حقيقةً.

حين انتهينا من الإفطار، أخذني جاك إلى الفندق ذي الخمس نجمات الذي رأيته أمس، وبعد التقاط عدة صور لي وأنا واقفة أمام المدخل، حيث استدعيتُ ذكريات سعيدة مع ميلي لأُظهر ابتسامة صادقة كما طلب جاك، أعادني لغرفتنا، فقلت له:

- أرغب في الاتصال بميلي (بينما أغلق الباب وراءنا) هل يمكنني استعادة هاتفي المحمول من فضلك؟

هز رأسه بأسف:

- أخشى أن هذا غير ممكن.
- لقد وعدتُ أمي بأن أتصل بها (ألححت) وأريد أن أعرف كيف حال ميلي.
- أريد أنا أن يعتقد والداك بأنك تقضين وقتًا رائعًا معي في شهر العسل، ما يعني أن رأسكِ قد فرغ تمامًا من كل ما يتعلَّق بميلي.

- أرجوك يا جاك.

كرهتُ نبرة التوسل التي تبدَّت في صوتي، لكنني كنت يائسة ومشتاقة لأن أطمئن على ميلي، بل ومتفاجئة من اشتياقي لسماع صوت أمي، لكي أطمئن لكون العالم الذي عرفتُه في السابق لا يزال موجودًا.

- لا.

قلت بينما أكز على أسناني:

- إني أكرهك.

- بالطبع تكرهينني. سأخرج الآن لبعض الوقت، وستنتظرين هنا في الشرفة حتى تسمر بشرتك، لذا تأكدي من أخذ كل ما تحتاجين إليه من الغرفة، لأنك لن تستطيعي الدخول من الشرفة حالما أذهب.

استغرق الأمر مني برهة حتى أستوعب الموقف.

- هل تقصد أنك ستحبسني في الشرفة؟!

- هذا صحيح.

- لِمَ لا أستطيع البقاء في الغرفة؟

- لأنني لا يمكنني حبسك.



نظرت إليه بفزع:

- ماذا لو احتجتُ إلى الحمام؟

- لن تستطيعي الذهاب إليه، لذا أقترح أن تقضي حاجتك الآن.

- كم ستمكث في الخارج؟

- ساعتين أو ثلاث ساعات، ربما أربع. ولو خطر لكِ أن تطلبي المساعدة من أحد المارة أسفل الشرفة، فلا أنصحك بهذا أبدًا. سأكون في الجوار أشاهد وأسمع. لذا لا تقومي بأي فعل غبي يا غريس، إنني أحذرك.

سرى البرد في عمودي الفقري بسبب الطريقة التي تكلم بها، لكن فور مغادرته كان من الصعب مقاومة الإغراء للوقوف في الشرفة والصراخ طلبًا للمساعدة بأعلى صوتي. حاولتُ أن أتخيل ما يمكن أن يحدث لو فعلت ذلك،

وتوصلتُ إلى نتيجة مفادها أنه لو هُرع الناس لمساعدتي، فإن في مقدرة جاك أن يخترع قصة مقنعة تخص حالتي العقلية. وحتى لو قرر شخص ما أن ينظر أكثر في ادعائي -بأني محتجزة لدى جاك القاتل- فقد يستغرق الأمر أسابيع قبل أن يتم إثبات أي شيء. حتى لو تمكنت من تكرار القصة التي حكاها لي، ثم وجدتْ السلطات بعد بحث جهيد قضيةً لأب ضرب زوجته حتى الموت، تتطابق تمامًا مع القصة التي أخبرتُهم بها، وتعقَّبَت والد جاك، وقرر الرجل أن يقول إن ابنه هو مَن ارتكب جريمة القتل، فمن غير المحتمل أن يصدقه أحد بعد ثلاثين عامًا من الواقعة، وثمة احتمال أن الرجل قد لاقى حتفه بداخل السجن على أي حال. وعلاوةً على ذلك، لم يكن لدي وسيلة للتأكد من صحة القصة التي حكاها لي. لقد بدا الأمر واقعيًا بدرجة رهيبة، غير أن جاك يستطيع أن يختلق القصة برمتها، لمجرد إخافتي وحسب. كانت الشرفة التي سأقضي فيها الساعات القليلة القادمة، تُواجه شرفة أخرى في الجزء الخلفي من الفندق. نظرتُ نحو الأسفل، حيث أمكنني رؤية نزلاء يتجولون حول حمام السباحة، مستعدين للنزول أو الاستمتاع بحمامات الشمس. أدركتُ كيف يمكن لجاك أن يكون في أي مكان الآن، يراقبني بيُسر ويراني من حيث لا أراه، فابتعدتُ عن حافة الشرفة.

كان في الشرفة كرسيان خشبيان مضلعان، من النوع غير المريح الذي يترك علامات على ربلة الساق لو جلست عليه لفترة طويلة. كانت ثمة أيضًا منضدة صغيرة، لكن لا وجود لأي مقعد بحر مبطَّن، ما كان سيجعل حبستي هنا أكثر راحة. ولحسن الحظ أني فكرتُ في اصطحاب منشفتي، إذ صنعتُ منها وسادة وضعتها على الكرسي. كان جاك قد منحني الوقت الكافي لتحضير البيكيني وكريم الشمس والنظارة الشمسية، غير أني نسيتُ حمل كتاب من الكتب العديدة التي أحضرتها معي. لا يهم؛ كنت أعلم أنني لن أستطيع التركيز في القراءة، مهما كانت القصة مثيرة. بعد بضع دقائق قليلة في الشرفة، شعرتُ كأنني أسد حبيس بداخل قفص، ما أشعل فيَّ الرغبة في الهروب، وكنت محظوظة بأن الغرفة المجاورة تخلو من النزلاء، إذ إن إغراء الطرق على باب الشرفة لطلب النجدة أمر تصعب مقاومته.

بات الأسبوع التالي عذابًا. كان جاك يأخذني أحيانًا لتناول الإفطار في الصباح، وأحيانًا لا يفعل. وبات واضحًا أنه نزيل منتظم على الفندق؛ من الطريقة التي عامله بها المدير.

نزلنا يومًا لتناول الإفطار، وأعادني جاك مباشرة إلى الغرفة فور انتهائنا، وأغلق عليَّ الشرفة لكي يعود من حيث أتى، سمح لي وقتها بدخول الغرفة لقضاء حاجتي، أو آكل كل ما أحضره لي كوجبة للغداء. بعد ساعة أو نحوها، أجبرني على العودة إلى الشرفة، واختفى حتى المساء. على الرغم من معاملته الفظيعة، فقد كنت أشعر بامتنان بسبب بعض الأمور؛ كان ثمة جزء ظليل في الشرفة لأجلس فيه، وكان يسمح لي بأخذ زجاجات المياه إلى الشرفة حين ألح عليه، وكنت حريصة ألا أشرب الكثير.

في كل مرة يتركني فيها، لم يغِب قط لأكثر من أربع ساعات، غير أن الوقت كان يمضي ببطء شديد. صار كل شيء صعب الاحتمال؛ الوحدة، الملل، الخوف، اليأس، أغمضت عيني ورحتُ أفكر في ميلي أكثر من التوق إلى الخروج من الشرفة. ثم قرر جاك أن يعتقني، ليس لشعوره بالأسف لأجلي، لكن لأنه أراد التقاط بعض الصور، وكانت أكثر الأوقات إرهاقًا لدرجة أنني كنت أسعد بالعودة إلى غرفة الفندق. اصطحبني في إحدى الأمسيات لتناول العشاء في مطعم رائع، حيث التقط لي الصورة تلو الأخرى على فترات مختلفة في أثناء تناولي الوجبة. وبعد ظهر أحد الأيام، حجز سيارة أجرة لتأخذنا في جولة لزيارة معالم المدينة في غضون أربع ساعات، مع أنها تُشاهَد عادةً على امتداد أربعة أيام، والتقط في أثنائها المزيد من الصور كدليل على الوقت الجميل الذي أمضيته معه. بعد ظهر يوم آخر، أخذني إلى فندق بدا كأحد أفضل الفنادق في بانكوك، حيث استطاع بأعجوبة ما الدخول لشاطئه الخاص، جلستُ أبدل البكينيات الواحد تلو الآخر، فبدا الأمر كما لو أن الصور قد تم التقاطها في أيام مختلفة، تساءلت عما إذا كان جاك يقضي أيامه في هذا الفندق بينما كنت عالقة بداخل الشرفة. أملتُ أن يتساءل الموظفون في الفندق الذي مكثت فيه عن سبب عدم وجودي في الجوار، لكن حين أخذني

جاك لتناول الإفطار ذات صباح، وسألوني باهتمام إذا كنت أشعر بتحسن، فهمتُ أنه أخبرهم بأنني كنت أمكث في الغرفة بسبب علة في المعدة.

أسوأ ما في رحلات العودة إلى الحياة الطبيعية هو الأمل الذي منحني إياه، لأن جاك عاد إلى الرجل الذي وقعت في حبه. أحيانًا -في أثناء تناول الوجبة، على سبيل المثال- حينما كان يلعب دور الزوج الحريص والمحب، كنت أنسى ما كان عليه أساسًا. ربما لو لم يكن ذا رفقة جيدة، لكان من الأسهل تذكرها، ولكن حتى حينما تذكرت، كان من الصعب جدًّا مساواة الرجل الذي كان ينظر إليَّ بعشق من الجانب الآخر من الطاولة مع الرجل الذي أمسكني كسجينة، اعتقدت بأنني كنت أتخيل كل شيء تقريبًا.

الرجوع إلى صخب الحياة مرة أخرى صعب بشكل مضاعف، إلى جانب خيبة الأمل، كان ثمة شعور خجل من الاستسلام لسحره، نظرت حولي بتوتر، باحثة عن مخرج؛ مكان ما للركض إليه، شخص ما لأقول له. عند رؤية هذا، كان ينظر إلي متسليًا، ويطلب مني المضي قدمًا. كان يقول:

- اركضي. هيا، اذهبي وأخبري ذلك الشخص بالجوار، أو ربما ذلك الشخص هناك بأنني أحتجزك، أنني وحش، قاتل. لكن أولًا انظري حولك. تأملي جنبات هذا المطعم الجميل الذي أحضرتك إليه، وفكري في الطعام اللذيذ الذي تأكلينه والنبيذ الرائع في قدحك. هل تبدين كما لو كنتِ سجينة؟ هل أبدو كأنني وحش قاتل؟ لا أعتقد هذا. ولكن إذا كنتِ تريدين المضي قدمًا، فلن أوقفك. أنا في حالة مزاجية لنيل بعض المرح.

ابتلعت دموعي وذكَّرت نفسي أنه فور عودتنا إلى إنجلترا، سيكون كل شيء أسهل.

في بداية الأسبوع الثاني في تايلاند، وصلت إلى أدنى مستوى، لدرجة أنه أصبح من الصعب مقاومة إغراء محاولة الهروب. لم يكن مجرد التفكير في قضاء معظم الأيام الستة المتبقية عالقة على الشرفة محبِطًا، بل بدأت أيضًا في إدراك اليأس من وضعي. لم أعد متأكدة من أنه حالما نعود إلى إنجلترا،

سيكون الهروب من جاك أمرًا سهلًا كما اعتقدت، لأسباب ليس أقلها أن سمعته كمحامٍ ناجح لا بد أن تحميه. عندما فكرت في تنبيه شخص ما إلى ما هو عليه بالفعل، بدأت أشعر أن السفارة البريطانية في تايلاند قد تكون رهانًا أكثر أمانًا من الشرطة المحلية في الوطن.

كان ثمة شيء آخر أيضًا. خلال الأيام الثلاثة الماضية، حالما فتح جاك الشرفة، وسمح لي بالعودة إلى الغرفة في المساء، غادر الغرفة مرة أخرى، وأخبرني بأنه سيعود قريبًا، وحذرني من أنني إذا حاولت الهروب، فسوف يعرف هذا حالًا.

كانت معرفة أنني أستطيع فتح الباب والمغادرة أمرًا موجعًا، وتطلَّب مني كل قوة إرادتي لتجاهل غريزة الرغبة بالفرار. فقد مضى الوضع في تلك الليالي هكذا، في الليلة الأولى عاد بعد عشرين دقيقة، وثاني ليلة بعد ساعة، لكن في الليلة الثالثة، لم يعد حتى الساعة الحادية عشرة تقريبًا، وأدركت أنه كان يؤسس فترة الوقت تدريجيًّا؛ الذي كان يتركني فيه وحدي. وفكرة أنه قد يبقى في الخارج لفترة كافية أستطيع فيها الذهاب إلى السفارة البريطانية، تساءلت عما إذا كانت تجدي المحاولة. كنت أعلم أنني لا أستطيع الاعتماد على إدارة الفندق لمساعدتي، وأنني من غير مساعدة لن أبتعد كثيرًا، بيد معرفة أن الغرفة المجاورة قد سكن بها أحد منذ عطلة نهاية الأسبوع جعلتني أتساءل عما إذا كان بإمكاني طلب النجدة من جيراني. لم أستطع تحديد جنسيتهما، لأن الأصوات التي جاءت عبر الجدار كانت مكتومة، إلا أنني توقعت أنهما زوجان شابان، ببساطة بسبب نوع الموسيقى التي استمعا إليه. على الرغم من عدم وجودهما كثيرًا خلال النهار -لم يكن أحد يأتي إلى تايلاند ويقضي وقته في غرفة فندق ما لم يكن سجينًا مثلي - فحينما كانا في الغرفة أحيانًا، كان أحدهما يخرج إلى الشرفة لتدخين سيجارته. خمنت أنه رجل لأن الصورة الظلية له، التي يمكنني رؤيتها ضبابية من خلال الحاجز بدت وكأنها لرجل، وفي بعض الأحيان كنت أسمعه يقول شيئًا ما للمرأة، فيما اعتقدت أنه إما إسباني أو برتغالي. كما يبدو أنهما يقضيان معظم الأمسيات في الغرفة، لذلك خمنت أنهما يستمتعان بشهر العسل، حيثما يجلسان في الغرفة باطمئنان

يمارسان الحب. في تلكم الليالي، مع صوت الموسيقى الهادئة التي اخترقت الجدران، اغرورقت عيناي بالدموع، وتذكرت مجددًا كيف يمكن أن ينتهي بي الأمر. في الليلة الرابعة، لم يعد جاك حتى منتصف الليل، علمت أنني كنت محقة في نظريتي أنه كان يبني تدريجيًّا مقدار الوقت الذي يتركني فيه وحدي، معتمدًا على حقيقة أنني قد ألوذ بالهرب. لم يكن لدي أدنى فكرة عن المكان الذي ذهب إليه في هذه الليالي، ولكن نظرًا لأنه كان دائمًا في حالة مزاجية جيدة عند عودته، توقعت أنه زار بيتًا من بيوت الدعارة. كنت قد قررت، خلال الساعات الطويلة التي أمضيتها في الشرفة حيث لم يكن لدي شيء سوى أفكاري لأحافظ على صحتي النفسية، أنه بسبب ما قاله عن ممارسة الحب معي، يجب أن يكون مثليًّا، وخلصت إلى أنه جاء إلى تايلاند من أجل الانغماس فيما لم يجرؤ على الانغماس فيه في المنزل خوفًا من الابتزاز. كنت أعلم أن ثمة شيئًا مفقودًا في نظريتي، سوى أنني لم أعرف بعد ما هو. في الليلة الخامسة، عندما لم يعد حتى الثانية صباحًا، بدأت بجدية في تقييم خياراتي. كان المتبقي خمسة أيام أخرى لنعود إلى إنجلترا كما هو مخطط له من قبل، فيما بدت أنها فترة انتظار طويلة لا نهاية لها، كان ثمة خوف آخر أيضًا؛ أننا لن نغادر كما يُفترض.

في ذلك الصباح، كنت مستاءة استياءً متزايدًا لأنني لم أتصل بميلي، سألت جاك إذا كان بإمكاننا الذهاب لرؤيتها فور عودتنا. رده كان: أنه يستمتع بشهر العسل لدرجة أنه كان يفكر في تمديده. مما جعل دموع الألم الصامتة تسقط من عيني. أخبرت نفسي أنها كانت لعبة أخرى من ألعابه، وأنه يحاول زعزعة استقراري، بيد أنني شعرت بالعجز الشديد حيث قضيت معظم اليوم أبكي. بحلول وقت المساء، كنت مصممة على الابتعاد عنه. ربما لو لم أكن متأكدة من أن الزوجين المجاورين كانا إسبانيين وليسا برتغاليين، لكنت بقيت في محلي، ولكن لأنني تعلمت ما يكفي من اللغة في أثناء رحلاتي إلى الأرجنتين، كنت واثقة من أنني أستطيع أن أقنعهما بأنني في حاجة ماسة إلى المساعدة.

حقيقة أنهما زوجان -أنه ستكون هناك امرأة يمكنني التحدث إليها- جعلتني أقتنع بالأمر أكثر. على أي حال، كنت على يقين من أنهما كانا يعرفان

بالفعل أنني في ورطة لأنه بعد ظهر ذلك اليوم، حينما جاء الرجل إلى الشرفة للتدخين، نادى المرأة بقلق، وأخبرها بأنه يسمع شخصًا يبكي. وخوفًا من أن يراهما جاك يحاولان النظر من الشرفة من حيث المكان الذي يقبع فيه يراقبني، فقد قمت بخنق عبراتي وبقيت ساكنة قدر الإمكان حتى يعتقدا أنني عدت إلى الغرفة. لكني كنت آمل أن تجعلني حقيقة أنهما سمعاني أبكي في وضع جيد. انتظرت حتى رحل جاك لمدة ثلاث ساعات قبل أن أتحرك. لقد ذهب في الساعة الحادية عشرة، لكنني علمت أن الزوجين ما زالا مستيقظين لأنني سمعتهما يتحركان في غرفتهما. مدركة ما حدث في المرة السابقة، فتفحصت حقيبتي وحالتي والغرفة للتأكد من عدم وجود جواز سفري ومحفظتي. وحينما لم أتمكن من العثور عليهما، توجهت إلى الباب وفتحته على مهل، ودعوت الله ألا أجد جاك يأتي من الممر في طريق عودته. لم أره، لكن فكرة أنه قد يظهر بغتة جعلتني أطرق باب الزوجين الإسبان بصوت أعلى مما نويت.

كان بإمكاني سماع الرجل يتمتم بشيء ما، ربما يكون متكدرًا من إزعاجه في وقت متأخر من الليل، نادى بصوته بينما الباب مغلق:

- Quién es?

- أنا جارتك، هل يمكنك مساعدتي من فضلك؟

- Quién es?

- أيمكنك فتح الباب من فضلك؟

صوت المصعد في نهاية الممر الذي لا لبس فيه يقترب من التوقف، جعلني أضغط على الباب مرة أخرى.

صرخت:

- أسرع! (قلبي قفز من محله) من فضلك أسرع!

عندما تم إطلاق ترباس المصعد، حثني صوت ضجيج فتح بابيه على الاقتراب من الغرفة.

- شكرًا لك، شكرًا لك! أنا...

ماتت الكلمات على شفتي ووجدت نفسي أحدّق برعب إلى جاك. قال وهو يضحك على الصدمة التي أصابت وجهي:

- لقد توقعت أن تفعلي هذا قبل الليلة. لقد بدأت أعتقد أنني كنت قد أخطأت في أمرك، كنت قد بدأت في الاعتقاد بأنكِ قد سمعتِ تحذيري بعد كل شيء ولن تحاولي الهروب. بالطبع، كان من الأفضل لك لو أنك أنصتِ إليَّ، لبات الأمر أقل متعة لي. يجدر بي أن أعترف أنني كنت سأصاب بخيبة أمل إذا ذهب كل عملي الشاق سدى.

تخدر جسدي، وبينما كنت أتداعى على الأرض، مرتعشة من الصدمة، جلس القرفصاء بجانبي، قال بهدوء:

- دعيني أخمن. كنت تعتقدين أن زوجين إسبانيين قد انتقلا إلى هذه الغرفة، أليس كذلك؟ ومع ذلك لم يكن هناك سواي. إذا فكرتِ في الأمر، فلم تسمعي رد المرأة قط، لأن الصوت جاء من الراديو. لم ترَيها قط على الشرفة أيضًا، ومع هذا ما زلتِ تعتقدين أنها موجودة. بالطبع، لم تعرفي أنني أدخن، فلم أجعلها عادة لي، ولم تعرفي أنني أتحدث الإسبانية. (وقف لبرهة) أخبرتك أيضًا أنه سيكون من الغباء جدًّا محاولة الهروب مرة أخرى قبل مغادرتنا من تايلاند. (تابع حديثه بصوت هامس) والآن بعد محاولة الفرار، ماذا تعتقدين أنني سأفعل؟

نشجت باكية:

- افعل ما يحلو لك؛ لم أعد أهتم.

- كلمات شجاعة، بيد أنني متأكد من أنك لا تعنينها. على سبيل المثال، إنني موقن من أنك ستصابين بالذهول إذا قررتُ قتلك، لأن هذا يعني أنك لن تري ميلي مرة أخرى.

قلت بشجاعة أكثر مما شعرت:

- لن تقتلني.

- إنك على حق، إنني لست كذلك، ليس بعد، على أي حال. أولًا وقبل كل شيء، أريدك أن تفعلي لميلي ما لا تستطيع أن تفعله لنفسها (هب

واقفًا بينما نظر إلي باستياء). لسوء الحظ، لا يمكنني معاقبتك هنا، لأنه لا يوجد شيء يمكنني أن أحرمك منه حقًّا. ولكن لأنك حاولت الآن الهروب مرتين، فلن نرى ميلي إلا في عطلة نهاية الأسبوع الأول أو نهاية الأسبوع الثاني بعد عودتنا إلى إنجلترا.

قلت بين عويلي:

- لا يمكنك فعل هذا!

- بالطبع أستطيع؛ وأكثر من هذا أيضًا، لقد حذرتك من أنني سأقوم بذلك.

دنا صوبي، ورفعني على قدمي:

- هيا تعالي، لنذهب.

فتح الباب ودفعني داخل الممر. قال وهو يغلق الباب خلفه:

- كان الأمر يستحق دفع ثمن الغرفة الإضافية.

- السيد هُو -المدير- فهم تمامًا لماذا قد أحتاج إلى غرفة منفصلة لنفسي، بالنظر إلى حالتك العقلية. ما هو شعورك حينما تعرفين أنني كنت أشاهدك طيلة الوقت؟

زمجرت قائلة:

- ليس جيدًا كما ستشعر في اليوم الذي أراك فيه تذهب إلى السجن.

- هذا يا غريس لن يحدث أبدًا.

وأعادني إلى غرفتنا.

- هل تعرفين لماذا؟ لأنني نظيف للغاية.

كانت هذه اللحظات أدنى شعور وصلت إليه خلال الأسبوعين في تايلاند. فلم يكن الأمر بسبب فشلي من الهروب، بل أمر أكبر؛ أنني وقعت مرة أخرى في الفخ الذي وضعه جاك بعناية فائقة من أجلي. حاولت أن أفهم لماذا بذل كل هذا الجهد لإسقاطي في شَرَكِه، حينما لم أكن لأحاول الفرار لولا ما فعل. ربما كان السبب ببساطة هو أن إذعاني ضايقه أو ربما كان أمرًا أكثر شرًّا،

لأنه من خلال حرمان نفسه من متعة التحطيم جسديًا، أراد متعة تحطيمي نفسيًا. إن التفكير في أنه سيحول سجني إلى نوع من الألعاب النفسية جعل دمي يبرد. حتى لو أتت فرصة أخرى للهروب، فسيكون ثمة خوف دائم من أنه كان يدير ويدبر كل شيء، وأدركت أنه إذا لم أفلت منه فور وصولنا إلى إنجلترا، قبل أن نغادر المطار، سيكون الأمر أكثر صعوبة حينما نسكن في منزل.

في مواجهة اليأس، أجبرت نفسي على التفكير فيما قد أستطيع فعله، سواء على متن الطائرة أو حين وصولنا إلى مطار هيثرو. إذا أخبرت إحدى المضيفات حالما نقلع بأن جاك كان يحتجزني، هل سأتحلى برباطة الجأش حينما يؤكد لهن أنني كنت أهذي؟ ماذا لو أحضر التقرير من مدير الفندق لدعم ادعائه؟ ماذا سأفعل بعد ذلك؟ وإذا تمكنت من تمالك أعصابي، وأخبرتهن بأنه يتقصد إلحاق أذى كبير بي وبأختي، فهل سأتمكن من إقناعهن بإجراء فحوصات عليه بينما ما نزال في الجو؟ وإن قمن بالفحوصات، فهل سيجدن أنه محتال أم سيجدن أن جاك أنجيل كان محاميًا ناجحًا دافعًا عن النساء المعنَّفات؟ لم أكن أعرف، لكنني كنت مصممة على أن أجعل صوتي مسموعًا، وعزمت أيضًا على أنه إذا لم ينصت لي أحد، فسأثير مثل هذه الضجة وقتما نصل إلى مطار هيثرو، بحيث يتم نقلي إلى المستشفى أو مركز الشرطة. لم أفكر كثيرًا في الأمر حينما بدأت أشعر بالنعاس بعد وقت قصير من إقلاع رحلتنا المسائية. ولكن في الوقت الذي هبطنا فيه في صباح اليوم التالي، كنت مترنحة لدرجة أنه كان لا بد من إحضار كرسي متحرك حتى أتمكن من النزول من الطائرة، وكانت كلماتي متداخلة لدرجة أنني بالكاد أستطيع التحدث. على الرغم من أنني لم أستطع سماع ما كان جاك يقوله للطبيب الذي جاء لفحصي، إزاء الضباب الذي تغلغل في عقلي، تمكنت من رؤية أنه كان يحمل علبة حبوب في يده.

أدركت أن فرصي في الابتعاد عنه كانت تتلاشى من يدي، فقد بذلت جهدًا شجاعًا لطلب المساعدة حيث تمت مرافقتنا عبر مراقبة جوازات السفر، لكن كل ما خرج من فمي كانت أصواتًا غير مفهومة. في السيارة، ربطني جاك

بمقعدي وتدحرجت على الباب، غير قادرة على مقاومة النعاس الذي صيَّرني عاجزة. في المرة التي قمت فيها، وجدت جاك يشرِبني بالقوة قهوة سوداء قوية اشتراها من آلة البيع الذاتي في محطة الخدمة. صفا ذهني قليلًا، لكنني ما زلت أشعر بالتشوش. تلعثمت:

- أين نحن؟

بينما أبذل جهدًا للجلوس في وضع مستقيم. أجاب:

- بالقرب من المنزل.

وكان ثمة إثارة في نبرة صوته لدرجة أنني شعرت بالخوف. عاد إلى السيارة، وفي أثناء سيرنا حاولت معرفة مكاننا، بيد أنني لم أتعرف على أسماء أي من القرى التي مررنا بها. بعد نحو نصف ساعة انعطف صوب شارع ضيق. قال وهو يبطئ من سرعة السيارة:

- حسنًا، ها هي زوجتي العزيزة. أتمنى أن تنال إعجابك.

توقفنا بجانب زوجين من البوابات السوداء الضخمة. وعلى مسافة أبعد قليلًا كان هناك بوابة سوداء واحدة أصغر مع جرس مثبت في الحائط بجانبها. أخذ جهاز التحكم عن بعد من جيبه، وضغط على زر وفُتحت البوابات المزدوجة.

- المنزل الذي وعدتك به كهدية زفاف. الآن، ما رأيك به؟

في البداية حسبت أنني أهلوس إزاء كل ما كان يخدرني به. لكن بعد هذا أدركت أنني كنت أنظر حقًّا إلى المنزل الذي رسمناه معًا على قطعة من الورق في حانة فندق كونوت، المنزل الذي وعدني بأنه سيجده لي، حتى النافذة الصغيرة المستديرة في العلية. ضحك وهو يقود سيارته عبر البوابات:

- أرى أن لسانك انعقد.

بعد أن وصل إلى نقطة توقف بالقرب من الباب الأمامي، نزل من السيارة، ودار صوب جهتي ليفتح لي الباب. حينما بقيت جالسة في مكاني، وضع يديه تحت ذراعي، وجذبني بغلظة من السيارة وسحبني على الأرض حتى وصلنا

إلى الشرفة. فتح الباب الأمامي ودفعني إلى الصالة، وأغلق الباب بعقبه. قال ساخرًا:

- مرحبًا بكِ في بيتكِ، أتمنى أن تكوني سعيدة جدًّا هنا.

كانت الردهة جميلة بسقفها العالي ودرجها الرائع. والأبواب على اليمين موصدة، وكذلك الأبواب المزدوجة الضخمة على اليسار. وأردف قائلًا:

- موقن من أنك ترغبين في أن أريكِ الأرجاء. لكن أولًا، ألا ترغبين في رؤية مولي؟

حدقت إليه:

- مولي؟!

- نعم، مولي. لا تخبريني بأنك نسيتِها تمامًا.

- أين هي؟

سألته مُلحة، ومصدومة لأنني لم أفكر بها مرة واحدة حينما كنا في تايلاند.

- أين مولي؟

- في غرفة الخدمات.

فتح بابًا على يمين الدرج وفتح الضوء.

- إلى الأسفل هنا.

بينما كنت أتبعه إلى الطابق السفلي، تعرفت على البلاط من الصورة التي أرانيها لمولي في سلتها. توقف أمام الباب.

- إنها في الداخل. ولكن قبل أن تذهبي لرؤيتها، من الأفضل أن تأخذي واحدة من هذه.

أخذ واحدًا من أكياس القمامة، حيث كانت على الرف، اقتطع واحدًا وسلمه لي.

- أعتقد أنك ستحتاجين إليه.

# الحاضر

على الرغم من شعوري بأن الأيام تمر بثقل وبطء، فإنني دومًا مدهوشة من السرعة التي تأتي بها أيام الآحاد. وعلى الرغم من هذا، لا يسعني اليوم سوى الإحساس بالاكتئاب، فلا زيارة لميلي أتطلع إليها. لا أعرف على وجه اليقين، بيد أنه أمر غير ممكن؛ أن يأخذني جاك لرؤيتها في حين قد زرناها يوم الأحد الماضي والذي قبله. ومع ذلك، من المحتمل أنه سيفاجئني، لذلك كنت قد استحممت تحسبًا فقط، أجفف نفسي وشعري بمنشفة اليد الصغيرة التي يسمح لي باستخدامها. تصير ملاءات الاستحمام ومجففات الشعر من الكماليات التي ولت منذ زمن، وكذلك زيارات مصففي الشعر. على الرغم من أن تجفيف شعري شاق في الشتاء، فإن الأمر ليس سيئًا تمامًا. شعري المحروم من الحرارة والمقص، طويل ولامع، وبقليل من البراعة، يمكنني ربطه بعقدة ذيل حصان حتى لا يضايقني.

عندما وصلنا إلى المنزل لأول مرة، كان لدي غرفة نوم أجمل كثيرًا، بكل الأشياء بجميع أنواعها التي تبقيني مستمتعة، والتي حرمني منها جاك مع كل محاولة للهروب. في البداية حُرمت من الغلاية، ثم الراديو، ثم الكتب. مع عدم وجود أي شيء يشتت انتباهي، لجأت إلى اللعب بالملابس في الخزانة، لتخفيف الملل المخيف في الأيام الخوالي، تجميع أطقم ملابس مختلفة ومطابقتها مع ملابس مختلفة أخرى، لأجل التسلية وحسب. ولكن بعد محاولة فاشلة أخرى للهروب، أخذني جاك من تلك الغرفة، وأدخلني غرفة الصندوق المجاورة، والتي جردها من كل وسائل الراحة باستثناء السرير، حتى إنه كلف نفسه عناء المشقة بإضافة قضبان إلى النافذة. نظرًا لحرماني من خزانة ملابسي، كان علي الاعتماد عليه لإحضار الملابس كل صباح. سرعان ما فقدت هذا الحق أيضًا. والآن، ما لم نخرج، سأرتدي مناماتي ليلًا ونهارًا. على الرغم

من أنه يجلب لي الملابس النظيفة ثلاث مرات في الأسبوع، فلا يوجد ما يخفف من رتابة ارتداء نفس الشيء يومًا بعد يوم، وبخاصة حينما يكون كل طقم مشابهًا للآخر تمامًا. جميعها من نفس النمط ونفس اللون –أسود- فلا زخرفة تفصيلة تزين الطقم عن الآخر.

ذات مرة، منذ وقت ليس ببعيد، حينما سألته عما إذا كان بإمكاني ارتداء فستان في أثناء النهار من أجل التغيير، أحضر لي ستارة كنت أضعها في شقتي، وطلب مني أن أحوكها لنفسي.

كان يحسب نفسه أنه فكاهي، لأنه كان يعلم بأن لا مقص في حوزتي، أو إبرة وخيط، ولكن حينما وجدني أرتديه في اليوم التالي، ملفوفًا حولي مثل الساري، وعرف أنه خيار مرحَّب به بدل منامتي، أخذه مرة أخرى، منزعجًا من حذاقتي. ومن هنا جاءت نكاته الصغيرة لإستير والآخرين عن كوني حائكة وأصنع ملابسي بنفسي.

يحب أن يضعني في المواقف المحرجة، ليرى كيف سأتعامل مع أمر تم إلقاؤه بلا مبالاة في أي دردشة، على أمل أن أفشل فيتمكن من معاقبتي. بيد أنني أجيد اختلاق الردود مع مرور الأيام. إنني شخصيًّا آمل أن تسألني إستير والآخرون تارة أخرى عن بدء دورة الحياكة، لأن جاك هو الذي سيخرجني من هذا الموقف. ربما سيبدأ بكسر ذراعي أو يشوه أصابعي في الباب. حتى الآن، لم يؤذني جسديًّا قط، على الرغم من أن ثمة أوقات ظننت فيها أنه يرغب في هذا.

في وقت ما بعد الظهر، أسمع رنينًا عند البوابة، فأقفز من فوق السرير وأصغي جيدًا، وأضغط أذني على الباب. إنه الجزء الأول من الإثارة التي أحظى به منذ وقت طويل، حيث لا يأتي الناس أبدًا من غير دعوة. أنتظر سماع ما إذا كان جاك سيسمح للطارق بالدخول، أو على الأقل يستفسر عما يريد، سوى أنه حينما يظل المنزل تحت صمت مطبق، أعرف أنه يتظاهر بأننا لسنا في المنزل. لحسن حظه، من المستحيل رؤية سيارة متوقفة في الممر عبر البوابات السوداء. يرن الجرس مرة أخرى، هذه المرة بنفاد صبر، تنتقل زوبعة أفكاري على الفور إلى إستير. فلطالما فكرت فيها كثيرًا مؤخرًا، ويرجع ذلك

أساسًا إلى الطريقة التي كرَّرتُ بها رقم هاتفها المحمول في المطعم الأسبوع الفائت. كلما أفكر في الأمر أكثر، أدرك أنها فهمت أنني بحاجة إلى سماعه مرة أخرى، وأعلم أنه إذا أتى وقت أحتاج فيه إلى طلب المساعدة، فستكون إستير، بالأحرى بدلًا من ديان، التي أعرفها لفترة أطول. فقدت كل أصدقائي، حتى كيت وإميلي، اللتين اعتقدت أنهما ستقفان بجانبي دائمًا. لكن رسائل البريد الإلكتروني غير المنتظمة والقصيرة جدًّا التي أرسلتها إليهما -والتي أملاها علي جاك- حيث تحدثت عن روعة الحياة الزوجية وقلت إنني مشغولة جدًّا بحيث لا يمكنني رؤيتهما، جعلتني أتأكد من نفورهما مني بسرعة عبر رسائلهما. لم أحصل حتى على بطاقة عيد ميلاد منهما هذه السنة.

الآن بعد أن تخلص من أصدقائي، يسمح لي جاك بالرد على رسائل البريد الإلكتروني الأخرى الموجهة إليَّ تحديدًا -من والديَّ أو ديان على سبيل المثال- بدلًا من الرد عليهم بنفسه، ولكن فقط لمنحهم نكهة أكثر واقعية، على الرغم من أنني لست متأكدة من مدى إضفاء صدقي فيها، بينما يتنفس عند رقبتي وأنا أكتب.

في هذه الأوقات، يجلبني إلى مكتبه، وأرحب بهذه اللحظات التي يكون فيها جهاز الكمبيوتر والهاتف في متناول اليد، حيث تكون إمكانية تنبيه شخص ما أكبر من أي شيء آخر. يبدأ قلبي دومًا في الخفقان وتشتد سرعة نبضاته، حينما يجلِسني جاك مع الكمبيوتر والهاتف على بعد بوصات فقط، ثمة أمل دومًا أن يتشتت تركيزه لبرهة من الزمن، حتى أتمكن من انتزاع الهاتف، وأتصل باستعجال على 999 وأفرِغ قنوطي للشرطة. أو أطرح طلبًا سريعًا على لوحة المفاتيح لمن أكتب إليه وأضغط على زر الإرسال قبل أن يتمكن من إيقافي، فأظفر بالمساعدة حينئذ. يكتسحني إغراء لا يقاوم لفعل هذا، لكن جاك دائمًا يقظ؛ يقف فوقي وأنا أكتب ويتحقق من كل رسالة قبل أن يسمح لي بإرسالها. ذات مرة ظننت أن فرصتي قد حانت حينما رن شخص ما الجرس عند البوابة في أثناء كتابتي، ولكن بدلًا من الذهاب إلى جهاز الاتصال الداخلي لمعرفة من كان هناك، تجاهل جاك الأمر ببساطة، كما يفعل بالهاتف حينما يرن في أثناء جلوسي على الكمبيوتر. وبجانب الإحباط الذي

أشعر به حينما يصحبُني إلى غرفتي، وفرصة أخرى قد ماتت في محلها، ثمة أيضًا شعور بالرضا والاطمئنان، وبخاصة بعدما كتب إلى والدي. يبدو الأمر كما لو أنني أصدق الأكاذيب التي قلتها لهما، بشأن عطلة نهاية الأسبوع التي قضيناها أنا وجاك، أو زيارة حدائق جميلة، ومنازل ريفية، وأماكن لم أزرها من قبل ولن أذهب إليها أبدًا، ومع هذا استطعت وصفها بمثل هذه التفاصيل. ولكن، كما هو الحال مع كل المشاعر العالية، فإن مشاعر زوالها صعبة، وحالما تختفي النشوة، أشعر بالاكتئاب أكثر من أي وقت مضى.

لا رنة ثالثة عند البوابة، لذا أعود إلى السرير وأستلقي. أشعر بقلق شديد لدرجة أنني أقرر أن أجرب القليل من التأمل لتهدئتي. علَّمت نفسي التأمل بعد فترة وجيزة من نقلي إلى هذه الغرفة، خشية أن يتلبسني الجنون إزاء الفراغ الذي يعتريني طيلة اليوم. لقد أصبحت جيدة في التأمل، لدرجة أنني أحيانًا أتمكن من الانجراف لما يبدو نحو عدة ساعات، ولكن ربما يكون أقل من هذا بكثير. عادة ما أبدأ بتخيل نفسي مع ميلي ونحن جالستان في حديقة جميلة مع كلب صغير عند أقدامنا. لكن ليس مولي، لأقدر على فقدان نفسي، أحتاج إلى التفكير بأفكار مبهجة. ومع ذلك، لم أتمكن اليوم من الاسترخاء، لأن الصورة الوحيدة التي يمكنني تخيلها هي صورة إستير بينما تقود سيارتها مبتعدة عن المنزل. في عزلتي، أصبحت مؤمنة بالخرافات، وأعدها علامة على أنني أخطأت في كل الأمور، وأن إستير لن تكون من يساعدني.

عندما أسمع جاك يصعد الدرج، ربما بعد ساعة أو نحو ذلك بعد رنين الجرس عند البوابة، أحاول أن أخمن ما إذا كان قد جاء ليلعب معي نوعًا من الألعاب، أو إذا كان سيحضر لي غداء متأخرًا وحسب. يفتح الباب. لا توجد صينية في يده، لذا أجهز نفسي لإحدى ألعابه السادية، ولا سيما حين أرى بيده كتابًا. تقهرني رغبة شديدة في الانقضاض على ما يحمله وانتزاعه من يده، سوى أنني أبقي وجهي صامدًا، وأبذل قصارى جهدي حتى لا أنظر إليه، أتساءل عن العذاب الذي ابتكره هذه المرة. إنه يعرف كيف أتوق إلى نيل أي شيء لأقرأه، لقد نسيت عدد المرات التي ناشدته فيها للسماح لي بقراءة صحيفة، مرة واحدة فقط في الأسبوع، حيث إنها ستساعدني على مواكبة

آخر مستجدات ما يحدث في العالم، ولا أبدو مغفلة تمامًا حينما نخرج لتناول العشاء. لذلك أتوقع منه تمامًا أن يقدم لي الكتاب، فقط ليسحبه مني لحظة تلامسه مع أناملي.

يستهل قائلًا:

- لدي شيء لك.

أسأل دون حماسة بقدر ما أستطيع:

- ما هو؟

- كتاب (يتوقف لبرهة)، هل تريدينه؟

سؤال يأتي من جاك، أكثر سؤال أكرهه في هذا العالم. فلو أجبت بـ «نعم» أو «لا» فسأكون ملعونة في الحالتين.

أهتف:

- يعتمد...

أكره أنني أطيل أمَد معاناتي من خلال محاولة إبقائه هنا لأطول فترة ممكنة لأنه على الأقل شخص يمكنني التحدث إليه.

- على ماذا؟

- على العنوان، فإذا كان اسمه "حياتي مع مختل عقليًا"، فإنني لست مهتمة.

يبتسم قائلًا:

- في الواقع، إنه الكتاب الذي أوصت به إستير.

- وقررتَ شراءه لي؟

- لا، لقد جاءت به إلى هنا (يتوقف تارة أخرى، ثم يردف) في ظل الظروف العادية، كنت سأرميه في القمامة، لكنها جلبته مع دعوة ساحرة للغاية لمأدبة عشاء يوم السبت المقبل، مع نص صغير تقول فيه إنها لا تقوى على الانتظار لسماع رأيك في الكتاب، لذا أؤكد عليك بأن تنتمي قراءته حتى حلول وقت المأدبة.

أجيبه:

- لست متأكدة من أنه سيكون لدي وقت كافٍ، لكنني سأبذل ما بوسعي.

يهتف محذرًا:

- لا تتذاكَي علي، لقد أضحيتِ ماهرة جدًّا في تجنب العقوبة لدرجة أنني وصلت لمرحلة إيجاد أدنى عذر.

يغادر الغرفة، فلم يعد قادرًا على الانتظار لفترة أطول. أفتح دفتي الكتاب، أشرع بقراءة الصفحة الأولى لأستنبط فكرة عما يدور حوله الكتاب. أعرف مباشرة أنني سأقع في حبه، وأكره فكرة أن قراءته لن تستغرق أكثر من يوم أو نحو هذا.

أتساءل في نفسي عما إذا يجدر بي الانتظار بعض الوقت قبل أن أبدأ قراءته على نهج سليم، وأن أقصِّر على نفسي قراءة فصل واحد يوميًّا، إلا أنه ثمة احتمال أن جاك سيستعيده قبل أن تسنح لي الفرصة لإنهائه. استلقيت على سريري، جاهزة لقضاء أفضل الساعات القليلة التي لم أمضها لفترة طويلة. أجلس أقرأ لمدة ساعة تقريبًا حينما ألاحظ أن إحدى الكلمات التي قرأتها للتو، وهي كلمة «بخير»، تبرز أكثر من الكلمات الأخرى، وحينما أنظر من كثب، أرى أنها مظللة قليلًا بقلم رصاص. ثمة خطب ما حولها أنعش ذاكرتي، وأرجع لبضع صفحات إلى الخلف، أجد كلمة «شيء» مميزة بنفس الطريقة، سوى أنني لست مقتنعة بأنني كنت سألحظها لو لم أكن أبحث عنها. أقلب بضع صفحات أخرى إلى الوراء وأجد كلمة «كل»، والتي لفتت انتباهي آنفًا، على الرغم من أنني خمنت أن خلفيتها الداكنة مشكلة في الطباعة. مفتونة مما أرى، أستمر بقلب الصفحات إلى الوراء، ثم وجدت كلمة «هل» قريبة من بداية الكتاب. أجمعها معًا؛ «هل كل شيء بخير». يبدأ قلبي ينبض بشكل أسرع حينما أفكر أنه من المحتمل أن إستير قد أرسلت لي رسالة. إذا كانت هي، يجب أن يكون هناك المزيد. مع شعور متزايد بالإثارة، أقلب صفحات الكتاب على عجل، بحثًا عن التظليل وأجد "هل" "أنت" "تحتاجين"، وفي الوجه الثاني من الصفحة الأخيرة للكتاب، أعثر على كلمة، «مساعدة». يبتهج

قلبي، فثمة أحد أحس أنني في مأزق، ويريد المساعدة، بهجة لم تدم طويلًا، لأنه كيف يمكنني الرد على إستير حينما لا أستطيع الحصول على أي شيء عادي مثل قلم رصاص؟ حتى لو كان لدي واحد، سأكون في حيرة فيما ينبغي الرد عليها. مجرد «نعم» لن تكون كافية أو «نعم، استدعي الشرطة» ستكون بلا جدوى، لأنه، كما أعرف جيدًا، جاك ضمهم في صفه، مثل العاملين في الفندق في تايلاند، فإنهم يعرفونني على أنني أعاني ذهان الهوس والاكتئاب، إزاء اتهامي لزوجي المحامي المخلص والرائع بإبقائي سجينة. حتى لو وصلوا إلى المنزل دون سابق إنذار، فلن يجد جاك صعوبة في شرح أنني في هذه الغرفة أو أي غرفة أخرى في المنزل بسبب مرضي. على أي حال، لن يسمح لي أبدًا بإعادة الكتاب إلى إستير دون التحقق منه أولًا، تمامًا كما يفتش حقيبتي دومًا قبل أن نخرج، ليتأكد من أنها فارغة.

يخطر لي فجأة أنه لن يتيح لي قراءة الكتاب إذا لم يكن قد تصفحه جيدًا قبلي، مما يعني أنه من شبه المؤكد أنه رأى التظليل. إنها فكرة مروعة، لأسباب ليس أقلها أن إستير قد تكون معرضة للخطر. مما يعني أيضًا أنني سأضطر إلى توخي الحذر فيما سأقوله لها عندما نلتقي في المرة القادمة، مع العلم أنه لا يمكنني إرسال رسالة مثيلة لها. سيستمع جاك إلى كل كلمة أقولها. ربما كان يتوقع مني أن أقول شيئًا على غرار «أظن أن الرسالة التي يحاول المؤلف إيصالها وثيقة الصلة بموضوعنا». لكنه سيصاب بخيبة أمل. ربما كنت بهذا الغباء من قبل، لكن ليس بعد الآن. قد يكون من الصعب الرد برسالة إلى إستير، غير أنني أرفض الشعور بالإحباط. وممتنة جدًّا لأنها فهمت بسرعة ما لم يفهمه أي شخص آخر؛ لا والديَّ أو ديان أو جانيس أو حتى الشرطة- لدرجة أن جاك يتحكم في كل ما أفعله. أعبس، أفكر.. إذ إنها اشتبهت بأنه يتحكم بي، فمن المؤكد أنها خمنت بأنه يتحكم أيضًا فيمن أتواصل معهم؟ إذا أدركت أن جاك ليس شخصًا يجب العبث معه، فلماذا تخاطر بالاكتشاف حينما لا يكون لديها ما يدعم شكوكها؟ أعود إلى القراءة، على أمل أن أجد شيئًا يخبرني كيف يمكنني التواصل مع إستير دون أن يكتشف جاك هذا، إذ كيف يمكنني أن أخذلها بعدما تواصلت معي تواصلًا مذهلًا؟

في وقت ما في المساء، عندما ما زلت أحاول إيجاد طريقة لتوصيل رسالة إليها، أسمع جاك وهو يصعد الدرج، أغلقُ الكتاب بسرعة وأضعه بعيدًا عني على السرير.

قال بينما يومئ برأسه صوب الكتاب:

- انتهيت بهذه السرعة؟

- في الواقع أجد صعوبة في الانغماس به (أكذب عليه)، ليس من نوع الكتب التي أقرؤها عادةً.

- كم قرأتِ منه؟

- ليس كثيرًا.

- حسنًا، تأكدي من الانتهاء منه قبل أن نراها في الأسبوع المقبل.

يغادر، وأجد نفسي أعبس تارة أخرى. إنها المرة الثانية التي يُصر فيها على قراءته قبل أن نذهب إلى مأدبة إستير للعشاء، والذي أوحى إليَّ أنه يعرف عن التظليل ويأمل أن أحفر لنفسي قبرًا. بعد كل شيء، كان محقًّا فيما اعترف به سابقًا، حينما قال إنني كنت ذكية جدًّا من أجل مصلحتي الشخصية، وأنه يفتقد معاقبتي، لذلك يمكنني أن أتخيل مدى سعادته لرؤية رسالة إستير، وكيف ضحك على محاولتها مساعدتي. ولكن بعد ذلك، كلما أفكر في الأمر أكثر، أشعر أنه فاتني شيء ما.

فقط حينما أتذكر فترة الوقت التي مرت بين رن جرس الباب وجلب جاك الكتاب إليَّ، يبزغ وضوح الأمر، أن التظليل في الكتاب ليس من عمل إستير، بل عمل جاك.

# الماضي

من المحتمل أنه قد مرَّ على موت مولي أيام قليلة لا أكثر، لأن جسدها لم يبدأ في التحلل بعد. كان جاك ذكيًّا جدًّا في هذا الصدد؛ لقد ترك لها بعض الماء، لكن ليس بما يكفي لتستمر لمدة أسبوعين حتى وصولنا إلى المنزل. كانت صدمة العثور عليها ميتة فظيعة. نظرة الترقب الحاقدة على وجه جاك حينما فتح باب غرفة الخدمات، هيأتني لخطب ما؛ أنه تركها مقيدة طوال الأسبوعين الماضيين حينما كنا مسافرين، أو أنها لن تكون هنا، لكن ليس هذا ما حدث، تركها لتموت. في البداية، عندما نظرت إلى جسدها الصغير ملقى على الأرض، اعتقدت أن الأدوية التي أعطاني إياها كانت تلعب بذهني، لأنني كنت لا أزال أشعر بالدوار. بيد أنني حينما انحنيت بجانبها ووجدت جسدها باردًا وصلبًا، فكرت في سكرات الموت الرهيبة التي كابدتها. حينئذ لم أتعهد بقتل جاك فحسب، بل أن أجعله يعاني كما تسبب في معاناة مولي. لقد تظاهر بالدهشة من محنتي، وذكرني أنه أخبرني في تايلاند بأنه لا توجد مدبرة منزل، وكنت ممتنة لأنني لم أهتم بما قاله آنذاك. لو كنت قد فهمت ما كان يلمح إليه، لا أعرف كيف كنت سأعيش خلال تَينك الأسبوعين. قال:

- سعيد جدًّا برؤية حبك لها.

بينما جثوت بجوار مولي وانتحبت.

- كنت آمل أن تستوعبي وتدركي مدى صعوبة الأمر إذا كانت ميلي ترقد هنا بدلًا من مولي. وإذا ماتت ميلي، فعليك أن تحلي محلها. حينما تفكرين في الأمر، لن يفتقدك أحد حقًّا، وإذا سأل أي شخص عن مكانك، فسأقول إنه بعد وفاة أختك الحبيبة، قررتِ الانضمام إلى والديك في نيوزيلندا.

- لماذا لا يمكنني أخذ مكان ميلي على أي حال؟ (وجلست أجهش بالبكاء) لماذا تحتاج إليها؟

- لأنه سيكون من السهل إرعابها، أكثر منك، كما إذا كنتُ أملك ميلي، فسوف يكون لدي كل ما أحتاج إليه هنا ولن أضطر للذهاب إلى تايلاند بعد الآن.

- لا أفهمك (مسحت الدموع عن خدي بظهر يدي). ألا تذهب إلى تايلاند لممارسة الجنس مع الرجال؟

- ممارسة الجنس مع الرجال؟! (بدا مستمتعًا بالفكرة) يمكنني فعل هذا هنا إن وددت فعلها. بيد أنني لا أميل إلى هذا. كما ترين، فأنا لست مهتمًّا بالجنس. وسبب ذهابي إلى تايلاند هو أنني أستطيع أن أشبع شغفي الأكبر، ليس أن ألوث نفسي، أتفهمين؟! لا، دوري هو أكثر من دور المراقب والمستمع.

حدقت إليه بتعجب غير مستوعبة ما يقوله، أدار رأسه صوبي. وهمس:

- الخوف. لا يوجد شيء تمامًا مثله. أحب رؤية شكله، وكيف يُشعَر به، أحب رائحته، وأحب صوته بشكل خاص (شعرت بلسانه على خدي) حتى أحب طعمه.

هسهست:

- إنك تقرفني. لا بد أنكَ أحد أكثر الناس شرًّا على وجه الأرض. وسأنال منك يا جاك، أعدك. في النهاية سأنال منك.

- ليس إن قضيتُ على ميلي أولًا، وهو ما أعتزم القيام به.

فقلت بينما خبا صوتي:

- لذا ستقتلها.

- أقتلها؟ ما نفعها إن كانت ميتة؟ لن أقتل ميلي يا غريس، سأخيفها قليلًا. الآن هل تريدين دفن ذلك الكلب أم ألقي به في سلة المهملات؟

لم يحرك إصبعًا للمساعدة، لكنه وقف وشاهدني وأنا أدخِل جثة مولي في كيس القمامة السوداء وأنتحب، حملتها وصعدت الدرج، ثم عبرت من عند المطبخ وخرجت إلى الشرفة التي أخبرته بأنني أريدها. نظرت حولي في الحديقة الواسعة، ارتجفت من البرد والصدمة، أتساءل أين يمكنني وضعها. تبعني إلى الخارج، أشار إلى سياج في نهاية الحديقة وقال لي أن أدفنها خلفه. حينما كنت أقوم بالبحث، رأيت مجرفة تقف جاهزة على الأرض. موقنة أنه قد خطط لكل شيء قبل ترك مولي لتموت، حيث أعد مجرفة لي لأدفنها بها، جعلتني أنتحب وأنشج من جديد. لقد هطلت الأمطار في أثناء وجودنا في تايلاند، لذا كانت الأرض ناعمة، لكن حفر قبرها لم يكن محتملًا إلا بتخيل أنه قبره هو الذي أحفره الآن. حينما انتهيت، أخرجت جثة مولي من كيس القمامة وأمسكت بها للحظة، أفكر في ميلي، متسائلة كيف سأتمكن من إخبارها بأن مولي قد ماتت.

قال ببطء شديد:

- إنها لن تعود إلى الحياة، بغض النظر عن المدة التي تمسكينها بها. فقط واصلي ما بدأتِ به.

خشيت أن ينتزعها مني ويقذفها بقسوة في الحفرة التي حفرتها، فوضعتها برفق فيها، وجرفت الأرض من جديد. أصابني الرعب الكامل لما حدث للتو، ورميت بالمجرفة لأسفل، اندفعت خلف شجرة وشعرت بغثيان قوي.

قال:

- عليكِ أن تتعلمي كيف تكون لديك قدرة تحمل أكبر.

بينما كنت أمسح فمي بظهر يدي، أرسلت كلماته موجات ذعر داخلي. ركضت عائدة إلى حيث أسقطت المجرفة، انتزعتها واندفعت نحوه ورفعتها عاليًا فوق رأسي، مستعدة لإنزالها عليه وضربه ضربًا مبرحًا حتى الموت. لكنني لم أكن ندًّا له. رفع ذراعه، وأمسك بالمجرفة وصارعني حتى أخذها مني، مما تسبب في تعثري. عدلت نفسي، وركضت أصرخ بأعلى صوتي طلبًا

للنجدة. حينما رأيت أن نوافذ أقرب منزل كانت مرئية فقط من خلال الأشجار، ركضت نحوها، على أمل أن يسمع أحدهم صراخي، وبينما كنت أجري، بحثت عن مخرج من الحديقة. أدركت أن الجدران التي تحدها كانت مرتفعة جدًّا بحيث لا يمكنني تسلقها، استنشقت الهواء، وأنا على وشك الصراخ مجددًا بكل ما أملك من قوة، مع علمي أنها قد تكون فرصتي الوحيدة، هوت ضربة على ظهري، جعلت الهواء الذي استنشقته يخرج مني، وحينما سقطت للأمام، دارت يد جاك حول فمي، وأسكتتني تمامًا. ضربني في وضع مستقيم، استخدم يده الأخرى لثني ذراعي خلف ظهري، مما جعلني عاجزة عن التحرك.

- عدِّي نفسك لست في عجلة لرؤية ميلي ثانية.

تنفس، بينما سحبني مجددًا نحو المنزل.

- بسبب محاولاتك للهروب في تايلاند، فقد فقدتِ حقك في رؤيتها خلال عطلة نهاية الأسبوع القادمة؛ الآن لن ترَيها لعطلة نهاية الأسبوع الثالثة على التوالي. وإذا حاولتِ أي شيء تارة أخرى، فلن ترَيها لمدة شهر كامل.

ناضلت محاولة الفكاك منه، لويت رأسي بعيدًا عنه في محاولة محمومة لتحرير فمي من يده، لكنه ببساطة شد قبضته علي.

- ميلي المسكينة.

تنهد بحزن ساخر، بينما كان يدفعني على طول الشرفة إلى المطبخ.

- ستعتقد أنك تخليت عنها، فالآن أنت متزوجة، وليس لديك وقت لها.

دفعني بعيدًا عنه.

- اسمعيني يا غريس. شريطة ألا تفعلي شيئًا غبيًّا، فأنا مستعد لمعاملتك جيدًا، على كلٍّ، ليس من مصلحتي القيام بخلاف هذا. ومع ذلك، لن أتردد في سحب أي من الامتيازات التي اخترتها ومنحتك إياها إذا لم ترضِني. أتفهمين؟

تهاويت على الحائط، مرتجفة من التعب، أو من آثار ما بعد الحبوب، أو من الصدمة، لم أتمكن إلا من الإيماء بصمت.

- حسنًا. الآن، قبل أن أريك بقية أرجاء المنزل، متأكد من أنك ترغبين في الاستحمام.

بدأت تُذرَف دموع الامتنان المثيرة للشفقة من عيني.

قال بعبوس ملاحِظًا:

- إنني لست وحشًا، على الأقل ليس بهذا المعنى. تعالي، سأريك مكان استحمامك وحالما تشعرين بالانتعاش، سنقوم بجولة بين جنبات المنزل.

تبعته إلى الردهة وصعدت الدرج، وبالكاد لاحظت محيطي. فتح بابًا، وأطلعني على غرفة نوم مشرقة ومهوَّاة، مزينة باللون الأخضر الفاتح والكريمي. على السرير المزدوج، تعرفت على بعض الأغطية والوسائد التي اخترتها في اليوم الذي ذهبنا فيه للتسوق معًا لشراء أثاث للمنزل الذي وعدني بإيجاده. في العالم المعادي الذي وجدت نفسي فيه، بدت وكأنها من أصدقاء مألوفين قديمًا، فارتفعت معنوياتي قليلًا. سأل

- أأعجبتك؟

أجبته على مضض:

- أجل.

- جيد (وبدا سعيدًا).

- الحمام هناك وستجدين ملابسك في الخزانة (نظر إلى ساعته، ثم أردف) سأمنحك خمس عشرة دقيقة.

أوصد الباب من خلفه. بفضول مشيت صوب خزانة الملابس الضخمة التي تمتد بطول الجدار الأيسر. فتحت أبوابها، فوجدت أمامي الملابس التي أرسلتها إلى المنزل قبلي، تلك التي لم أكن بحاجة إلى أخذها إلى تايلاند، معلقة أمام ناظري. كانت الفانيلات والسترات مطوية بدقة على الرفوف، ووضِعت ملابسي الداخلية في أدراج مصنوعة خصيصى لها. في جزء آخر من خزانة الملابس، تم وضع العديد من أزواج الأحذية في صناديق بلاستيكية شفافة. بدا كل شيء طبيعيًا لدرجة أنني شعرت مرة أخرى بشعور الانفصال. كان

من المستحيل مساواة الغرفة الجميلة التي أعدها جاك لي والوعد بالاستحمام بما مضى من قبل، ولم أستطع التخلص من الشعور بأنني إذا استلقيت على السرير لأنام فترة من الوقت، سأستيقظ لأجد أن هذا كله محض كابوس رهيب.

مشيت صوب النافذة ونظرت للخارج. كانت تطل على جانب المنزل، حيثما تزهر حديقة من الورود. تمامًا كما كنت أقدِّر جمال الزهور وسكون فترة ما بعد الظهيرة، كيس أسود لسلة النفايات عالق في هبوب رياح مفاجئة، تجول خلف المنزل ونشب في إحدى شجيرات الورد. أدركت أنه نفس الكيس الذي حملت فيه مولي إلى الحديقة، شهقت، واستدرت من النافذة وهرعت إلى الباب، مدركة أنني قد أهدرت دقائق ثمينة حينما كان يجدر بي اللوذ بالفرار. فتحت الباب، وكنت على وشك الخروج صوب الردهة، حينما ظهرت بغتة ذراع جاك، وسدت طريقي. سأل بسرور:

- إلى أين أنت ذاهبة؟

حدقت إليه، وقلبي خفق بألم في صدري.

- لم تفكري بالهرب مجددًا، أليس كذلك؟

فكرت في ميلي، وحول مدى استيائها من عدم زيارتها خلال الأسابيع الثلاثة المقبلة، واستوعبت أنني لا أستطيع المخاطرة بعقوبة أخرى.

تمتمت قائلة:

- مناشف، كنت أتساءل أين هي المناشف.

- إذا نظرتِ في الحمام، كنت ستعثرين عليها. أسرعي، لم يتبقَ لك سوى عشر دقائق.

حينما أغلق الباب في وجهي، وحبسني مجددًا، ذهبت إلى الحمام، الذي يتضمن مروشًا وبانيو منفصلًا، بالإضافة إلى حوض ومرحاض. ثمة كومة كبيرة من المناشف الناعمة فوق خزانة منخفضة، عند فتحها رأيت أنها مكدسة بسخاء بعلب غسول الشعر، والبلسم، ووسائل الاستحمام.

وفجأة شعرت بحاجة ماسة إلى غسل الأوساخ التي بدت وكأنها تتخلل كل مسام جسدي. تجردت من ملابسي، وفتحت صنبور المروش، وقبضت معي

كل ما احتاج إليه، وقفت تحت الماء، ثم عدلت درجة الحرارة إلى أعلى درجة حرارة يمكن تحملها، وغسلت شعري وفركت جسدي، وتساءلت عما إذا كنت سأشعر بالنظافة من جديد. كنت سأبقى تحت الماء لفترة أطول، لكنني لم أكن أثق في أن جاك لن يأتي ويسحبني من الحمام فور انتهاء الدقائق العشرة، لذا قفلت الصنبور وجففت نفسي سريعًا. في الخزانة أسفل المغسلة، وجدت مجموعة من فرش الأسنان وبعضًا من معجون الأسنان، انتهزت الدقيقتين الثمينتين لتنظيف أسناني حتى نزفت لثتي. هرعت إلى غرفة النوم، وفتحت خزانة الملابس، وانتزعت ثوبًا من أحد العلَّاقات، وأخذت حمالة صدر، وواحدًا من الملابس الداخلية من الدرج، وارتديت ملابسي على عجل. فُتِحَ باب غرفة النوم بينما كنت أقفل سَحاب ثوبي.

قال لي:

- جيد، لم أكن أرغب في المجيء إليك خصوصًا لسحبك من الحمام، لكنني كنت سأفعل ذلك. (أومأ نحو خزانة الملابس) ارتدي شيئًا في قدميك.

بعد تردد طفيف، اخترت زوجين من الأحذية بكعب صغير بدلًا من النعال التي تؤلم قدمي، على أمل أن تشعرني بسيطرة أكبر.

- الآن لنأخذ جولة حول المنزل. أتمنى أن ينال إعجابك.

تبعته على الدرج، متسائلة لماذا عليه أن يهتم بما إذا كنت قد أحببته أم لا. على الرغم من أنني كنت مصممة أنني لن أرضخ بالانبهار به، نبهتني عقلانيتي أن منحه ردة فعل إيجابية من الواضح أنه يتوق إليها، قد تكون في مصلحتي.

قال موضحًا:

- لقد استغرقتُ عامين لأحصل على منزل تمامًا كما أردته (حينما وصلنا إلى الردهة)، وبخاصة أنه كان عليَّ إجراء تغييرات في اللحظة الأخيرة لم أضعها في الحسبان، (تابع حديثه) على سبيل المثال، لا يفضي المطبخ في الأصل إلى الشرفة، ولكنني بنيته من جديد، لأنني اعتقدت

أنها فكرة ممتازة. ولحسن الحظ، تمكنت من توجيه بقية رغباتك نحو ما كان موجودًا بالفعل.

أكد ما قمت به بالفعل، أنه في اليوم الذي طلب مني فيه وصف نوع المنزل الذي أرغب فيه. بذكاء ناورني في وصف منزلٍ اشتراه فعلًا.

- إذا كنتِ تتذكرين، فقد قلتِ إنك تودين حمامًا في الطابق الأرضي ليستخدمه الضيوف، لكن حينما اقترحت دورة مياه كاملة، وافقت بسهولة.

فتح بابًا على اليمين، كشف عن دورة مياه، بها خزانة معاطف، داخلها مرآة كبيرة، وحمام منفصل.

قلت مشيرة إلى الطريقة التي تلاعب بي بها:

- ذكي جدًّا.

وافقني:

- نعم، كان الأمر كذلك.

انتقل إلى نهاية الردهة، وفتح الباب المجاور على نفس الصف.

- غرفة مكتبي والمكتبة.

ألقيت نظرة سريعة على غرفة مغطاة من الأرض إلى السقف بأرفف مكتنزة بالكتب، وفي الكوة الموجودة على اليمين، مكتب من خشب الماهوجني.

- إنها ليست غرفة يجب أن تأتي إليها كثيرًا.

حينما عبرنا الجانب الآخر من الردهة، فتح الأبواب المزدوجة الضخمة التي لاحظتها سابقًا.

- غرفة الجلوس وغرفة الطعام.

فتح الأبواب، ودعاني للدخول، دخلت واحدة من أجمل الغرف التي رأيتها في حياتي. لكنني بالكاد لاحظت المجموعات الأربع من النوافذ الفرنسية التي تطل على حديقة الورود بجانب المنزل، أو الأسقف العالية، أو الممر الأنيق

الذي يؤدي إلى غرفة الطعام، لأن عيني انجذبت على الفور إلى الموقد حيث *اليراعات*، اللوحة التي رسمتها لجاك، كانت معلقة. قال:

- تبدو رائعة تمامًا هناك، ألا تعتقدين ذلك؟

تذكرت الحب والجهد الذي بذلته فيها، وحقيقة أنها تتألف من مئات القبلات، شعرت بالغثيان. استدرت عائدة أدراجي إلى الردهة.

- آمل ألا يعني هذا أن الغرفة لم ترق لك.

قطَّب حاجبيه وتبعني للخارج. زمجرت قائلة:

- لمَ ينبغي لك أن تهتم بما إذا كانت تروق لي أم لا؟

قال بصبر:

- شخصيًّا لا أُكِن لكِ أي ضغينة يا غريس (بينما كان يتابع مشيه في الردهة). كما شرحت في تايلاند؛ أنت الوسيلة لتحقيق الغاية التي لطالما حلمت بنيلها، لذلك من الطبيعي أن أشعر ببعض الامتنان تجاهك. وإزاء ذلك أود أن تكون تجربتك هنا ممتعة قدر الإمكان، على الأقل حتى وصول ميلي. وبمجرد أن تأتي، أخشى أن يكون الأمر مزعجًا للغاية بالنسبة إليك. وبالنسبة إليها بالطبع. الآن، لم تُتَح لك الفرصة لرؤية المطبخ جيدًا أمس، أليس كذلك؟

فتح باب المطبخ، ورأيت طاولة الإفطار الطويلة التي قررنا وضعها، مكمَّلة بأربعة مقاعد عالية لامعة.

- أوه، ميلي ستحبها!

هتفت، وتخيلتها تدور حولها.

في الصمت الذي تلا ذلك، لحق بي كل ما حدث وبدأت الغرفة تدور بسرعة كبيرة لدرجة أنني شعرت بنفسي أسقط. وشعرت بذراعَي جاك التي مدها ليمسكني، فقد قمت بمحاولة ضعيفة لتصديه قبل أن أفقد الوعي. حينما فتحت عيني بعد ذلك، شعرت براحة رائعة، وكان أول ما فكرت فيه هو أنني في عطلة في مكان ما. نظرت حولي، ولا زال النعاس يحيطني، رأيت جميع الأدوات اللازمة لصنع الشاي والقهوة على منضدة بالقرب من السرير،

فحسبت أنني كنت في فندق، بيد أنني لم أكن أعرف على وجه الدقة، حينما سقطت عيني على الجدران الخضراء الباهتة، التي كانت مألوفة وغير مألوفة في الآن ذاته، تذكرت بغتة مكان وجودي. قفزت من السرير، وركضت صوب الباب أحاول فتحه. حالما اكتشفت أنني محبوسة، بدأت أطرق عليه، وصرخت في جاك ليسمح لي بالخروج.

أدار المفتاح في القفل وفتح الباب. قال منزعجًا انزعاجًا واضحًا:

- حبًّا بالله يا غريس، كان عليك الاتصال بي وحسب.

- كيف تجرؤ على حبسي؟!

صرخت، وصوتي يرتجف من الغضب.

- لقد حبستك لأجل مصلحتك. وإذا لم أفعل هذا، فربما تكونين حمقاء بما يكفي لمحاولة الهروب مجددًا، وحينها يتحتم علي حرمانك من زيارة أخرى إلى ميلي (أدار نفسه وحمل الصينية). الآن، إذا عدتِ قليلًا إلى الوراء، سأعطيك شيئًا لتأكليه.

كانت فكرة الطعام مغرية؛ لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة تناولت فيها الطعام ولكن لا بد أنه كان قبل مغادرة تايلاند. لكن الباب المشرَع كان أكثر إغراءً. تحركت جانبًا، ولكن ليس كما طلب، انتظرت حتى وصل إلى الغرفة مباشرة، ثم اندفعت نحوه، وسقطت الصينية من يديه. وسط صوت تحطيم الأواني الفخارية وزئير غضبه، ركضت نحو الدرج ونزلت درجتين في كل مرة، كانت الردهة تقبع في ظلام دامس. عند وصولي إلى نهاية الدرج، بحثت عن مفتاح الإضاءة، ولم أجد شيئًا، تحسست بمحاذاة الحائط حتى وصلت إلى باب المطبخ. فتحته، ووجدت أنه كان أيضًا مظلمًا. تذكرت المجموعات الأربع من النوافذ الفرنسية التي رأيتها في غرفة الجلوس في اليوم السابق، عبرت الردهة وتحسست على طول الجدار حتى وجدت الأبواب المزدوجة. ظلام حالك داخل الغرفة، دون حتى بصيص من الضوء يأتي من النوافذ، وكذلك الصمت، لأن المنزل كان هادئًا بشكل مخيف، أصبح مرعبًا فجأة. إن معرفتي بأن جاك يمكن أن يكون في أي مكان هنا، وأنه كان بإمكانه التسلل إلى

نهاية الدرج خلفي والوقوف بجانبي على مسافة قدم، جعلت قلبي يخفق من الخوف. حينما دخلت الغرفة، انزلقت على الأرض خلف أحد الأبواب، وجذبت ركبتي حول صدري وكومت نفسي، متوقعة أن تنبسط يداه من الأسفل ويمسكني في أيِ لحظة. كان القلق فظيعًا وفكرة أنه قد يقرر عدم العثور علي حتى يحين الوقت المناسب له، جعلتني أشعر بالأسف لأنني تركت الأمان النسبي في غرفة النوم.

- أين أنتِ يا غريس؟

صدح صوته قادمًا من مكان ما في الردهة ونغمة الغناء الناعمة زادت من رعبي. في الصمت سمعته يشم الهواء. قال مستنشقًا:

- حسنًا، أحب رائحة الخوف.

وقع قدميه يخبط على أرض الردهة، وحينما اقتربتا، انكمشت تارة أخرى على الحائط. توقفتا، وبينما كنت أجهد أذنيَّ محاولة معرفة مكانه، شعرت بأنفاسه على خدي. همس:

- بوو!

عندها انفجرت في البكاء لأن محنتي قد انتهت، قهقه ضاحكًا.

بشَّر صوت طنين الستائر بدخول ضوء النهار إلى الغرفة. رفعت رأسي حيثما رأيت جاك يحمل جهاز تحكم عن بعد في يده. وأوضح:

- نوافذ حديدية (شرح قائلًا) تم تجهيز كل نافذة في الطابق الأرضي بها. حتى لو حدث أن وجدت طريقة للخروج من غرفتك في أثناء وجودي في العمل، بمعجزة ما، فلن تجدي بالتأكيد طريقة للخروج من المنزل.

توسلت:

- دعني أذهب يا جاك، أرجوك، فقط دعني أذهب.

- ولماذا أدعكِ؟ في الواقع، أعتقد أنني سأستمتع بوجودك هنا، وبخاصة إذا واصلت محاولة الهروب. على الأقل سوف تجعلينني مستمتعًا حتى تأتي ميلي لتعيش معنا (توقف لبرهة)، كما تعلمين، بدأت أشعر

بالندم على عدم ترتيب انتقالها إلى هنا فور عودتنا من شهر العسل. فقط فكري؛ إنها من الممكن أن تصل في أي لحظة.

سحبت أنفاسي بحدة، ثم صرخت:

- هل تعتقد حقًّا أنني سأدع ميلي تقترب من أي مكان بالقرب من هذا المنزل؟ أو أي مكان بالقرب منك؟

قال بتململ:

- يبدو أنني أتذكر إجراء هذه المحادثة معك في تايلاند. كلما تقبلتِ أن عجلة الأمور تحت يدي، وأنه لا يوجد ما يمكنكِ فعله لإيقافها، كان ذلك أفضل بالنسبة إليكِ. لا مفر؛ أنتِ ملكي الآن.

- لا أصدق أنك تعتقد أنك ستفلت من العقاب! لا يمكنك إبقائي مختبئة إلى الأبد، كما تعلم. ماذا عن أصدقائي وأصدقائنا؟ أليس من المفترض أن نتناول العشاء مع مويرا وجايلز وقتما نعيد السيارة إليهما؟

- سأقول لهما ما أنوي تمامًا إخباره لمدرسة ميلي. بالمناسبة، سوف تمر أربعة أسابيع حتى تريَها، والسبب أنك التقطت جرثومة في تايلاند وأنك متوعكة بسببها. وحينما أسمح لك في النهاية برؤية ميلي مجددًا، سأراقب كل تحركاتك وأستمع إلى كل كلمة. إذا حاولتِ إبلاغ أي شخص بما يجري، فستدفعين أنت وميلي الثمن. بالنسبة إلى أصدقائك، حسنًا، لن يكون لديك وقت لهم الآن بعد أن أصبحتِ متزوجة بالسعادة الكبيرة، وحينما تتوقفين عن الرد على رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بهم، سوف ينسون كل شيء عنك. سيكون الأمر تدريجيًّا بالطبع. سأدعك تزاولين الاتصال لفترة من الوقت، لكنني سأتفحص رسائلك الإلكترونية قبل إرسالها، في حال حاولت تنبيه أي شخص بوضعك الراهن. بيد أنه لا يمكنني التخيل بأنك ستكونين بهذا الغباء.

حتى تلك المرحلة، لم أشك قط في أنني سأتمكن من الهروب منه، أو على الأقل أخبر شخصًا ما أنني محبوسة، سوى أنه ثمة شيء حول طريقته

الواقعية التي تحدث بها، والتي تقشعر لها الأبدان، بأن يقينه المطلق من أن كل شيء سينتهي تمامًا كما خطط له جعلني، ولأول مرة، أشك في قدرتي على التفوق عليه. حينما رافقني مرة ثانية إلى غرفة نومي، أخبرني بأنني لن أحصل على طعام حتى اليوم التالي، كل ما كنت أفكر فيه هو ما فعله بمولي وماذا سيفعل بي إن حاولت الفرار منه مجددًا. لم أستطع تحمل المخاطرة بعدم رؤية ميلي لمدة أسبوع آخر، وفكرة خيبة أملها لعدم زياراتي لها في أيام الآحاد المقبلة، جعلتني أشعر ببؤس أكثر مما شعرت به بالفعل. كانت آلام الجوع التي أعانيها هي التي أعطتني فكرة التظاهر بأنني مصابة بالتهاب الزائدة الدودية، حتى لا يكون لدى جاك أي خيار سوى نقلي إلى المستشفى، حيث شعرت أنني سأتمكن من جعل شخص ما يستمع إلي. وحينما أحضر لي الطعام في النهاية في اليوم التالي، كما وعد، كان الوقت متأخرًا بالفعل، لذلك لم يكن لدي أي شيء لأتناوله لأكثر من ثمانٍ وأربعين ساعة. من الصعب ألا آكل الكثير مما أحضره لي، وبينما كنت أمسك بمعدتي وأتلوى من الألم، كنت ممتنة للتشنجات التي جعلت ألمي أكثر واقعية. لسوء الحظ، ظل جاك غير متأثر، لكنه حينما وجد حالتي تضاعفت سوءًا في صباح اليوم التالي، وافق على إحضار الإسبرين الذي طلبته، على الرغم من أنه جعلني أبتلعه أمامه. بحلول المساء، تفاقم الألم، وصرت أتلوى على السرير أكثر، وفي أثناء الليل جلست أطرق على الباب حتى جاء ليرى سبب كل هذه الضوضاء.

أخبرته بأنني في حالة ألم شديد، طلبت منه الاتصال بسيارة إسعاف. رفض قائلًا إنني إذا كنت لا أزال أشعر بالألم في اليوم التالي فسوف يتصل بطبيب. لم تكن النتيجة التي وددتها لكنها كانت أفضل من لا شيء، خططت بعناية لما سأقوله للطبيب حينما يأتي، وأنا أعلم -بعد تجربتي في تايلاند- أنني لا أستطيع أن أبدو في حالة هستيرية. لم أكن أتوقع أن يبقى جاك معي بينما يفحصني الطبيب، وبينما كنت أتألم في كل مرة يفحص فيها معدتي، كان ذهني يتسابق بجنون، مدركة أنه إذا لم أغتنم هذه اللحظة، فكل شيء سيكون محض تمثيل لمسرحيتي وحرمانًا نفسيًّا من الطعام من أجل لا شيء. وعندما سألت الطبيب عما إذا كان بإمكاني التحدث إليه بمفرده، ولمَّحت إلى

أن الألم الذي كنت أعانيه قد يكون بسبب مشكلة في أمراض النساء، شعرت بالانتصار حالما سأل جاك عما إذا كان يمانع في الخروج من الغرفة. بعد ذلك، تساءلت لماذا لم يخطر ببالي أن استعداد جاك لمغادرة الغرفة يعني أنه لم يكن قلقًا بشأن جلستي مع الطبيب. كما أن ابتسامة الطبيب المتعاطفة، حينما أخبرته على وجه السرعة أنني مسجونة هنا، جعلتني أشعر بالريبة. فقط عندما بدأ في استجوابي حول ما أسماه محاولتي الانتحارية والتاريخ المفترض للاكتئاب، أدركت أن جاك قد غطى كل الزوايا قبل أن تطأ قدم الطبيب غرفة نومي. فزعت، توسلت إليه ليصدق أن جاك لم يكن هو الشخص الذي يبدو عليه، وكررت ما قاله لي بشأن ضرب والدته حتى الموت حينما كان طفلًا وترك والده يتحمل اللوم كله. لكن حتى في أثناء حديثي، كان بإمكاني سماع كيف بدا الأمر غير معقول، وعندما كتب وصفة طبية لدواء بروزاك، صرت في حالة هستيرية أعطت قيمة لما قاله جاك، أنني مصابة بالهوس الاكتئابي، حيث السعي لجذب الانتباه. حتى إنه كان لديه الأوراق اللازمة لإثبات هذا؛ نسخة من تقاريري الطبية من وقت تناول جرعة زائدة ورسالة من مدير الفندق في تايلاند توضح بالتفصيل سلوكي ليلة وصولنا. لقد دمرني فشلي في إقناع الطبيب بأنني كنت أقول الحقيقة، بدت ضخامة المهمة التي أمامي مرة أخرى مستعصية على الحل. فإذا لم أتمكن من إقناع أحد المحترفين من الأطباء بالنظر فيما قلته له، فكيف سأتمكن من جعل أي شخص آخر يفهم ما يجري؟ والأكثر صلة بالموضوع، كيف سأكون قادرة على التحدث إلى أي شخص بحرية حينما لن يسمح لي جاك باستخدام أي وسيلة اتصال بالعالم الخارجي إلا إذا كان يتحكم فيها؟

بدأ في مراقبة رسائل البريد الإلكتروني التي تلقيتها، وإذا لم يملِ ردي كلمة بكلمة، يقف فوقي ويقرأ كل كلمة كتبتها. نظرًا لأنني كنت محبوسة في غرفتي ليلًا ونهارًا، فقد أُجبر الناس على ترك رسالة صوتية إذا لم يكن جاك موجودًا للرد على المكالمات. وإن طلبوا التحدث إلي شخصيًّا، يخبرهم بأنني أستحم أو أتسوق، وسأعاود الاتصال بهم. وإذا سمح لي بمعاودة الاتصال بهم، يستمع إلى كل ما أقوله. لكنني لم أجرؤ على الاعتراض لأن محادثتي

مع الطبيب كلفتني أسبوعًا آخر لعدم زيارة ميلي، كما فقدت حقي في تناول الشاي والقهوة في غرفتي. كنت أعلم أنه إذا أردت رؤيتها مرة أخرى في المستقبل القريب، فسوف يتعين عليَّ التصرف كما يريد جاك تمامًا، على الأقل لمدة من الوقت. لذلك خضعت دون شكوى للقيود التي فرضها علي. حينما جاء لي بالطعام -كان يحضره لي صباحًا ومساءً في ذلك الوقت- تأكدت من أنه وجدني جالسة على سريري، خانعة ومطيعة. كان والداي، مع اقتراب انتقالهما إلى نيوزيلندا، يساورهما الشك في الجرثومة الغامضة التي أخذتها على ما يبدو في تايلاند، والتي منعتني من زيارة ميلي. لثنيهم عن الزيارة، أخبرهما جاك بأنه من المحتمل أن تكون معدية، بيد أنه يمكنني التنبؤ من المكالمة الهاتفية أنهما كانا قلقين من أن اهتمامي بميلي قد تضاءل الآن بعدما تزوجت. رأيتهما مرة واحدة فقط قبل رحيلهما، حينما أتيا يودعاني على عجل.

وكانت تلك المرة خلال جولة سريعة في أرجاء المنزل، التي رأيت فيها وأخيرًا بقية الغرف في الطابق الأول.

كان عليَّ تسليم غرفة نومي لجاك. لم يجبرني فقط أن أرتب كل متعلقاتي بعيدًا، بل جعلها أيضًا كواحدة من غرف الضيوف، ونشر ملابسي في غرفة نومه ليجعلها تبدو كما لو كنت أنام هناك بالفعل. كنت أتوق لإخبار والديَّ بالحقيقة، لأتوسل إليهما لمساعدتي، ولكن مع ثقل ذراع جاك على كتفي، لم توافِني الشجاعة لقول أي شيء على الإطلاق. وما زلت أود قول شيءٍ ما، لولا أنها لم تكن غرفة ميلي.

بعد أسبوع من مغادرة والديَّ، أخذني جاك أخيرًا لرؤية ميلي. لقد مرت خمسة أسابيع طويلة بعد عودتنا من تايلاند، وفي غضون كل هذا الوقت، تعافت ساق ميلي وتمكنا من اصطحابها لتناول طعام الغداء. لكن ميلي التي وجدتها تنتظرني كانت مختلفة تمامًا عن الفتاة السعيدة التي تركتها ورائي. ذكر والداي أنها كانت صعبة حينما كنا غائبين، أُرجع الأمر إلى خيبة أملها لعدم كونها وصيفة الشرف لي. كنت أعلم أنها استاءت أيضًا من أنني لم آتِ

لرؤيتها فور عودتنا من شهر العسل، لأنه في أثناء مكالماتي الهاتفية معها، حيث وقف جاك يتنفس عند رقبتي، كانت وكأنها مكالمة من طرف واحد.

على الرغم من أنني سرعان ما استحوذت على انتباهها بالهدايا التذكارية التي سمح لي جاك بشرائها لها، بالإضافة إلى كتاب صوتي جديد لأغاثا كريستي، فإنها تجاهلت جاك تمامًا ويمكنني أن أقول إنها كانت غاضبة، وبخاصة أن جانيس كانت موجودة. حاولت التظاهر بأن ميلي كانت مستاءة لأننا لم نحضِر مولي معنا، لكن لأنها لم تحدث ضجة عندما أخبرتها بأننا تركناها وهي تحفر المصابيح في الحديقة، لم يكن الأمر صحيحًا. عندما أخبرها جاك، في محاولة لإنقاذ الموقف، بأنه سيأخذنا إلى فندق جديد لتناول طعام الغداء، أجابت بأنها لا تريد الذهاب إلى أي مكان معه وأنها لا تريده أن يعيش معنا أيضًا.

حاولت جانيس نزع فتيل الموقف، وأخذت ميلي معها لجلب معطف، وعندها لم يضيع جاك فرصة إخباري بأنها إذا لم تغير موقفها، فسوف يمنعني من رؤية ميلي مرة أخرى. فجلست أتعذر وأبحث عن أمور تبرر سلوك ميلي، أخبرته بأنه في ضوء ما قالته عن عدم رغبتها في العيش معنا، من الواضح أنها لم تدرك أنه بمجرد زواجنا سيكون معي طوال الوقت واستاءت من نيلك لي مشارَكةً معها، لم أصدق ما كنت أقوله لمدة دقيقة -لقد فهمت ميلي جيدًا أن الزواج يعني العيش معًا- وأدركت أنني سأضطر إلى فهم موقف ميلي تجاه جاك قبل أن يفقد صبره وينفذ تهديده بأخذها إلى العيش في المصحة. بيد أن وجوده دائمًا بجانبي، ومشاهدة كل تحركاتي وإيماءاتي، جعلني لم أستطع تخمين كيف سأتمكن من التحدث معها على انفراد.

حانت الفرصة حينما أخذنا جاك إلى الفندق لتناول وجبة الغداء. في نهاية الجلسة، طلبت مني ميلي أن أذهب معها إلى دورة المياه. أدركت وقتها أنها كانت فرصتي للتحدث معها، هببت واقفة على قدمي، تحدث جاك مع ميلي يخبرها بأنها قادرة تمامًا على الذهاب بمفردها. لكنها أصرت، بصوت أعلى وأعلى، مما أجبر جاك على التنازل. حينئذ جاء معنا، وعندما رأى أن دورات مياه السيدات كانت في ممر قصير حيث لن يكون قادرًا على مرافقتنا دون

أن يبدو الأمر مريبًا، جذبني إلى الخلف وذكّرني هامسًا، يجدر بي عدم إخبار ميلي أو أي شخص آخر بوضعي حاليًا، مما جعل القشعريرة تسري في جسدي، وأضاف بأنه سينتظرنا في نهاية الممر وحذرنا من المكوث لفترة طويلة. صرخت ميلي:

- غريس يا غريس.

وحالما كنا وحدنا قالت:

- جاك رجل سيئ، رجل سيئ للغاية. دفعني، لقد دفعني على الدرج.

وضعت إصبعي على فمها، محذِّرة إياها أن تصمت، نظرت حولي بخوف. حقيقة أن دورة المياه كانت خالية، شعرت بنفحة حظ لم أحظَ بها منذ زمن طويل.

همست مرعوبة من أن جاك قد اقترب من الممر وكان يتنصت من عند الباب:

- لا يا ميلي، جاك لم يفعل هذا.

- لقد دفعني يا غريس! في الزفاف، دفعني جاك بقوة، هكذا! (وخبطتني بكتفها، ثم أردَفت) جاك آذاني، كسر ساقي.

أسكِتها قائلة:

- لا يا ميلي لا! جاك رجل طيب.

- لا، ليس حقًا (كانت ميلي مصرة فيما تظنه)، جاك رجل سيئ، رجل سيئ للغاية.

- يجب ألا تقولي ذلك يا ميلي! لم تخبري أحدًا، أليس كذلك يا ميلي؟ لم تخبري أحدًا بما قلتِه لي للتو؟

هزت رأسها بقوة:

- تقولين دائمًا أخبري غريس بأي شيء أولًا. لكن الآن سأخبر جانيس أن جاك رجل سيئ.

- لا يا ميلي، يجب ألا تخبري أحدًا!

- لماذا؟ لا تصدقينني يا غريس؟

تسارع ذهني مفكرًا ومتسائلًا عما يمكنني إخبارها به.

عرفت الآن ما كان جاك قادرًا عليه، وفجأة أصبح الأمر منطقيًّا، وبخاصة عندما تذكرت أنه لم يكن يريدها قط أن تكون وصيفة الشرف.

- انظري يا ميلي.

أخذت يديها في يدي، مع علمي أن جاك سيشتبه بنا إذا قضينا وقتًا طويلًا.

- ينبغي لنا أن نلعب لعبة، لعبة سرية بيني وبينك وحسب. هل تتذكرين روزي؟

سألتها مشيرة إلى الصديقة الخيالية التي اختلقَتها لتتحمل أخطاءها بدلًا منها، فأومأت برأسها بشدة.

- تفعل روزي أشياء سيئة، وليس ميلي.

قلت لها بجدية:

- نعم أعرف.

- كانت شقية للغاية.

بدت ملامح ميلي توحي بأنها مذنبة، لدرجة أنني لم أستطع كبح ابتسامتي.

- لا أحب روزي، روزي سيئة، مثل جاك.

- لكن جاك لم يكن مَن دفعك على الدرج.

قالت بعناد:

- بلى كان هو.

- لا، لم يكن هو، بل كان شخصًا آخر.

نظرت إليَّ بريبة:

- مَن؟

جلست أحزر اسمًا:

- جورج كلوني.

حدقت إليَّ ميلي لبرهة:

- جورج كووني؟

- أجل، أنت لا تحبين جورج كلوني، أليس كذلك؟

وافقتني:

- لا، لا أحب جورج كووني.

- لقد كان هو من دفعك إلى نهاية الدرج، وليس جاك.

عابسة تقطب جبينها:

- ليس جاك؟

- لا، ليس جاك. أنت تحبين جاك يا ميلي، تحببينه كثيرًا (بينما هززتها قليلًا)، من المهم جدًّا أن تحبي جاك. لم يدفعك نحو الدرج، كما فعل جورج كلوني. أتفهمين؟ عليك أن تحبي جاك يا ميلي لأجلي.

نظرت إلي من كثب وقالت:

- أنت خائفة!

- أجل يا ميلي إنني خائفة، لذا من فضلك أخبريني بأنك تحبين جاك. إنه لأمر مهم للغاية.

قالت مطيعة:

- أحب جاك.

- جيد يا ميلي.

- لكن لا أحب جورج كووني.

- صحيح، لا تحبين جورج كلوني على الإطلاق.

- إنه سيئ، لقد دفعني صوب الدرج.

- بلى هو من فعلها، لكن حري بك ألا تخبري أحدًا بهذا، أتسمعينني؟ يجب ألا تخبري الناس بأن جورج كلوني دفعك إلى أسفل الدرج. إنه سر بيننا، مثل روزي. يجب أن تخبري الناس بأنك تحبين جاك. فهذا ليس سرًّا. وينبغي أن تخبري جاك بأنك تحبينه. أتفهمين؟

- نعم أفهمك (أومأت برأسها)، يجب أن أخبر جاك بأنني أحبه.

- أجل.

- أقول له أنا لا أحب جورج كووني؟

- نعم، يمكنك إخباره بهذا أيضًا.

اقتربت مني وهمست:

- لكن جاك جورج كووني، جورج كووني هو جاك.

- صحيح يا ميلي، جاك هو جورج كلوني، نحن من يعرف بهذا فقط (همست لها)، هل تدركين ما أقوله؟ إنه سر، سرنا، مثل روزي.

- جاك رجل سيئ يا غريس.

- نعم، جاك رجل سيئ. لكن هذا هو سرنا أيضًا، لا تخبري أحدًا.

- لن أعيش معه، أنا خائفة.

- أعلم هذا.

- إذن ماذا ستفعلين؟

- لست متأكدة بعد، لكنني سأجد حلًّا.

- وعد؟

- أعدك.

نظرت إليَّ من كثب وقالت:

- غريس حزينة.

- أجل، غريس حزينة.

- لا تقلقي، ميلي هنا. ميلي تساعد غريس.

قلت بينما أعانقها:

- شكرًا لك. تذكري يا ميلي، أنت تحبين جاك، لا تنسَي.

- لا أنسى.

- وينبغي لكِ عدم إخباره بأنك لا تودين العيش معه.

- لن أقول.

- حسنًا يا ميلي.

في الخارج، وجدنا جاك ينتظرنا نافد الصبر، سأل:

- لمَ كل هذا الوقت؟

ومنحني نظرة طويلة.

قالت ميلي:

- لدي الدورة الشهرية، أحتاج إلى وقت طويل في الدورة الشهرية.

- هلا نذهب في نزهة قبل أن نعود؟

- نعم، أحب المشي.

- ربما يمكننا العثور على الآيس كريم في الطريق.

أشرق وجهها قائلة:

- شكرًا لك يا جاك.

لقد تذكرَت ما قلتُه لها.

قال جاك بينما تجاوزتنا ميلي:

- حسنًا، يبدو أنها استعادت بعضًا من روحها المرحة.

- حينما كنا في دورة المياه شرحت لها أنه الآن بعد أن تزوجنا، من الطبيعي أن تكون معي دائمًا، وقد فهمت أنه يجب عليها مشاركتي معك.

- وكان هذا كل ما قلته!

- بالطبع كان كذلك.

كانت جانيس تنتظر حينما أوصلناها إلى المدرسة بعد ساعة. ابتسمت قائلة:

- يبدو أنكِ قضيتِ وقتًا ممتعًا يا ميلي.

وافقتها ميلي:

- أجل (التفتت إلى جاك)، أحبك يا جاك، إنك لطيف.

- مسرور برأيك هذا

بينما أومأ برأسه، وهو ينظر إلى جانيس.

- لكنني لا أحب جورج كووني.

قال لها:

- لا أمانع هذا، لا أحبه أيضًا.

قهقهت حينها ميلي؛ ترتعد ضحكًا.

# الحاضر

سنذهب إلى إستير وروفوس الليلة، ونرى ميلي غدًا. موقنة بأننا ذاهبون لأن جانيس اتصلت بجاك يوم أمس لتتأكد من أننا سنأتي. يبدو أنها مع موعد لمأدبة غداء عائلية، ولا يمكن أن تفوتها، حيث لا أحد سيعتني بميلي إذا لم نذهب إليها. لا يسعني التفكير إلا بأنه عذر اختلقته إزاء عدم زيارتنا مذ ثلاثة أسابيع. أفكر مع نفسي في سبب ذلك، أعتقد بأنها سئمت قليلًا من تَمَنُّعنا عن المجيء لأخذ ميلي، وهو أمر أدهشني، لأن جاك حريص وحذر بشأن هذا الموضوع. على حساب معاقبتي، إنه يخاطر بتشكيك جانيس في أمر التزامنا تجاه ميلي. ولكن، بما أن هذا لا يمكن أن يكون إلا في مصب مصلحتي، فإنني بالكاد قد أنبهه عليه. ربما لأنني أعرف أنني سأقابل ميلي غدًا، أشعر بتوتر أقل من المعتاد إزاء خروجنا الليلة. العشاء عند الأصدقاء يعادل المشي في حقل ألغام بالنسبة إلي، لأنني دومًا قلقة بشأن فعل أو قول شيء سيستخدمه جاك ضدي. يسعدني أنني لم أقع في الفخ الذي نصبه لي من خلال تظليل الكلمات في كتاب إستير، مع أنني سأكون حريصة على عدم قول أي شيء لها يمكن أن يُساء فهمه. أخذ الكتاب معه حينما أحضر لي إفطاري هذا الصباح، وضحكت لفكرة أنه يقلب الصفحات دون جدوى، التقصي عن شيء غير موجود، ربما كلمة أو اثنتان تم تحديدها بأظافري. من الواضح أن الأمر أزعجه، لأنه قضى معظم اليوم في الطابق السفلي، يشير هذا دومًا إلى أمر سيئ، وممل جدا بالنسبة إلي. أُفضِّل أن أسمع تحركاته، لأنه بذلك يسليني برسمها في مخيلتي وهو يتنقل من غرفة إلى أخرى، مُحاوِلةً معرفة ما يفعله من خلال الأصوات التي تتناهى إلى مسمعي من الأسفل. أعلم أنه في المطبخ في الوقت الحالي وأنه يصنع لنفسه كوبًا من الشاي، لأنني قبل بضع دقائق

سمعت صوت الغلاية وهي مملوءة بالماء وصوتها حين انتهت من الغليان. أحسده.

من بين الأشياء العديدة التي أكرهها لكوني سجينة؛ عدم قدرتي على صنع كوبًا من الشاي لنفسي وقتما أريد، أفتقد غلايتي والمؤنة المنتظمة بأكياس الشاي والحليب التي اعتدت الحصول عليها. حينما أفكر في الأمر الآن، كان جاك سجانًا كريمًا في البداية. أنظر إلى النافذة وأرى منها الشمس وهي تغرق في السماء، حينها أعرف أن الوقت يقارب الساعة السادسة مساءً، وكما ينبغي أن نكون في منزل إستير الساعة السابعة، يجب أن يأتي جاك ليسمح لي بالدخول إلى غرفة النوم المجاورة، الغرفة التي اعتدت أن تكون لي، لأتمكن من تجهيز نفسي. لا يمضي وقت طويل حتى أسمع خطاه على الدرج. بعد لحظة، يدور المفتاح في القفل ويفتح الباب. حينما أراه يقف هناك، أشعر بالفزع كما يحصل لي دائمًا من مظهره الطبيعي، لأنه بالتأكيد يجب أن يكون ثمة شيء -آذان مدببة أو زوجان من الأبواق- لتحذير الناس من شره. يقف إلى الوراء ليسمح لي بالمرور، أذهب بفارغ الصبر إلى الغرفة المجاورة، مسرورة بإتاحة الفرصة لي لارتداء الملابس، وارتداء شيء آخر غير الأسود، شيء آخر غير النعال على قدمي. أزلق باب خزانة الملابس وأنتظر حتى يخبرني جاك بما يجب أن أرتديه. وحينما لا يقول أي شيء، أعرف بأنه يمنحني أملًا كاذبًا من خلال السماح لي بالاعتقاد أنني أستطيع ارتداء ما أريده وحسب، وحالما أنتهي يأمرني بخلعه مرة أخرى. ربما لأنني تمكنت من رؤية حيلته مع الكتاب، أقرر المقامرة واختيار فستان لا أريد أن أرتديه على الإطلاق، لأنه أسود. أخلع منامتي. مع أن شعور عدم الراحة يتلبسني حينما يشاهدني جاك وأنا أرتدي وأخلع ثيابي، لا يمكنني فعل أي شيء حيال هذا، لأنني فقدت حقي في الخصوصية مُذ فترة طويلة. يقول جاك بينما أرتدي ملابسي الداخلية:

- لقد بدأت أمارات الهزال تظهر عليك بعض الشيء.

أقترح قائلة:

- ربما يجب عليك إحضار طعام لأتناوله.

يوافق على ذلك قائلًا:

- ربما ينبغي لي فعل هذا.

بحلول الوقت الذي ارتديت فيه الفستان وبينما أقوم بإغلاق السحاب، بدأت أعتقد أنني قد أسأت الفهم.

يهتف بينما كنت أمسده على جسدي:

- اخلعيه. (أردفَ) البسي الفستان الأحمر.

أتظاهر بخيبة الأمل وأخلع الفستان الأسود، ويسرني أنني تمكنت من التفوق عليه، لأن الأحمر هو الذي كنت سأختاره. أرتديه، وربما بسبب اللون، غمرني شعور الثقة أكثر.

أسير إلى منضدة الزينة، أجلس أمام المرآة وأنظر إلى نفسي لأول مرة منذ ثلاثة أسابيع. أول أمر لحظته هو أن حاجبي بحاجة إلى نتف. بقدر ما أكره الاضطرار إلى القيام بمثل هذه الطقوس أمام جاك، فإنني آخذ ملقاطي من الدرج وأبدأ في ترتيب حاجبي. اضطررت للتفاوض معه على نتف شعر ساقيَّ بالشمع، مشيرة إلى أنه لا يمكنني أن أبدو مثالية إذا كنت مغطاة بالشعر، ولحسن الحظ، يوافق على إضافة مجموعة من شرائح الشمع إلى الحد الأدنى من مستلزمات النظافة التي يجلبها لي كل شهر. حينما أنتهي من حاجبي، أضع مساحيق التجميل، وتكريمًا لفستاني، أختار أحمر شفاه أكثر إشراقًا من المعتاد. أقف، وأمشي إلى خزانة الملابس وأبحث في علب الأحذية، أبحث عن حذائي عالي الكعب باللونين الأحمر والأسود. أنتعلهما، وآخذ الحقيبة المطابقة من الرف وأعطيه إياها. يفتحها وينظر إلى الداخل، يتحقق من أنني في وقت ما خلال الأسابيع الثلاثة الماضية لم أتمكن من جلب القلم والورق من الفراغ لنقل ملاحظة عبر الجدران الصلبة إلى الحقيبة. أعادها إليَّ، رمقني من أعلى وأسفل وأومأ برأسه باستحسان، وهو ما أعرفه من سخرية القدر، إنه أمر أكثر مما تحصل عليه بعض النساء من أزواجهن. نزلنا إلى الطابق السفلي، وفي الرواق يأخذ معطفي من الخزانة ويحمله، يفتحه لي بينما أدخل ذراعي. نسير إلى الخارج، يمسك باب السيارة من أجلي وينتظر حتى أركب. ثم يغلقه

خلفي، يجتاحني الغضب أحيانًا، أنه من العار أن رجلًا مثل هذا الوغد السادي يتمتع بأدب جم. نصل إلى منزل إستير وروفوس، وبين أيدينا باقة زهور ضخمة وقنينة شمبانيا، يعيد جاك إلى إستير كتابها الذي أفترض أنه عاد إلى حالته الأصلية. تسألني عن رأيي فيه، فأخبرها بما أخبرت به جاك، أن الأمر استغرق مني بعض الوقت لتصفحه لأنه لم يكن نوع الكتب التي أقرؤها عادة. ويستولي عليها الإحباط، مما يجعلني أتساءل عما إذا كانت هي التي وضَّحت الكلمات بعد كل شيء. أخفي ذعري، بينما أنظر إليها بقلق. ولكن لا شيء على محياها يوحي بأنني قد ضيعت فرصة، ويتباطأ نبض قلبي. نذهب إلى حيث تنتظر ديان وآدم، بينما ذراع جاك حول خصري.

لا أعرف إذا كان ما أشعر به بسبب كل المجاملات الصغيرة التي قالها لي، أو لأنني تمكنت من ارتداء الفستان الذي رغبته، سوى أنه بحلول الوقت الذي فرغنا فيه من مشروباتنا لنتوجه إلى مائدة الطعام، يغمرني شعور كأنني امرأة عادية في ليلة عادية تقضي وقتها في الخارج بدلًا من الخروج مع سجانها. أو ربما الأمر مجرد أنني احتسيت الكثير من الشمبانيا. حينما استهللنا بشق طريقنا صوب العشاء اللذيذ الذي طهته لنا إستير، أدركت أن جاك يراقبني من الجانب الآخر من المائدة، بسبب شراهتي في الأكل، والتحدث كثيرًا، ليس كعادتي. تقول إستير:

- تبدو سارحًا يا جاك.

يهتف لها:

- كنت أفكر للتو في مدى تطلعنا لمجيء ميلي للعيش معنا.

فيما أعرف معنى قوله أنا فقط على أنه دعوة لطلب الانضباط.

تخبره:

- لم يبقَ وقت طويل.

يرد عليها جاك:

- خمسة وسبعون يومًا (بينما يتنهد مسرورًا). أتعلمين ذلك يا غريس؟ فقط خمسة وسبعون يومًا أخرى حتى تنتقل ميلي إلى غرفة نومها الحمراء الجميلة وتصبح جزءًا من عائلتنا.

كنت على وشك تناول رشفة من النبيذ، لكن يهوي قلبي سريعًا لدرجة أن القدح يتوقف بغتة في منتصف طريقه لفمي، وينسكب قليل منه على الطاولة. أجبته:

- لا، لم أكن أعرف.

متسائلة كيف يمكنني أن أظل مكتوفة الأيدي وراضية بينما الوقت ينفد، أتساءل كيف كان بإمكاني أن أنسى حتى لدقيقة واحدة الموقف اليائس الذي أنا فيه، كيف لم يتبقَ سوى القليل من الوقت؟ والأهم من ذلك، كيف سأتمكن من التفكير في طريقة للهروب من جاك حينما لم أتمكن من فعل ذلك خلال الثلاثمئة وخمسة وسبعين يومًا التي من الجدير أنها قد مرت مُذ عودتنا من شهر العسل؟

في ذلك الوقت، حتى بعد الرعب الذي مررت به -والرعب الذي ينتظرني حينما نصل إلى المنزل- لم أشك قط في أنني سأتمكن من الهروب قبل أن تأتي ميلي للعيش معنا. على الرغم من فشلي الذريع في كل محاولة قمت بها، ثمة دائمًا مرة أخرى. لكني لم أحاول منذ أكثر من ستة أشهر.

يقول جاك وهو يهز رأسه باتجاه كأس من النبيذ ويبتسم لي:

- واصلي يا غريس.

أنظر إليه بخدر وهو يرفع كأسه.

- دعونا نشرب لمجيء ميلي للعيش معنا (بينما ينظر حول المائدة، يهتف) في الواقع، لمَ لا نشرب جميعًا نخبًا لميلي؟

يقول آدم وهو يرفع كأسه:

- فكرة جيدة، إلى ميلي.

يرنم الجميع: «إلى ميلي»، بينما أحاول محاربة الذعر المتصاعد بداخلي، إزاء انتباه إستير إليَّ وهي تنظر بفضول، أرفع قدحي بسرعة، على أمل ألا تلاحظ رجفة يدي.

يصدح آدم قائلًا:

- بينما نحن في مزاج احتفالي، قد يهتم الجميع برفع الأقداح تارة أخرى. (ينظر إليه الجميع منشدين) ديان تنتظر طفلًا عما قريب! أخ أو أخت لإميلي وجاسبر!

- يا لها من أخبار رائعة!

تقول إستير، بينما تتطاير التهاني حول المائدة.

- ألا تعتقدين ذلك يا غريس؟

أنفجر في البكاء إزاء الرعب الذي خالجني. ران صمت مهيب عقب ذلك، فإن فكرة العقوبة التي سيفرضها جاك عليَّ بسبب افتقاري لضبط النفس تجعلني أنتحب أكثر.

أحاول كبح دموعي كبحًا محمومًا لكن يبدو من المحال، وبخجل فظيع أقف على قدمي، مدركة لديان بجانبي تحاول تهدئتي، لكن جاك هو الذي يأخذني بين ذراعيه -إذ لا يسعه إلا أن يفعل ذلك- ويقترب مني، وهو يحتضن رأسي على كتفه، ويغمغم بكلمات الراحة المهدئة، بينما أنشج أكثر.

أفكر كيف من المفترض أن تسير حياتي، كيف فكرت أنها على خطى مختلفة. لأول مرة، أريد أن أستسلم، وأن أموت، فجأة أصبح كل شيء أكبر من طاقتي وقدرتي على الاحتمال، ولا يلوح أي حل في الأفق.

- لا يمكنني الاستمرار على هذا النحو.

بينما أنتحب على صدر جاك، غير مهتمة بأن الجميع يستمعون.

- أعلم هذا.

يكرر على مسمعي يحاول أن يهدئني:

- أعلم هذا.

يبدو الأمر كما لو أنه يقر بأنه قد ذهب بعيدًا جدًّا، ولجزء من الثانية، أعتقد حقًّا أن كل شيء سيكون على ما يرام.

- أعتقد أننا يجب أن نقول لهم، أليس كذلك؟ (يرفع رأسه مُعلنًا) أجهضت غريس الأسبوع الماضي، وأخشى أن هذا لم يكن الأول.

هناك شهقة جماعية وبضع ثوانٍ من الصمت المرعب قبل أن يبدأ الجميع في الحديث مرة واحدة بأصوات خافتة لمواساتنا. على الرغم من أنني أعلم أن كلماتهم اللطيفة من التعاطف والتفهم تتعلق بإجهاض لم يحدث لي من الأساس، فإنني تمكنت من الشعور براحة كافية لأتمكن من جمع شتات نفسي.

- آسفة.

أغمغم لجاك، وكلي رجاء بأن أخفف الغضب الذي أعلم أنه سيتعين علي مواجهته لاحقًا.

تطمئنني ديان، وهي تربت على كتفي:

- لا تكوني سخيفة، سوى أننا تمنينا لو أنك أخبرتِنا.

يجتاحني الهلع حيال إعلانه عن حملي بهذا الشكل. أضيف وما زلت أتحدث إلى جاك:

- لا يمكنني الاستمرار أكثر من ذلك.

يرد علي:

- ستجدين أن الأمر أبسط بكثير إذا تقبلتِه.

أسأله بيأس:

- هل يمكننا ترك ميلي فقط خارج أمورنا؟

يهتف بجدية:

- أخشى بأنه لا يمكننا.

تستفسر إستير بحيرة:

- ليس من الضروري أن تعرف ميلي، أليس كذلك؟

تعبس ديان:

- لا فائدة تُرجى من مضايقتها.

يلتفت جاك إليهما قائلًا:

- كلاكما على حق، بالطبع سيكون من الحماقة إخبار ميلي عن إجهاض غريس. الآن، أعتقد أنني يجب أن آخذ غريس إلى المنزل، أرجو أن تسامحيني يا إستير على فض الحفلة.

أصدح وتتسابق الحروف على لساني:

- إنني بخير.

لا أود مغادرة منزل إستير وروفوس الآمن، لأنني أعرف ما الذي سينتظرني فور عودتي إلى البيت.

تحركت من بين ذراعي جاك؛ أفزع من شعوري بالراحة بين أحضانه لفترة طويلة.

- حقًّا، إنني على خير ما يرام الآن، وأود أن أبقى.

- جيد، سعيد بسماع هذا. أرجوك يا غريس، أريحي ظهرك للوراء.

يخبرني الخجل في عيني إستير بأن تعقيبها الذي أسقط الدمع من عيني، تعليق لاذع، حيث يغمرها الشعور بالذنب إزاء توجيه دفة الحديث إلى أن ديان حامل. تقول بهدوء بينما كنت أجلس مكاني مرة أخرى:

- آسفة بشأن إجهاضك.

أجيبها:

- كل الأمور على ما يرام. من فضلك، دعينا ننسى ذلك وحسب.

بينما أشرب القهوة التي تقدمها إستير، أستجمع قواي لأتمالك نفسي أكثر من قبل، وقد أدركت إدراكًا فظيعًا كم كنت غبية للتخلي عن حذري. أدركت أنني بحاجة إلى تعويض ما حصل إن رغبت برؤية ميلي غدًا، أنظر بمودة إلى جاك وأشرح للجميع حول المائدة سبب انهياري، هو أنني أشعر بالفزع لأنني في الوقت الحالي، يبدو أنني غير قادرة على منح جاك أكثر شيء يريده

في العالم؛ طفل. حينما نهم بالمغادرة أخيرًا، أعلم أن الجميع معجب بشفائي السريع والساحر، وأشعر أن إستير تحبني كثيرًا، أكثر من السابق، وهو أمر يمكن أن يكون شيئًا جيدًا، حتى لو كان ذلك بسبب رَحِمي المعيب. يصعقني الواقع حينما أجلس في السيارة متجهَين إلى المنزل. يخبرني صمت جاك القاتم أنه مهما كان أساس ترقيعي للموقف للآخرين، فإنه لا يزال سيجعلني أدفع ثمن غبائي.

إن فكرة عدم الذهاب لرؤية ميلي تفوق قدرتي على التحمل، تنهمر دموع صامتة من عيني، أشعر بالصدمة من مدى ضعفي. وصلنا إلى المنزل. يفتح جاك الباب الأمامي وندخل الرواق.

- كما تعلمين، لم أشُك قط بمن أكون (قالها بعمق بينما يساعدني في خلع معطفي). لكن الليلة، لجزء من الثانية، حينما كنت أمسك بك بين ذراعيَّ، عندما كان الجميع يتعاطفون معنا بشأن إجهاضك، تذوقت معنى أن أكون طبيعيًّا.

أقول له:

- يمكنك أن تصبح كذلك، إذا رغبتَ فعلًا أن تصبح طبيعيًّا! يمكنك تلقي المساعدة يا جاك، أعلم أنه يمكنك!

- المشكلة هي أنني لا أود المساعدة. أحب ما أنا عليه، أحب ذلك كثيرًا حقًّا، وسأحبه بشكل أفضل في غضون خمسة وسبعين يومًا، حينما تأتي ميلي لتعيش معنا. إنه لأمر مخزٍ أننا لن نراها غدًا؛ كدت أفتقدها.

أتوسل إليه:

- أرجوك يا جاك.

- حسنًا، قطعًا لا أستطيع أن أتركك ترينها بسبب افتقارك المروع لضبط النفس الليلة، لذا إذا كنت تريدين رؤية ميلي غدًا، فأنت تعلمين ما عليك القيام به.

أقول له:

- لم تطِق فكرة عدم وقوعي بفخك المثير للشفقة، أتطيق ذلك؟

مدركةً أنه نصب لي شركًا لإزعاجي في أثناء العشاء من خلال ذكر ميلي بأنها قادمة للعيش معنا.

- فخ مثير للشفقة؟

- بلى، هو كذلك، مثير للشفقة. ألا يمكنك التوصل إلى أي شيء أفضل من تظليل الكلمات في كتاب؟

- لقد أصبحتِ حقًا ذكية جدًّا لأجل مصلحتك. بغض النظر عن الطريقة التي أنظر بها إلى الأمر، ينبغي معاقبتك.

أهز رأسي بطريقة يُرثى لها:

- لا، لا أتحمل، لقد اكتفيت. أعني ذلك يا جاك، لقد اكتفيت.

- سوى أنني لم أكتفِ بعد، في الحقيقة لم أبدأ حتى. هذه هي المشكلة، كما ترين. كلما اقتربت من الحصول على ما كنت أنتظره لمدة طويلة، أتوق إليه أكثر. لقد وصلت إلى نقطة تعبت فيها من الانتظار. لقد سئمت من انتظار ميلي للانتقال معنا.

أستفسر منه يائسة:

- لمَ لا نرجع إلى تايلاند؟

والرعب يغمرني من أنه سيقترح انتقال ميلي معنا أقرب من الوقت المخطط له.

- ستكون رحلة طيبة لك.

- لا أستطيع؛ لدي قضية توماسين.

- لكنك لن تقدر على الذهاب حالما تأتي ميلي للعيش معنا.

وضحتُ له وأنا حريصة على تعزيز موقفي، والحاجة الماسة إلى إبقاء ميلي بأمان في المدرسة لأطول فترة ممكنة. يرمقني بنظرة مستمتعة.

- صدقيني، فور أن تأتي ميلي للسكن معنا، لن أرغب في السفر إلى تايلاند. اصعدي الآن.

أرتعش بشدة لدرجة أنني أجد صعوبة في المشي. أشق طريقي إلى الدرج، وحينما وضعت قدمي على الدرجة الأولى هتف:

- تسيرين في الاتجاه الخاطئ، إلا إذا لم ترغبي في رؤية ميلي غدًا.

يتوقف لبرهة، يجعل الأمر يبدو كما لو أنه يمنحني خيارًا.

- إذن ماذا تختارين يا غريس؟ (صوته مرتفع بالإثارة) ميلي المحبَطة أو القبو؟

# الماضي

بعد ما أخبرتني به ميلي؛ جاك دفعها إلى نهاية الدرج، ازداد الضغط للابتعاد عنه. على الرغم من أنها قطعت وعدًا بعدم إخبار أي شخص، فإنني لم أستطع التأكد من أنها لن تفضح الأمر فجأة لجانيس، أو حتى اتهام جاك في وجهه. لا أعتقد أنه قد خطر له أنها ربما أدركت أن سقوطها كان أكثر من محض حادث. كان من السهل التقليل من شأن ميلي، والافتراض أن طريقتها في الحديث تعكس طريقة عمل عقلها، سوى أنها كانت أكثر ذكاءً مما يظنه الناس. لم يكن لدي أدنى فكرة عما سيفعله جاك إذا اكتشف أنها تعرف جيدًا ما حدث في ذلك اليوم. افترضتُ أنه سيرفض اتهاماتها بسرعة كما رفض اتهاماتي، وسيشير إلى أنها كانت تشعر بالغيرة لأننا معًا، وأنها تحاول تفريقنا عن طريق توجيه اتهامات كاذبة إليه. الأمر الوحيد الذي جعلني أعاني في ذلك الوقت العصيب هو ميلي. بدت مرتاحة للغاية مع جاك لدرجة أنني اعتقدت أنها نسيت أنه دفعها إلى نهاية الدرج، أو على الأقل تقبلت الأمر. لكن كلما قلت لنفسي إن هذا هو الأفضل، كانت تهتف بشعارها سريعًا «أنا أحبك يا جاك، لكن لا أحب جورج كووني»، كما لو أنها تعرف ما كنت أفكر فيه، وأنها ما زالت تحافظ على وعدها. وعلى هذه الشاكلة، ازداد الإلحاح لأبدأ في التخطيط لخطوتي التالية. بعد ما حدث حينما جربت مساعدة الطبيب، قررت أنه في المرة القادمة، كلما زاد عدد الأشخاص الموجودين بالجوار، كان ذلك أفضل. لذلك حينما شعرت بالاستعداد للمحاولة مرة أخرى، ناشدت جاك لاصطحابي للتسوق معه، على أمل أنني خلال الرحلة سأتمكن من طلب النجدة من أحد الأفراد العاملين في المتجر أو أحد من المتسوقين في الجوار. حينما ترجلت من السيارة، اعتقدت أن دعائي قد أُجيب فور رؤيتي لشرطي يقف على بعد ياردات مني. حتى الطريقة التي أمسكني بها جاك بإحكام

حينما حاولت الفرار من قبضته، أكدت من حقيقة كوني سجينة، وعندما جاء الشرطي مسرعًا ردًا على صرخاتي المتوسلة لطلب النجدة، اعتقدت بصدق أن محنتي قد انتهت، إلا أن كلماته القلقة: «هل كل شيء على ما يرام يا سيد أنجيل؟» - أخبرتني خلاف ما شعرت به.

أكد سلوكي في تلك اللحظة ما كان جاك يود فعله؛ أن يخطِر الشرطة المحلية قبل مدة أن زوجته لديها تاريخ من المشكلات العقلية وكانت عرضة للتسبب في خلق اضطرابات في الأماكن العامة، حيث غالبًا تتهمه بالاحتفاظ بها كسجينة. بينما كان جاك يمسك بأطرافي المتهاوية بقبضة قوية مؤلمة، اقترح على الشرطي بينما لاحظ تمامًا الحشد الكبير الذي تجمع، أن يأتي ويرى المنزل الذي أسميته سجنًا. بينما كان الحشد ينظر ويتهامس عن المرض العقلي، ويرمقون جاك بنظرة تضامن. وصلت سيارة الشرطة، وحينما جلست في الخلف مع شرطية حاولت أن تهدئ من روعي وتكبح دموعي اليائسة بكلمات مهدئة، سأل الشرطي جاك عن العمل الذي قام به نيابة عن النساء المعنَّفات. بعد ذلك، بمجرد أن انتهى الأمر كله، وعدت إلى الغرفة التي لم أفكر في رؤيتها مجددًا قط. تأكدت حقيقة أنه وافق بسهولة على مرافقته في رحلة التسوق إزاء ما فعلته في تايلاند وسأفعل الأمر ذاته من جديد. حيث انفرجت أساريره حينما أوهمني بالاعتقاد أنني فزت، ثم انتزع انتصاري بعيدًا عني. لقد استمتع بتجهيز الأرضية لسقوطي، وفرح بدوره كزوج محب يتلقى المضايقة من زوجته، وابتهج بخيبة الأمل التي سحقتني. وعندما انتهت الزوبعة تمامًا، كان سعيدًا بمعاقبتي. ليس هذا وحسب، بل قدرته على التنبؤ بما كنت سأفعله تعني أنني محكوم عليَّ بالفشل منذ البداية. مرت ثلاثة أسابيع أخرى قبل أن أرى ميلي مجددًا، وتبرير جاك لهذا -أنني كنت مشغولة جدًا مع زيارتي للأصدقاء- جرحها وأربكها، وبخاصة أنني لم أستطع إخبارها بخلاف ذلك مع ملازمة جاك لنا باستمرار.

عقدت العزم على عدم خذلانها مرة أخرى، بدأت باتباع الطريق المستقيم حتى أتمكن من رؤيتها بانتظام. ولكن بدلًا من أن يرضى جاك، بدا أن خضوعي يضايقه. اعتقدت أنني أخطأت فهمه، ومع ذلك، حينما أخبرني بأنه

إزاء سلوكي الجيد سيسمح لي بالرسم مجددًا. شككت في نياته، خبأت عنه سعادتي ومنحته قائمة بما أحتاج إليه بفتور، ولم أجرؤ على تصديق أنه سيحضر لي بالفعل ما طلبته.

في اليوم اللاحق، جاء ومعه مجموعة متنوعة من ألوان الباستيل الزيتية، بالإضافة إلى لوح الرسم الخاص بي ولوحة قماشية جديدة.

قال حيث ابتهجت بها مثل هدية من الأصدقاء القدامى:

- ثمة شرط واحد فقط؛ يمكنني اختيار الموضوع.

عبست في وجهه:

- ماذا تقصد؟

- أن ترسمي ما أمليه عليك لرسمه، لا أكثر ولا أقل.

نظرت إليه بحذر محاولة وزن ما يقوله، وأتساءل عما إذا كانت لعبة أخرى من ألاعيبه.

قلت:

- يعتمد الأمر على ما تريد أن أرسمه.

- بورتريه.

- بورتريه؟

- أجل. لقد رسمتِ بعض البورتريهات من قبل، أليس كذلك؟

- القليل.

- جيد. لذا أود منك أن ترسمي واحدة لي.

- لك أنت؟

- نعم أم لا يا غريس؟

كل غرائزي طلبت مني أن أرفض. لكنني كنت في حاجة ماسة إلى العودة إلى الرسم، وكنت متشوقة لملء أيامي، زيادة عن القراءة. على الرغم من أن فكرة رسم جاك أثارت غضبي، فإنني أخبرت نفسي بأنه بالكاد سيقف لساعات طوال، على الأقل، لم أكن أتمنى هذا. قلت:

- فقط إذا كان بإمكاني العمل من صورة.

غمرتني الراحة لإيجاد حل.

- حسنًا، تم.

وبدأ يبحث في جيبه عن واحدة:

- هل تريدين أن تشرعي بالرسم الآن؟

- لمَ لا؟

بينما هززت كتفي. سحب صورة وأمسكها أمام وجهي قائلًا:

- كانت واحدة من عملائي، ألا تعتقدين أنها جميلة؟

انطلقت مني صرخة فزع، تراجعت عنه، لكنه تبعني بلا هوادة، مبتسمًا بسمة عريضة.

- تعالي يا غريس، لا تخجلي، ألقي نظرة جيدة عليها. على كلٍّ، سترين الكثير منها خلال الأسبوعين المقبلين.

- أبدًا (بصقت)، لن أرسمها أبدًا!

- بالطبع سترسمينها، وافقتِ، أتذكرين؟ وأنت تعرفين ماذا سيحدث إذا تراجعتِ عن كلمتك؟

حدقت إليه.

- هذا صحيح؛ ميلي. تريدين رؤيتها، أليس كذلك؟

قلت بصوت منقبض:

- ليس إذا كان هذا هو الثمن الذي ينبغي لي دفعه.

- تودين رؤيتها مرة أخرى، أليس كذلك؟ موقن من أنك لا تريدين أن تتركي ميلي لتتعفن في المصحة، أليس كذلك؟

صرخت:

- من الأفضل ألا تضع إصبعًا عليها!

- إذن من الأفضل أن ترسمي. إن مزقتِ هذه الصورة، أو شوهتِها بأي شكل من الأشكال، فسوف تدفع ميلي الثمن. إذا لم ترسميها على القماش، أو تتظاهري بأنك غير قادرة على ذلك، فسوف تدفع ميلي الثمن. سأتفقدك يوميًا لأرى مدى تقدمك، وإذا قررتِ أن تعملي ببطء شديد، فستدفع ميلي الثمن. وحينما تنتهين، سوف ترسمين أخرى، وأخرى، وأخرى، حتى أقرر أن لدي ما يكفي.

- يكفي من أجل ماذا؟

انتحبت، وأنا أعلم أنني انهزمت.

- سأريكِ يومًا ما. أعدك يا غريس، سأريك يومًا ما.

لقد بكيت ونشجت على اللوحة الأولى. أن تضطر إلى التمعن بوجه مصاب بكدمات ودماء ساعة إثر ساعة، يومًا تلو يوم، لتفحُّص أنفًا مكسورًا، وشفة مقطوعة، وعينًا سوداء بتفاصيل دقيقة ونقلها مجددًا على القماش، شيء لا يطاق تحمله. وفي كثير من الأحيان أمرض بشدة.

كنت أعلم في قرارة نفسي أنني إن رغبت في المحافظة على صحتي العقلية، حري بي العثور على طريقة لأتعامل مع الصدمة النفسية إزاء رسم شيء بشع للغاية، ووجدت الطريقة المثلى من خلال منح أسماء للنساء في اللوحات التالية، والنظر إلى ما وراء الضرر الذي أُلحِق بهم، تخيلت أشكالهن كما كانوا من قبل، تمكنت حينها من التعامل مع الأمر بطريقة أفضل. وقد ساعد ذلك أيضًا أن جاك لم يخسر أي قضية قط، لأن هذا يعني أن النساء في الصور -جميع عملائه السابقين- تمكنوا من الابتعاد عن أزواجهن المسيئين، مما غرس فيَّ تصميمًا أكبر للابتعاد عنه، إذ إنهن تمكنَّ من الفرار. فهل يمكنني ذلك أيضًا؟ لا بد أنه قد مضى على زواجنا نحو أربعة أشهر حينما قرر جاك أننا قضينا وقتًا كافيًا محاطين ببعضنا، ولمنع شكوك الناس، ينبغي لنا بناء علاقاتنا الاجتماعية كما السابق. كانت إحدى أولى مأدبات العشاء التي ذهبنا إليها في منزل موريا وجيلز، ولكن نظرًا لأنهما كانا صديقَي جاك في المقام الأول، فقد تصرفت تمامًا كما قال لي وتقمصت دور الزوجة المحبة.

أصابني هذا بالغثيان، لكنني أدركت أنه إذا لم يبدأ في الوثوق بي، فسأبقى في غرفتي إلى أجل غير مسمى، وستقل فرصي في الهروب بشكل مضاعف.

علمت أنني فعلت الأمر الصائب، حينما أخطرني، بعد مدة وجيزة من ذلك اليوم، أننا سنتناول الطعام مع زملائه. كان اندفاع الأدرينالين الذي شعرت به عند سماع أنهم كانوا زملاء وليسوا أصدقاء كافيًا لإقناعي بأنها ستكون فرصة مثالية للابتعاد عنه، لأنهم كانوا على الأرجح يصدقون قصتي أكثر من أصدقائه الذين عَميَت أبصارهم عن رؤية حقيقة جاك. وبجرعة قليلة من الحظ، قد يعني نجاح جاك في الشركة أن ثمة شخصًا ما ينتظر الفرصة لطعنه في ظهره. علمت أنه يتعين عليَّ أن أكون عبقرية؛ لقد غرس جاك مبادئ التعامل في حضور الآخرين في أعماقي: لا أتصرف بمفردي، ولا حتى الذهاب إلى المرحاض، ولا أتبع أي شخص إلى غرفة أخرى، حتى لو كان الأمر يتعلق بحمل الأطباق فقط، وعدم إجراء أي دردشة خاصة مع أي شخص، أبدي على مظهري السعادة والرضا وحسب. استغرق الأمر مني بعض الوقت لأفعل ما ينبغي لي فعله. بدلًا من محاولة طلب النجدة أمام جاك، الذي كان متمرسًا في التصدي لاتهاماتي، قررت أنه سيكون من الأفضل محاولة إرسال رسالة إلى شخص ما، لأنه ثمة فرصة تبعدني عن الحكم علي كمجنونة هستيرية إذا صغتُ كل شيء في رسالة مكتوبة.

في الواقع، تحت ضوء تهديدات جاك، بدا أن هذا هو الطريق الأكثر أمانًا للمضي قدمًا. سوى أن العثور على قطعة ورق صغيرة بدا مستحيلًا. لم أستطع سؤال جاك بشكل صريح لأنه كان سيشعر بالريبة على الفور ولم يكن سيرفض فقط، بل كان سيراقبني مثل الصقر حينها. خطرت لي فكرة قص الكلمات ذات الصلة من الكتب التي كان يزودني بها بشكل مدروس في منتصف الليل. باستخدام مقص الأظافر الصغير من حقيبة الحمام الخاصة بي، أقص كلمات: «من فضلك»، «مساعدتي»، «أنا»، «محتجزة»، «اتصل»، «بـ»، «الشرطة». لقد بحثت عن طريقة لترتيبهم نوعًا ما. في النهاية، وضعت أقصوصة فوق الأخرى، بدءًا من «من فضلك» وانتهاءً بـ «الشرطة». صارت كومة صغيرة جدًّا، لدرجة أن احتمالية فهمها على أنها مجرد لولب من الورق،

جعلني أقرر بأن أحافظ عليها بأحد مشابك شعري، والتي كانت لدي في حقيبة المساحيق. بالتأكيد، حسب اعتقادي، فإن أي شخص وجد مشبك شعر يحمل حزمة من قطع صغيرة من الورق معًا سيكون فضوليًّا بما يكفي للنظر إليها. بعد الكثير من التفكير، لأنني لم أستطع تحمل عبء فتحها أمام جاك، قررت أن أترك رسالة صرخة طلب النجدة في مكان ما على المائدة فور انتهاء العشاء، حتى يمكن العثور عليها بعد مغادرتنا.

لم تكن لدي أي فكرة عن المكان الذي سنتناول فيه العشاء، لكنني دعوت أن يكون في منزل شخص ما، وليس في مطعم، حيث كان احتمال خطر التقاط الورق من على مفرش المائدة مع المخلفات الأخرى أعلى. في هذه الحالة، لم يواتِني تخطيطي الدقيق إلى فعل أي شيء إزاء ذلك. لقد كنت قلقة للغاية بشأن المكان الذي يجب أن أترك فيه حزمة الكلمات الثمينة، لدرجة أنني نسيت أنني يجب أن أتخطى مشكلة جاك أولًا. لم أكن قلقة للغاية حتى جاء ليأخذني، وبعد أن تأملني لبرهة حينما انحنيت للبس حذائي وحمل حقيبتي، سألني لم التوتر هذا. على الرغم من أنني تظاهرت بأن السبب هو أنني سألتقي بزملائه، فإنه لم يصدقني، وبخاصة أنني قابلت بالفعل معظمهم في حفل زفافنا. فتش ملابسي، وأرغمني على إخراج ما في جيبي، ثم طلب مني أن أعطيه حقيبتي. غضبه كان متوقعًا حينما وجد مشبك الشعر، وطبق عقوبته تمامًا كما وعدني. نقلني إلى غرفة الصندوق، التي جردها من كل وسائل الراحة، وبدأ في تجويعي.

# الحاضر

عند الاستيقاظ في القبو، يتوق عقلي على الفور إلى ضوء الشمس لأتثبت من ساعتي الداخلية، أو شيء يجعلني أشعر أنني أخيرًا لم أفقد عقلي بعد. لا أستطيع سماع جاك، لكني أشعر أنه قريب، أستمع. فجأة يتأرجح الباب مفتوحًا.

- عليكِ أن تتحركي أسرع إذا رغبتِ أن نكون هناك في الوقت المناسب لأخذ ميلي لتناول طعام الغداء.

يهتف بينما أقف على قدمي ببطء. أعلم أنني يجب أن أشعر بالسعادة لأننا ذاهبون، ولكن الحقيقة هي أن رؤية ميلي تزداد صعوبة مع كل زيارة نقوم بها. منذ أن أخبرتني بأن جاك دفعها إلى نهاية الدرج، انتظرت مني أن أفعل شيئًا حيال ذلك. أشعر بالرهبة من اليوم الذي ستتمكن فيه فعليًّا من إقناع جاك بأخذنا إلى الفندق، لأنني لا أريد أن أخبرها بأنني لم أجد حلًّا بعد. في ذلك الوقت، لم يخطر ببالي مطلقًا أنني سأظل سجينة بعد عام من الآن. كنت أعلم أنه سيكون من الصعب الابتعاد عنه، سوى أنه ليس من المستحيلات.

والآن، لم يتبقَ سوى القليل من الوقت. أربعة وسبعون يومًا. إن التفكير بأن جاك بدأ يحسب بالعد التنازلي للأيام حتى تأتي ميلي لتعيش معنا، مثل طفل ينتظر بفارغ الصبر عيد الميلاد، يجعلني هذا أشعر بالمرض. كالعادة، انتظرت ميلي وجانيس على المقاعد. تحدثنا لبعض الوقت، تسألنا جانيس عما إذا كنا قد استمتعنا في عطلة نهاية الأسبوع الماضي، وزيارتنا للأصدقاء في عطلة نهاية الأسبوع التي سبقت ذلك، وترك جاك الأمر لي لابتكار أننا استمتعنا كثيرًا في منطقة بيك حيث يعيش أصدقاؤنا. جاك، الفاتن دومًا، يخبر جانيس بأنها كنز لأنها سمحت لنا بالاستفادة من الوقت القصير الذي تبقى لنا بالعيش بمفردنا قبل أن تأتي ميلي للعيش معنا. وترد جانيس بأنها

لا تمانع على الإطلاق، وأنها تعشق ميلي، ويسعدها مؤازرتنا متى احتجنا إليها. وتضيف أنها ستفتقدها حينما تغادر، وتكرر وعدها بالمجيء لزيارتنا كثيرًا، وهو ما سيحرص جاك على ألا تفعله أبدًا.

نتحدث عن أحوال ميلي، وتطمئننا جانيس أنه بفضل الحبوب المنومة التي وصفها الطبيب، أصبحت تنام جيدًا في الليل، مما يعني أنها عادت إلى طبيعتها الطبيعية خلال النهار. قالت باعتذار وهي تنظر إلى ساعتها:

- آسفة، أخشى أنني سأضطر إلى الذهاب الآن. ستقتلني أمي إذا تأخرت على الغداء.

يقول جاك:

- نحن بحاجة إلى الذهاب أيضًا.

تسأل ميلي بلهفة:

- هل يمكننا الذهاب إلى الفندق اليوم من فضلك؟

يفتح جاك فمه، ولكن قبل أن يخبرنا بأنه سيأخذنا إلى مكان آخر، تتدخل جانيس.

- ميلي أخبرتني بكل شيء عن الفندق ومدى إعجابها به، ووعدَت بإخبارنا عنه في الصف يوم الاثنين، أليس كذلك يا ميلي؟

أومأت ميلي بحماس.

- لقد أخبرتْنا بالفعل عن المطعم القابع على ضفاف البحيرة، الذي يقدم البان كيك، لذلك نتطلع إلى معرفة المزيد عن هذا المطعم (وتضيف) إن السيدة جودريتش تفكر في اصطحاب الموظفين إلى الفندق لتناول عشاء نهاية العام الدراسي، لذا فقد كلفت ميلي بكتابة تقرير عنه.

تؤكد ميلي قائلة:

- أحتاج إلى الذهاب إلى الفندق من أجل السيدة جودريتش.

يقول جاك مخفيًا انزعاجه بابتسامته لطف ترتسم على محياه:

- إذن هيا إلى الفندق.

تتكلم ميلي بسعادة طوال فترة الغداء، وحينما انتهينا، صدحت بصوتها أنها بحاجة إلى الذهاب إلى دورة المياه.

يقول جاك:

- هيا إذن.

تهب واقفة:

- غريس، تعالي معي.

قال لها جاك بحزم:

- ليست هناك حاجة إلى اصطحاب غريس معك، إنك قادرة تمامًا على الذهاب بمفردك.

تعلن ميلي بصوت عالٍ:

- إنني حائض، وأحتاج إلى غريس.

يرد عليها مكرَهًا:

- طيب (يدفع كرسيه للخلف)، سآتي أيضًا.

تقول ميلي بشكل عدائي:

- جاك غير مسموح به في دورات مياه السيدات.

- قصدتُ أنني سأوصلكما إلى دورة المياه.

يتركنا في نهاية الممر، ويحذرنا ألا نتأخر. ثمة سيدتان في المغاسل تتجاذبان أطراف الحديث بسعادة وهما يغسلان أيديهما، وتقفز ميلي من قدم إلى أخرى، تنتظرهما بفارغ الصبر ليغادرا.

أنبش داخل عقلي باحثة عن أمر أخبرها به، أمر سيجعلها تعتقد أن لدي حلًّا في ذهني، ومتعجبة من الطريقة التي ابتكرتها لجعل جاك يحضرنا إلى هنا من خلال وضع جانيس والسيدة جودريتش في المسألة. قلت لها فور أن أُغلق الباب خلف النساء:

- ما فعلته ذكاء منك يا ميلي.

قالت بصوت خافت:

- بحاجة إلى التحدث.

- ماذا؟

همست:

- ميلي لديها شيء من أجل غريس.

تضع يدها في جيبها وتخرج منديلًا وتقول:

- سر.

وسلمته لي. في حيرة أفتح المنديل، متوقعة أن أجد حبة أو زهرة، لأجد نفسي أنظر إلى حفنة من الحبوب البيضاء الصغيرة.

عبستُ قائلة:

- ما هذه؟

- للنوم، أنا لا آخذها.

أقول لها:

- لمَ لا؟

تجيبني مقطبة حاجبيها:

- لست بحاجة إليها.

أشرح لها بصبر:

- لكنها تساعدكِ على النوم بشكل أفضل.

- أنا أنام جيدًا.

أصر على كلامي:

- أجل، إنك تنامين جيدًا بسبب الحبوب، ومن قبل استخدامها، لم تنالي على نوم جيد، أتذكرين؟

هزت رأسها قائلة:

- أنا أتظاهر.

- تتظاهرين؟

- أجل. أنا أتظاهر بأنني لا أستطيع النوم.

أنظر إليها في حيرة.

- لماذا؟

تغلق يدي على المنديل وتقول:

- من أجلك يا غريس.

- حسنًا، هذا لطف منك يا ميلي، لكنني لست بحاجة إليها.

- بلى يا غريس إنك تحتاجين إليها، لجورج كووني.

- جورج كلوني؟!

- أجل جورج كووني رجل سيئ، جورج كووني دفعني إلى أسفل الدرج. جورج كووني يجعل غريس حزينة، إنه رجل سيئ، رجل سيئ للغاية.

حان دوري الآن لأهز رأسي.

- أخشى أنني لا أفهمك.

تقول ميلي بإلحاح:

- بلى تفهمين. الأمر بسيط يا غريس. نحن نقتل جورج كووني.

# الماضي

في الشهر التالي، عدنا إلى تايلاند، لكنني لم أجرؤ على محاولة الهروب تارة أخرى. كنت أعلم أنه إن فعلت هذا، فسيكون جاك قادرًا على ترتيب موتي في أثناء وجودنا هناك. ذهبنا إلى نفس الفندق، وكانت لدينا نفس الغرفة، واستقبلنا نفس المدير. فقط كيكو كانت في عداد المفقودين. قضيت أيامي كما قضيتها من قبل، مقفل عليَّ في الشرفة أو الغرفة، ولم يُسمح لي إلا بالتقاط الصور. أصبحت تجربتي في الجولة الثانية أسوأ بسبب معرفتي أنه حينما لم يكن جاك معي، كان مبتهجًا بخوف شخص آخر. لم أكن أعرف كيف يحصل على جولات الاستمتاع هذه، لكنني افترضت أنه يستمتع بجولاته من خلال القيام بأمر لا يستطيع فعله في إنجلترا، وتذكرت القصة التي أخبرني بها عن والدته، تساءلت عما إذا كان قد جاء إلى تايلاند لضرب النساء. بدا من غير المعقول أنه سيكون قادرًا على الإفلات من العقاب، لكنه أخبرني ذات مرة بأنه في تايلاند ما دام لديك المال، يمكنك شراء أي شيء؛ حتى الخوف. ربما كان هذا هو السبب. بعد أسبوع من عودتنا، قمت بتحطيم قنينة نبيذ على رأسه في المطبخ، قبل نصف ساعة من وصول ديان وآدم لتناول العشاء، على أمل أن أذهله لفترة كافية لألوذ بالفرار. لكنني لم أضربه بشدة بما فيه الكفاية، وإزاء حنقه الشديد، تمالك أعصابه لفترة كافية ليتصل على الضيوف لإلغاء موعد الزيارة، وعذره أن الشقيقة أصابتني فجأة. حينما أغلقَ سماعة الهاتف، استدار نحوي، وكنت خائفة على ميلي فقط، لأنه لم يتبقَ شيء يمكنه أن يحرمني منه. حتى حينما أخبرني بأنه سيريني غرفة ميلي، ما زلت لا أخاف على نفسي، لأن كل ما افترضته هو أنه جردها من أثاثها الجميل، كما فعل لي. دفعني إلى الرواق، لاويًا ذراعي بطريقة مؤلمة خلف ظهري، شعرت

بالحزن الشديد نحو ميلي، لأنها كانت الغرفة التي طالما حلمت بها. لكن بدلًا من اصطحابي إلى الطابق الأول، فتح الباب المفضي إلى الطابق السفلي.

صارعته بجنون كي أفلت منه ولا أنزل الدرج، بيد أنني لم أكن بقوته، فقد تلجلجت قوته الشديدة إزاء الغضب. بعدئذ لم يكن لدي أدنى فكرة عما ينتظرني. فقط حينما جرني إلى ما وراء غرفة الخدمات حيث احتفظ بمولي، عَبر ما بدا أنه مخزن، وتوقف أمام باب حديدي مخفي بذكاء خلف كومة من الأرفف، بدأت أشعر بالرعب الحقيقي. لم تكن نوعًا من غرف التعذيب كما كنت أخشى في البداية، لأنه لم تكن ثمة أدوات تعذيب. كانت الغرفة بأكملها خالية من الأثاث، بما في ذلك الأرضية والسقوف، وقد تم طلاؤها باللون الأحمر الدموي. كان الأمر فظيعًا، مخيفًا، لكنه لم يكن الشيء الوحيد الذي جعلني أصرخ في محنة. صرخَ:

- ألقي نظرة جيدة. آمل أن تُقدِّرَ ميلي ذلك بقدر ما أُقدِّره، لأن هذه هي الغرفة التي ستقيم فيها، وليس غرفة النوم الصفراء الجميلة في الطابق العلوي (لقد صدمني بشدة). انظري حولك وأخبريني ما مدى الخوف الذي ستكون عليه ميلي.

شعرت بعيني تدور داخل رأسي، بينما كنت أحاول أن أنظر في أي مكان آخر غير الجدران، حيث عُلِّقَت الصور التي أجبرني على رسمها له.

- أتعتقدين أن اللوحات ستروق لميلي؟ والتي رسمتِها خصيصى لها. أيهما تعتقدين أنها ستكون المفضلة عندها؟ هذه؟

أحس بيده على مؤخرة رأسي، دفع وجهي بقوة صوب إحدى الصور.

- أو هذه؟

جرني صوب جدار آخر.

- يا له من عمل يدوي جميل، ألا تظنين ذلك؟

أئن، وأغلق عيني بشدة. وتابع:

- لم أكن أنوي أن أريك هذه الغرفة حتى الآن، ولكن الآن يمكنك تجربتها لتعرفي حجمها. لم يكن عليكِ حقًا أن تضربيني بتلك القنينة.

دفعني دفعة أخيرة، ثم خرج من الغرفة، تاركًا الباب يغلق من عقبه. ركضت صوب الباب. حينما رأيت أنه لم يكن هناك أي مقبض، بدأت أطرق بقبضتي، وأصرخ عليه، ليسمح لي بالخروج.

- اصرخي كما تشائين.

دخل صوته عبر الباب:

- لا تعرفين كم يمتعني هذا.

غير قادرة على التحكم بخوفي؛ أنه لن يسمح لي بالخروج أبدًا، وأنه سيتركني لأموت هنا، أصبحت في حالة هستيرية. في غضون ثوانٍ، وجدت أنني لا أستطيع التنفس، وحينما بدأت أتنفس بصعوبة، دفعني الألم في صدري للانحناء على ركبتي. أدركت أنني جالسة أعاني نوبة هلع، حاربت لأستعيد السيطرة على تنفسي، غير أن صوت جاك وهو يضحك بحماس من الجانب الآخر من الباب زاد من محنتي.

تتدفق الدموع من عيني، ولا أستطيع التقاط أنفاسي، اعتقدت بصدق أنني سأموت. كان التفكير في أنني سأترك ميلي تحت رحمة جاك أمرًا فظيعًا حقًّا. خطرت لي صورة لها وهي ترتدي قبعتها الصفراء ووشاحها، تشبثت بالصورة في ذهني، وأردت أن تكون آخر شيء أتذكره. مرت فترة قبل أن ألاحظ أن الألم في صدري قد خف، مما جعلني أتنفس بعمق. لم أجرؤ على التحرك في حال قد تبدأ المعاناة مرة أخرى، وعوضًا عن الحركة بقيت كما أنا، ورأسي على ركبتي، وركزت على تنفسي. منحني ذلك راحة بأنني ما زلت على قيد الحياة، وأنه لا يزال بإمكاني إنقاذ ميلي، قوة التفكير في هذا جعلتني أرفع رأسي، لأبحث عن طريقة أخرى للخروج من الغرفة. لكن لم تكن هناك حتى نافذة صغيرة. بدأت في البحث في الجدران، ومررت يدي عليها، أزحت اللوحات جانبًا، على أمل العثور على مفتاح من شأنه أن يفتح الباب.

- إنك تضيعين وقتك.

يهدر صوت جاك داخل الغرفة، مما جعلني أقفز من مكاني.

- لا يمكن فتحه من الداخل.

مجرد معرفتي أنه كان على الجانب الآخر من الباب، جعلني أبدأ في الارتعاش مجددًا.

- ما مدى إعجابك بالغرفة؟ أتمنى أنك تستمتعين بوقتك في الداخل، بقدر استمتاعي وأنا أستمع إليك من هنا. لا أطيق الانتظار لأسمع رأي ميلي بالغرفة، آمل أن تكون أكثر تعبيرًا منك.

استلقيت فجأةً منهكةً، تمددت على الأرض ثم كوَّرت نفسي ككرة لولبية، وأدخلت أصابعي في أذني حتى لا أضطر إلى الاستماع إليه. دعوت الرب لأنام، سوى أن الغرفة ظلت مضاءة إضاءة مشعة، مما جعل النوم مستحيلًا. بينما كنت مستلقية، حاولت ألا أفكر في إمكانية أنه لن يسمح لي بالخروج من الجحيم الذي خلقه لميلي، وحينما تذكرت كيف كنت أصدقه تمامًا بشأن غرفة نوم صفراء جميلة، وكيف كنت موقنة بأن ثمة مكانًا ما في أعماقه سيبدي ذرة من حياء، انتحبت على غبائي.

# الحاضر

أحدق إلى ميلي، ولا تزال الحبوب في راحة يدي، أتساءل عما إذا كان ما سمعته منها صحيحًا

- ميلي، لا نستطيع.
- بلى نستطيع، ويجدر بنا فعل هذا، (أومأت برأسها بإصرار قائلة) جورج كووني رجل سيئ.

خائفة من أي منحنى ستتجه إليه المحادثة، وفي الآن ذاته مدركة أن جاك ينتظر في الخارج. دسست الحبوب داخل المنديل المطوي مرة أخرى.

أهمس لها:

- أظن أنه ينبغي لنا التخلص من هذه الأشياء في الحمام يا ميلي. لا يمكننا فعل أي شيء سيئ يا ميلي.

تقول بحزن:

- يفعل جورج كووني شيئًا سيئًا، جورج كووني رجل سيئ، رجل سيئ للغاية.
- أجل أعرف.

يغضن العبوس جبينها.

- لكنني سآتي للعيش مع غريس قريبًا.
- أجل، هذا صحيح، ستأتين للسكن معي قريبًا.
- لكنني خائفة، لن أعيش مع رجل سيئ، لذلك نقتل الرجل السيئ، نقتل جورج كووني.
- آسفة يا ميلي، لا يمكننا قتل أي شخص.

تقول بسخط:

- أجاثا كريستي تقتل الناس. في رواية **ثم لم يبق أحد**، يموت الكثير من الناس، وتموت السيدة روجرز من الأدوية المنومة.

أقول بحزم:

- ربما تفعل ذلك. لكنها مجرد قصص يا ميلي، أنت تعرفين ذلك.

وعلى الرغم من إخباري لها بأنه لا يمكننا فعل ذلك، فإن ذهني يسابق الأحداث، متسائلة عما إذا كان هناك ما يكفي لتُدخِل جاك في إغماءة لفترة كافية حتى نتمكن من الهروب. يخبرني المنطق السليم بأنه حتى لو كان ثمة ما يكفي من الحبوب، فإن فرص التمكن من تسميمه بها تكاد تكون معدومة. ولكن على الرغم مما قلته لميلي للتو، أعلم أنني لن أتمكن أبدًا من التخلص منها في المرحاض لأنها تمثل أول بصيص أمل يشع منذ وقت طويل.

غير أنني أعلم أيضًا أنه أيًا كان ما أقرر فعله بها -إن وُجِدَ شيء أساسًا- لا يمكن لميلي أن تشارك معي. أقول لها، بينما أسير صوب المرحاض:

- سأتخلص منها بسحب السيفون فتذهب بعيدًا.

حينما سحبت السيفون، سرعان ما حشوت المنديل في كمي، سوى أن الذعر يشلني لإدراكي أن جاك سيرى الانتفاخ ويسأل ما هذا الشيء، أسحبها من كمي، وأنظر في نفسي من الأعلى إلى الأسفل، أتساءل أين يمكنني إخفاؤها، فلا يمكنني وضعها في حقيبتي، لأن جاك يتفقدها دومًا قبل أن أرجِعها محلها. وخيار دسها في حمالة الصدر أو اللباس الداخلي أمر مستبعد، لأنه يراقبني دائمًا وأنا أخلع ملابسي. أنحني وأزلق المنديل بين أصابع قدمي بإحكام.

يصعب انتعال الحذاء الآن، وأعلم أنه سيضايقني أكثر بمجرد أن أبدأ بالمشي، لكنني أشعر بأمان أن الحبوب مخبأة في قدمي أكثر من أن تكون مدسوسة في جسدي. لا أعرف إطلاقًا كيف سأتمكن من إخراجها من حذائي إذا حان وقت استخدامها. سوى أن شعور الراحة يكتسحني لمجرد معرفة أنها في حوزتي.

تهتف ميلي بشراسة وهي تخرج:

- غريس غبية. لا يمكنني قتل جورج كووني الآن!

أوافقها:

- هذا صحيح يا ميلي، لا نستطيع.

- لكنه رجل سيئ.

أبين لها:

- أجل، لكن لا يمكننا قتل الأشرار، إنه مخالف للقانون.

- إذًا أخبري الشرطة أن جورج كووني رجل سيئ!

- هذه فكرة جيدة يا ميلي (أقول لها محاولة تهدئة انفعالاتها)، سأخبر الشرطة.

- الآن!

- لا، ليس الآن، لكن قريبًا.

- قبل أن أعيش معك؟

- أجل، قبل أن تأتي للعيش معي.

- ستخبرين الشرطة؟

أخذت يديها في يدي.

- هل تثقين بي يا ميلي؟

أومأت برأسها على مضض.

- إذن أعدك بأنني سأجد حلًّا قبل أن تأتي للعيش معي.

- وعد؟

أقول لها بينما أحبس دموعي:

- نعم أعدك. والآن يجب أن تعديني بشيء. يجب أن تعديني بأنك ستكتمين سرنا.

تخبرني بينما لا تزال مستاءة مني:

- أنا أحب جاك ولكني لا أحب جورج كووني.

- أجل، هذا صحيح يا ميلي. والآن لنخرج ونرى جاك. ربما سيشتري لنا الآيس كريم.

سوى أنه حتى التفكير في الآيس كريم؛ أحد الأشياء المحببة عند ميلي، لا يكفي لرفع معنوياتها. حينما أفكر في مدى فخرها وحماستها عندما أعطتني الحبوب المغلفة بعناية، وكم كانت ذكية في إيجاد حل للوضع اليائس الذي نمر به، أمقت أنني لا أستطيع أن أخبرها كم هي مذهلة. ولكن على الرغم من زيادة الأمل الذي شعرت به حينما وضعت الحبوب داخل حذائي، لا أعلم كيف سأتمكن من استخدامها. المشي صوب المنتزه القريب، وعربة الآيس كريم المتوقفة هناك، جميعها غير مريحة للغاية بسبب أصابع قدمي المسحوقة داخل حذائي، حيث إنني أعرف أنني لن أتمكن من قضاء الساعات الثلاثة القادمة في التجول.

تبدو ميلي حزينة جدًّا، وأخشى أن يخمن جاك أن خطبًا ما حدث بيننا خلال مدة وجودنا في دورة المياه، ويبدأ وقتها في طرح الأسئلة التي لن تعرف كيف تجيب عنها. في محاولة لإلهائها، أسألها عن نكهة الآيس كريم التي ستختارها، تهز كتفيها بغير حماس، يلوح لي في نظرة جاك المتفحصة أنه حتى لو لم يلاحظ ذلك من قبل، فإن تغيير معنوياتها قد لفت انتباهه الآن. أبحث عن طريقة لإلهائه، ولإضفاء البهجة على مزاج ميلي، أقترح الذهاب إلى السينما، وهو ما سيريحني من قدمي.

يسأل جاك بينما يلتفت نحو ميلي:

- هل تودين ذلك؟

ترد عليه بلا حماس:

- أجل.

- إذن لنذهب. لكن أولًا يا ميلي، أريد أن أعرف ما حدث في دورة المياه.

- ماذا تقصد؟

تفاجأت، وانتصبت ميلي في موقف دفاعي.

يقول بعقلانية:

- لأنكِ كنتِ سعيدة حينما ذهبتِ إلى دورة المياه، ثم كنتِ حزينة حين خروجك.

- بسبب الدورة.

- لقد كنتِ تعرفين ذلك قبل دخولك إلى دورة المياه. تعالي يا ميلي، أخبريني ما الذي حدث وضايقك.

نبرة صوته مشجعة ومقنعة، حيث أشعر بتردد ميلي، وأحس بوخز الخوف يقرصني. ليس لأنها ستفصح فجأة لجاك عن حبوب النوم، لكنه بارع في التلاعب بأذهان الناس، سأكون غبية إن لم أخَف، وفي الحالة المزاجية التي ألمت بها، فمن المرجح أن تتهاوى أمامه، كما أنها غاضبة مني. أدرت رأسي تجاهها، على أمل أن أتمكن من تحذيرها بعيني لتوخي الحذر، سوى أنها ترفض النظر إلي.

تهز ميلي رأسها وتقول:

- لا أستطيع.

- لم لا؟

- هو سر.

يقول جاك بأسف:

- أخشى أنه لا يُسمح لك بكتم الأسرار، فلماذا لا تخبرينني؟ هل قالت غريس شيئًا أزعجك؟ يمكنك إخباري يا ميلي. في الواقع، عليك أن تخبريني.

تجيبه باستهجان:

- إنها تقول لا.

- لا؟

- أجل.

- فهمت. وما الشيء الذي رفضته؟

تقول بقسوة:

- قلتُ لها اقتلي جورج كووني وقالت لا.

- مضحك جدًّا يا ميلي.

- هذا صحيح.

- الأمر يا ميلي، حتى لو كان ما قلتِه صحيحًا، لا أعتقد أنه هو سبب مزاجك السيئ. أعلم أنك لا تحبين جورج كلوني، لكنك لست غبية، فأنت تعلمين جيدًا أن غريس لا يمكنها قتله. لذلك سوف أسألك مرة أخرى. ما الذي قالته غريس وضايقك؟

أبحث في ذهني بسرعة عن شيء يبدو حقيقيًّا.

- إذا كان من الواجب أن تعرف يا جاك، استفسرَت عما إذا كان بإمكانها المجيء لرؤية المنزل، وقلت لا.

قلتها بنبرة ساخطة، فيستدير نحوي، مدركًا تمامًا سبب رغبتي في إبعاد ميلي عن المنزل، ثم يستفسر:

- أهذا صحيح؟

تؤكد ميلي على قولي:

- أريد أن أرى غرفة نومي.

وهي تنظر إليَّ لتُظهِرَ لي أنها فهمت ما أردتُ أن تقوله. يقول جاك بانتعاش:

- إذن هذا الذي سيحدث (كما لو أنه يمنحها أمنية). أنت على حق يا ميلي، يجب أن يُسمح لك برؤية غرفتك. في الواقع، ستحبينها كثيرًا لدرجة أنك قد تطلبين الانتقال للعيش معنا في الحال، بدلًا من العودة إلى المدرسة. ألا تعتقدين أن هذا قد يكون هو الحال يا غريس؟

تستفسر ميلي:

- هل هي صفراء؟

- بالطبع هي كذلك (يبتسم جاك)، هيا، دعينا نذهب إلى السينما؛ لدي أمور كثيرة أفكر في فعلها.

في السينما، أجلس في الظلام، سعيدة لأن لا أحد يستطيع أن يرى الدموع التي تنهمر من عيني، حينما أدرِك مدى التهور الذي أوقعت نفسي فيه؛ بإخبار جاك أن ميلي طلبت رؤية غرفتها، لأنني لم أستطع التفكير في أي شيء آخر لأقوله، ربما أكون قد جلبت الخطر الذي ينتظرها. بعد ما أخبرتني به في دورة المياه، عن عدم رغبتها في العيش مع جاك، أشك في أنها ستطلب الانتقال للعيش معنا عاجلًا وليس آجلًا، كما اقترح جاك. لكن ماذا لو اقترح جاك ذلك بنفسه؟ بعد الملاحظة التي أدلى بها الليلة الماضية حول تعبه من الانتظار، فلن أتفاجأ منه. وما سيكون سبب الرفض؟ ما العذر الذي يمكن أن أتوصل إليه لإبقاء ميلي بأمان في المدرسة؟ حتى لو وجدت سببًا واحدًا، فلن يدعمني جاك أبدًا. ألقي نظرة سريعة عليه، على أمل أن أجده مستغرقًا في الفيلم، أو نائمًا، لكن مظهر الرضا الهادئ على وجهه يخبرني أنه أدرك بالفعل أن دعوة ميلي إلى المنزل قد تكون في صالحه. إن معرفتي بأنني وضعت شيئًا يحتمل أن يكون خطيرًا على ميلي يرعبني، وكذلك معرفة أنه ليس لدي طريقة لإيقافه. انفجرت ميلي، الجالسة على الجانب الآخر من جاك، ضاحكةً على شيء ما على الشاشة وأعلم وقتها أنه يجب علي إنقاذها، بأي ثمن أتحمله، من أساليب الترعيب التي في حوزة جاك لها. انتهى الفيلم، وعدنا إلى المدرسة. كانت جانيس موجودة هناك بالفعل وحينما نودعها تسأل إذا كنا سنأتي يوم الأحد التالي. يجيبها جاك بسلاسة:

- في الواقع فكرنا أن نأخذ ميلي إلى المنزل بدلًا من ذلك. لقد حان الوقت لترى أين ستعيش، ألا تعتقدين ذلك يا عزيزتي؟

أبين قائلة:

- اعتقدت أنك وددت الانتظار حتى تنتهي تمامًا منها، الانتهاء من كل العمل.

محاوِلة الحفاظ على صوتي ثابتًا، مرعوبة لأنه أخذ هذه الخطوة سريعًا.

- ستأتي بحلول نهاية الأسبوع.

تقول ميلي متهِمة:

- قلت إن غرفة نومي لم تنتهِ بعد.

يشرح جاك بصبر:

- كنت أمزح. أردت أن تكون زيارتك لنا في نهاية الأسبوع المقبل مفاجأة. إذن ما رأيك أن نَقلك في الساعة الحادية عشرة ونأخذك معنا؟ أتودين هذا؟

ترددت ميلي غير متأكدة مما ترغب في قوله.

- نعم يروق لي هذا (تقول ببطء)، أحب أن أرى المنزل.

ويذكرها جاك:

- وغرفة نومك.

تقول ميلي، وهي تتجه صوب جانيس:

- صفراء. لدي غرفة نوم صفراء.

تقول جانيس:

- حسنًا، ستخبرينني بكل شيء عنها حينما تعودين.

الخوف من أن ميلي قد لا تعود، وأن جاك سيتعلل بسيارة معطلة لإبقائها معنا، أو ببساطة سيخبر جانيس والسيدة جودريتش أنها طلبت البقاء معنا، يجعل من الصعب عليَّ التفكير بطريقة صحيحة. وإدراكًا لمدى ضيق الوقت الذي يجب أن أتحمله، فإن ذهني يتسابق في البحث عن طريقة، ليس لإيقاف الكرة من التدحرج، لأن الأوان قد فات على ذلك، ولكن لإبعادها عن مسارها. أسمع نفسي أقول لجانيس:

- لمَ لا تأتين معنا أيضًا؟ حينها يمكنك رؤية غرفة نوم ميلي بنفسك.

ميلي تصفق فرحة:

- جانيس تعالي معنا!

يعبس جاك:

- متأكد من أن جانيس لديها أمور أفضل للقيام بها في عطلة نهاية الأسبوع.

تهز جانيس رأسها:

- لا مشكلة، في الحقيقة أود أن أرى أين ستعيش ميلي.

- إذن هل يمكنك جلبها معك؟

سألتها على عجل قبل أن يختلق جاك سببًا لعدم حضور جانيس.

- طبعا! سيكون أمرًا سخيفًا إن قطعتما المسافة هذه كلها فقط لأخذها ثم تعودان مجددًا. هذا أقل ما يمكنني فعله، من فضلك هلا أعطيتني عنوانك؟

يجيبها جاك:

- سأكتبه لك، أمعك قلم؟

ترد عليه جانيس:

- لا ليس معي (بينما تنظر إلى حقيبتي قائلة) ألديك قلم؟

لا أتظاهر حتى بالنظر. أقول معتذرة:

- لا للأسف.

- لا مشكلة، سأبحث عن واحد وأعود.

وانصرَفت.

أدرك بشكل مؤلم أن عيني جاك تخترقني، فإنني غير قادرة على الإجابة عن الأسئلة التي أثارتها ميلي بحماسة تجاه زيارتها القادمة إلى منزلنا. إن غضبه من الطريقة التي دعوت بها جانيس أمر ملموس، وأعلم أنني سأضطر إلى التوصل إلى سبب ممتاز ومعقول يبرر لمَ فعلت ذلك. ولكن إذا أحضرت جانيس ميلي معها، فهناك افتراض غير مفصوح عنه؛ ميلي ستعود معها، وبالتالي ستصبح فرصة جاك للتلاعب بالأمور أقل، حتى ينتهي بها المطاف بالبقاء معنا. تعود جانيس بالقلم والورقة ويكتب جاك عنواننا ويسلمها لها. أراها تطوي الورقة وتضعها في جيبها، وربما لأنها اعتادت منا إلغاء المواعيد

في اللحظة الأخيرة، تؤكد أن الدعوة موجهة ليوم الأحد المقبل، 2 مايو. حينما سمعت التاريخ، باغتني شيء ما، أجد نفسي أتمسك بفكرة طرأت في ذهني بكل ما أستطيع.

- لقد فكرت للتو؛ لماذا لا نجعلها يوم الأحد الذي يليه؟ (تهاوى وجه ميلي، فألتفت إليها بسرعة). حينها سنتمكن من الاحتفال بعيد ميلادك الثامن عشر في نفس الوقت. إنه في اليوم العاشر من مايو (أذكِّرها). هل ترغبين في ذلك يا ميلي؟ هل ترغبين في حفلة في منزلك الجديد؟

تستفسر:

- مع كعكة؟ وبالونات؟

أقول لها بينما أعانقها:

- مع كعكة، وشموع، وبالونات، وكل شيء.

تهتف جانيس:

- يا لها من فكرة جميلة!

بينما تصرخ ميلي فرِحة.

- سيمنحنا التأجيل أيضًا الوقت لإنهاء المنزل بالكامل.

أضفت مبتهجة بالطريقة التي تمكنت من خلالها كسب المزيد من الوقت لنفسي:

- ما رأيك يا جاك؟

- أعتقد أنها فكرة ممتازة، كم أنت ذكية جدًّا في التفكير في الأمر. الآن، هل نذهب؟ لقد تأخر الوقت وثمة أمور نحتاج إلى فعلها الليلة، أليس كذلك يا عزيزتي؟

تستبد بي الرهبة بدلًا عن الفرحة التي شعرتُ بها قبل دقائق معدودة بعد أن تغلبتُ عليه بذكاء، كما أنه لا يشير إلا إلى شيء واحد وحسب. لا أريده أن يرى مدى تأثير كلماته عليَّ، أستدير وأقبِّل ميلي قبلة الوداع.

أهمس لها:

- سنراكِ الأحد القادم.

على الرغم من معرفتي بأن جاك لن يسمح لي بالحضور أبدًا بعد دعوتي لجانيس.

- في غضون ذلك، سأبدأ في تجهيز الأشياء لحفلتك. هل هناك شيء مميز تريدينه؟

تضحك:

- كعكة كبيرة، كعكة كبيرة جدًّا.

يعدُها جاك قائلًا:

- سأحرص على أن تصنع لكِ غريس أجمل كعكة في العالم.

- أحبك يا جاك.

تقولها بوجه مشرق. ثم أنهي جملتها:

- لكنكِ لا تحبين جورج كلوني.

يلتفت إلى جانيس:

- في الواقع، هي تكرهه كثيرًا لدرجة أنها طلبت من غريس أن تقتله.

تقول جانيس باستهجان:

- ليس مضحكًا يا ميلي.

أقول بهدوء:

- كانت تمزح معك يا جاك.

مع أنه يعرف تمامًا مدى كره ميلي للتوبيخ. تقول جانيس بنبرة حازمة:

- ومع ذلك، لا يجب أن تمزح بأشياء من هذا القبيل، هل تفهمين يا ميلي؟ لا أرغب في إخبار السيدة جودريتش.

تقول ميلي ووجهها متوهج:

- أنا آسفة.

تستمر جانيس في حديثها بحزم:

- أعتقد أنك تستمعين إلى كثير من قصص أجاثا كريستي، أخشى أنه لا مزيد منها لمدة أسبوع.

يهتف جاك بحسرة:

- ما كان يجدر بي قول أي شيء (بينما الدموع تغرق عينَي ميلي) لم أقصد أن أوقِعها في المتاعب.

أزدرد الغضب الذي كاد يندفع من فمي متفاجئة أنني كنت أفكر حتى في مناقضته. إنه أمر توقفت عن فعله منذ فترة طويلة، وبخاصة في الأماكن العامة. أقول لجانيس بدلًا من ذلك:

- حسنًا حري بنا الذهاب الآن. (أعانق ميلي عناقًا أخيرًا) يمكنكِ التفكير في الفستان الذي ترغبين في ارتدائه للحفلة وإخباري حينما أراك الأسبوع المقبل.

أقول لها ذلك على أمل تشجيعها. تسأل جانيس:

- في أي وقت تريداننا أن نصل في اليوم التاسع؟

قلت وأنا أنظر إلى جاك للتأكيد:

قريبًا من الواحدة؟ (يهز رأسه موافقًا) كلما كان مبكرًا كان ذلك أفضل، على ما أعتقد. علاوة على ذلك، لا أطيق الانتظار لأُرِيَ ميلي غرفتها. فلمَ لا تأتيان في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف؟

تبتسم جانيس:

- رائع.

بينما نحن في السيارة في طريقنا إلى المنزل، جلست أهيئ نفسي لكل ما هو آتٍ. يطبق الصمت على جاك لبرهة من الوقت، ربما لأنه يعرف أن غضبه أحيانًا وليس دائمًا يكون أسوأ من الحدث نفسه. أحدِّث نفسي بأنه لا يمكنني أن أترك الخوف يربك تفكيري، ويجدر بي التركيز بدلًا من إيجاد طريقة لصرف غضبه. فقررت أن أفضل طريقة هي جعله يعتقد أنني استسلمت ولا أمل، يكتسحني الفتور الذي ألم بي فترة الأشهر الماضية ورحت أعنِّف نفسي

بقسوة على تبعاته، صرت أشكر وجوده في هذه اللحظة، حيث جلست لا مبالية غير منفعلة.

يصدح بعدما يشعر أنني تصببتُ عرقًا كفاية:

- آمل أن تدركي مدى سوء فعلتك حينما دعوتِ جانيس.

أجيبه بإنهاك:

- السبب في أنني دعوت جانيس هو أنها ستتمكن من إبلاغ السيدة جودريتش بأن منزلنا الجميل مثالي لميلي. هل تظن حقًّا أن المدرسة التي عاشت فيها ميلي على مدى السنوات السبع الماضية ستودِعها دون أن تتحقق من المكان الذي ستسكن فيه؟

أومأ موافقًا:

- إنه لأمر نبيل منك. لكن الآن أتساءل؛ لمَ صرتِ نبيلة على الرغم من الظروف المحيطة؟

أقول بهدوء:

- لأنني تقبلتُ فكرة أنه لا يمكنني القيام بأي شيء لمنع أمر لا مفر منه. أعتقد أنني أدركت ذلك منذ مدة طويلة... (انتحبت واختنق صوتي) لمدة من الوقت، اعتقدت بصدق أنني سأتمكن من إيجاد مخرج. وحاولت، حاولت بشدة. لكنك كنت دائمًا تسبقني بخطوة واحدة.

- سعيد لأنك أدركتِ هذا. على الرغم من ذلك يجب أن أعترف أنني قد أفتقد محاولاتك الفاشلة للهروب مني. لقد كانت تسليني.

إحساس الوهج الصغير الذي ملأ قلبي إثر الرضا بعد أن تفوقت على جاك، لهو شعور ثمين. يمنحني الثقة في أنني أستطيع أن أعاود فكرة الهروب مرة أخرى، وأنني أستطيع تغيير الوضع السيئ إلى إيجابي. لا أعرف تمامًا أين سأجد الإيجابي في قدوم ميلي إلى المنزل لتناول طعام الغداء، ولكن على الأقل هو غداء وحسب. سعادتها الحتمية حينما ترى المنزل سيكون من الصعب تحملها خلال الساعات القليلة التي ستقضيها معنا. سأضطر إلى

تحملها لفترة أطول حينما أعرف ما يخبئه جاك لها، وعندما لا أعرف ما إذا كنت سأتمكن من إيجاد الحل الذي وعدتها به، فهذا أمر لا يمكن تصوره.

رغبة عارمة تجتاحني لخلع حذائي إزاء نبض أصابع قدمي من الألم، غير أنني لا أجرؤ إزاء الخوف من أنني لن أتمكن من انتعاله بسهولة حينما نصل إلى المنزل.

على ضوء زيارتها الوشيكة، شعرت بأهمية الحبوب التي أعطتني إياها ميلي. كنت قد خططت لتركها مطوية بأمان بين أصابعي، حتى يحين الوقت الذي يمكنني فيه استخدامها، لكن لم يعد لدي وقت. إذا كنتُ سأستخدمها في أقرب فرصة، يعني أنني بحاجة إلى إدخالها إلى غرفة نومي، حيث يسهل الوصول إليها. لكن مع مراقبة جاك لكل تحركاتي، سيكون الأمر شبه مستحيل. أخذت بقية الرحلة مستغرقة في التفكير فيما يمكنني فعله. الطريقة الوحيدة التي ستفيدني بها الحبوب هي إذا تمكنتُ من الحصول على ما يكفي منها لجعل جاك يفقد وعيه. ولكن إذا كان إدخالها إلى غرفة نومي يبدو مستحيلًا، فإن إدارة مفعولها يبدو أكثر صعوبة. خواطر تسيطر على عقلي، لا أستطيع أن أتطلع إلى هذا الحد بعيدًا، وأن كل ما يمكنني فعله هو اتخاذ خطوة واحدة في كل مرة، والتركيز بدلًا من ذلك على الحاضر.

نصل إلى المنزل، وبينما نخلع معاطفنا، يبدأ الهاتف في الرنين. يجيبه جاك، كما يفعل دائمًا، بينما أنتظر مطيعة، كما أفعل دائمًا. لن يكون من المفيد لي أن أصعد الدرج لأخذ الحبوب من حذائي لأن جاك سيتبعني ببساطة.

أسمعه يقول:

- إنها بخير اليوم، شكرًا لك يا إستير.

وبعد لحظة من الحيرة، عادت أحداث الأمسية السابقة إلى ذهني وأدركت أن إستير تتصل لترى كيف أحوالي.

توقف للحظة ثم قال:

- نعم، لقد دخلنا للتو في الواقع. أخذنا ميلي للخارج لتناول طعام الغداء (وقفة أخرى). سأخبر غريس بأنك اتصلتِ. أوه، بالطبع، سأعطيها السماعة الآن.

لا أُظهر دهشتي حينما سلمني جاك سماعة الهاتف، لكن في الحقيقة كنت متفاجئة، لأنه عادة يخبر أي شخص يطلب التحدث إلي بأنني غير موجودة، لكنني أفترض أنه كما أخبر إستير بأننا دخلنا للتو من الباب، لم يكن بإمكانه أن يقول إنني كنت أستحم أو نائمة في السرير. أقول بحذر:

- مرحبًا إستير.

- أعلم أنكِ دخلتِ للتو، لذا لن أبقيكِ طويلًا، لكنني أردت أن أرى كيف حالك، كما تعلمين، بعد الليلة الماضية...

قلت لها:

- أنا بخير، شكرًا لكِ، أشعر أنني أفضل كثيرًا.

تتابع قائلة:

- تعرضت أختي للإجهاض قبل أن تنجب طفلها الأول، لذا فإنني أعرف مدى الاستنزاف العاطفي.

أردِف مدركة أن جاك يستمع إلى ما أقوله:

- ومع ذلك، أتمنى ألا أكون قد أثَّرتُ عليكم بخيبة أملي. الأمر فقط أنه كان من الصعب سماع خبر حمل ديان.

تتعاطف إستير معي:

- بالطبع لا بد أنه كان كذلك، وآمل أن تعرفي أنه إذا احتجت إلى أي شخص تتحدثين إليه، فأنا موجودة.

- هذا لطف منك.

تستفسر:

- إذن كيف أحوال ميلي؟

من الواضح أنها حريصة على أن تضفي بعض الود إلى صداقتنا المتنامية، كنت قلقة دائمًا من طبعها الفضولي.

- إنها بخير، شكرًا لك على اتصالك، أخشى أنه ينبغي لي أن أذهب، جاك ينتظر عشاءه.

ثم قررت مواصلة الحديث كما لو كنت أعيشُ حياة طبيعية، فضحكتُ قائلة:

- متشوقة جدًّا. جانيس، مقدمة الرعاية لميلي، ستحضرها لتناول طعام الغداء يوم الأحد المقبل حتى تتمكن من رؤية المنزل أخيرًا. ستبلغ الثامنة عشرة من عمرها يوم الاثنين، لذا سنقيم لها احتفالًا صغيرًا.

تهتف إستير متحمسة:

- رائع! أتمنى أن تسمح لي أن أجلب بطاقة معايدة لها.

كنت على وشك إخبارها بأننا نفضِّل أن نكون نحن الأربعة فقط في زيارتها الأولى، ويمكنها رؤية ميلي في أي وقت بعد ذلك بمجرد أن تنتقل للسكن معنا، ولكن حينما اتضح لي أنها لن تتمكن من رؤية ميلي إذا سارت الأمور كما يريد جاك، فسيتعين إبقاؤها بعيدة عن الأنظار، لأنه كيف يمكنه السماح لأي شخص برؤيتها عندما ينوي إبقاءها أسيرة؟ وإذا لم يعد بإمكانه إيقاف الأشخاص الذين يسألون عن مكان ميلي، فسيقول بأنها تعاني أمراضًا وهمية، ومكوثها معنا لم ينجح، وأن ميلي كانت نظامية للغاية بحيث لا يمكنها التكيف للعيش معنا، ونتيجة لذلك، انتقلَت إلى حياة رائعة بمنزل جديد في الطرف الآخر من البلدة. وبكونها بعيدة عن الأنظار، سينسى الناس وجودها وتختفي سريعًا عن الأذهان. فأدركت أنه كلما زاد عدد الأشخاص الذين يقابلون ميلي، سيكون من الصعب إبقاؤها بعيدًا. لكن ينبغي لي أن أكون حذرة.

أجيبها أخيرًا:

- هذا لطف منك (وأبقيت نبرة صوتي تبدو مترددة) وأنت على حق، يجدر أن تكون حفلة ميلي مناسبة لعيد ميلادها الكبير. وأعرف أنه سيروق لها رؤية أطفالك.

هتفت إستير وبدت محرجة:

- يا إلهي، لم أقصد بالتأكيد أن أقترح عليك إقامة حفلة لميلي، أو أنه يجب عليك دعوة سيباستيان وأيسلينغ معًا! قصدت فقط أنني سآتي بمفردي ومعي بطاقة المعايدة.

- لمَ لا؟ لطالما رغبت ديان وآدم في مقابلة ميلي.

- بصراحة يا غريس، لا أظن أن أيًّا منا قد يرغب في التطفل.

تبدو إستير من نبرة صوتها مرتبكة أكثر من أي وقت مضى.

- لا، على الإطلاق. إنها فكرة ممتازة. أيناسبك الساعة الثالثة؟ حيث سنتمكن أنا وجاك آنئذ من الغداء مع ميلي وجانيس أولًا.

تقول إستير بشك:

- حسنًا إذا كنتِ متأكدة.

أجيبها بإيماءة من رأسي:

- أجل، سيكون الأمر ممتعًا لميلي.

- سأراكم في التاسعة إذن.

- أتطلع إلى ذلك. إلى اللقاء يا إستير، شكرًا على اتصالك.

تركتُ الهاتف، وجلستُ أهدئ من روعي. ينفجر جاك:

- ما كل هذا بحق الجحيم؟ هل حقًّا دعوتِ إستير إلى حفلة عيد ميلاد ميلي؟

أجاوبه بضجر:

- لا يا جاك، قررت إستير أنه ينبغي أن نقيم حفلة مناسبة لميلي، ثم دعت نفسها وأطفالها. أنت تعرف كيف طبعها؛ لقد أمرتني بدعوة آدم وديان أيضًا.

- لماذا لم ترفضي؟

- لأني لم أعد أطيق تمثيل هذا الدور الذي لم أعتده، حيث صار عليَّ أن أبدو مثالية، وأن أقول الشيء الصحيح، تمامًا كما كنت تريدني أن أفعل. غير أنه إذا كنت تريد المضي قدمًا وإلغاء دعوتهم، أرجوك افعل هذا بنفسك. قد يعتاد أصدقاؤنا أيضًا حقيقة أنهم لن يقابلوا ميلي أبدًا. ألم يقل مويرا وجايلز إنهما لا يطيقان الانتظار لرؤيتها؟ ما العذر الذي ستقدمه لهما يا جاك؟

- أعتقد أنني سأخبرهم بأن والديك أدركا فجأة مدى افتقادهما لابنتهما الجميلة وأنها ذهبت للعيش معهما في نيوزيلندا.

أرتعبُ من مدى تصميمه على إبقاء ميلي بعيدة عن الأنظار والقلوب، فأصمم حينها أن حفلة ميلي ستستمر.

أستفسر منه قائلة:

- وماذا لو قرر والداي المجيء في عيد الميلاد؟ ماذا ستفعل وقتها؟ إن أتيا متوقعين رؤية ميلي؟

- أشك كثيرًا في ذلك، وعلى أي حال، ربما تكون قد استسلمَت وماتت قبل ذلك الحين. على الرغم من أنني آمل ألا أن يحصل هذا؛ سيكون الأمر مزعجًا إذا عاشت فقط بضعة أشهر بعد كل المشكلات التي عانيتُها لكسبها.

استدرت بعيدًا بغتة حتى لا يرى كيف شحب وجهي، والأمر الوحيد الذي ثبَّت ساقيَّ هو الفزع المميت الذي انتهبَ قلبي. أقبض يدي وألاحظ أنه يضحك.

- إنك مستميتة لقتلي، أليس كذلك؟

أرد عليه غير قادرة على تمالك نفسي:

- أجل، في نهاية المطاف، لكن أولًا، أودك أن تعاني.

- أخشى أنك لن تحظي بالفرصة الكبيرة.

وبدا مستمتعًا بالفكرة. موقنة أنه ينبغي لي أن أواصل التركيز، وأختلق فرصًا لتقديم ميلي إلى أصدقائنا بطريقة يتذكرونها بها دومًا بدلًا من معرفتها من بعيد، حيثما ستتلاشى من أذهانهم سريعًا. موقنة أيضًا أنه إذا اشتبه جاك في أنني أرغب في الحفلة، فسيتصل على إستير ويخبرها بأننا نفضِّل أن تكون حفلة خاصة.

أهتف قائلة:

- فقط الغِ الحفلة يا جاك (أبدو وكأنني على وشك البكاء) لا توجد طريقة يمكنني من خلالها الجلوس والتظاهر بأن كل شيء على ما يرام.
- إذن فهو العقاب المثالي لدعوتك لجانيس في المقام الأول.

أناشده متوسلة:

- أرجوك يا جاك أرجوك.

يتنهد قائلًا:

- يروق لي توسلك، ولا سيما حينما يأتي بتأثير معاكس، الآن هيا إلى غرفتك، لدي حفلة أستعد لها، ربما لا تكون هذه الفكرة سيئة بعد كل شيء، على الأقل بمجرد أن يلتقي الناس بميلي، سيكونون أكثر إعجابًا بكرمي.

ينكمش كتفي وأجر قدمي صاعدة الدرج أمامه، فيما آمل أن تكون هيئتي صورة كاملة عن الحزن.

في غرفة الملابس، أخلع ملابسي ببطء بينما يبحث ذهني عن طريقة لإلهائه حتى أتمكن من أخذ الحبوب من حذائي وإخفائها في مكان ما في جسدي.

- إذن هل أخبرت الجيران بأنه بالإضافة إلى وجود زوجة تعاني ذهان الهوس والاكتئاب في المنزل، ستعيش معك أخت زوجة متخلفة عقليًّا؟

سألته وأنا أخلع حذائي، وأبدأ بفسخ ملابسي.

- ولماذا يجدر بي قول هذا؟ لن يقابلوا ميلي أبدًا.

أعلق ردائي في خزانة الملابس وآخذ منامتي من الرف وأقول بينما أرتديها:

- لكنهم سيرونها في الحديقة، حينما نقيم حفلتها.

يوضح قائلًا:

- لا يمكنهم رؤية حديقتنا من منزلهم.

أمسكت صندوق الحذاء...

- يمكنهم ذلك إذا كانوا يقفون عند النافذة في الطابق الأول.

- أي نافذة؟

- تلك التي تطل على الحديقة (أومئ نحو النافذة)، هذه هناك.

بينما يدير رأسه، أنحني للأسفل، وأضع صندوق الحذاء على الأرض وألتقط حذائي. يرفع رقبته ويقول:

- لن يكونوا قادرين على الرؤية من هناك

بينما ألتقط المنديل من حذائي.

- إنه بعيد جدًا.

ما زلت جالسة، أدخل المنديل في حزام خصر منامتي، وأضع الحذاء في الصندوق، أهب على قدمي قائلة:

- إذن ليس هناك ما يدعو للقلق.

وأضع الصندوق مرة أخرى في خزانة الملابس. أمشي صوب الباب، وأدعو ربي ألا ينزلق المنديل من مخبئه وتتدحرج الحبوب على الأرض. يتبعني جاك للخارج.

فتحت باب غرفة نومي، ولجت إلى الداخل، متوقعة أن يجرني جاك في أي لحظة يستفسر عن الذي حشوته في حزام خصري. لكن حينما أغلق الباب خلفي، لم أستطع تصديق ما حصل، حتى سمعت المفتاح يدور في القفل.

غمرتني راحة عميقة لدرجة أن ساقيَّ تهاوت على الأرض، وصار جسدي كله يرتجف. ولكن لأن ثمة احتمالًا دومًا بأن جاك يجعلني أعتقد أنني قد أفلت من العقاب، وقفت على قدمي وأدخلت المنديل تحت مرتبة السرير.

جلست على السرير أحاول أن أستوعب حقيقة أنني حققت في آخر خمس عشرة دقيقة أكثر مما حققته في الخمسة عشر شهرًا الماضية، معترفة طوال الوقت بأن كل ذلك بفضل ميلي. لم أشعر بالصدمة لأنها توقعت مني قتل جاك، لأن القتل أمر شائع في القصص البوليسية التي تستمع إليها وليس لديها فكرة حقيقية عما يعنيه قتل شخص ما بالفعل. في ذهنها، حيث يكون الخط الفاصل بين الحقيقة والخيال غير واضح في كثير من الأحيان، فإن القتل هو مجرد حل لمشكلة ما.

# الماضي

في المرة الأولى شعرت بالخجل من الطريقة التي تشبثت بها بجاك حينما سمح لي أخيرًا بالخروج من الغرفة في الطابق السفلي. كانت ليلة طويلة ومروعة، وأنا التي فاقمت الوضع سوءًا وجعلتها كابوسًا. لم يكن لدي أدنى فكرة آنذاك عن حقيقة ما يقصد بفعله لميلي. كنت أعلم أن الخوف سيكون جزءًا منه، لكنني كنت واثقة من أنني سأتمكن من حمايتها من أسوأ ما في الأمر، وأنها ستكون قادرة على الاحتماء بي، وأنني سأكون معها في جميع الأوقات. على الرغم من أن جاك أخبرني بأنه يريد شخصًا يمكنه إخفاؤه بعيدًا، لم يخطر ببالي قط أنه كان يقصد إبقاء ميلي محبوسة في غرفة مرعبة في الطابق السفلي، حتى يتمكن من تخويفها وقتما أراد. إن معرفة مدى خبثه وقسوته كان سيئًا بما فيه الكفاية، لكن الخوف من أنه سيتركني في الغرفة محبوسة لأموت من الجفاف، كما ماتت مولي، وأنني قد لا أخرج في الوقت المناسب لإنقاذ ميلي، هذا هو السبب الذي جعلني أقفز نحوه في صباح اليوم التالي حينما فتح لي الباب، كنت غير متمالكة نفسي وشعور الامتنان يغمرني. ووعدته أنني سأفعل أي شيء، أي شيء، ما دام أنه لن يأخذني إلى هذه الغرفة مرة أخرى. أخذ بكلمتي وحوَّلها إلى لعبة. بدأ يعيِّن لي المهام التي كان يعلم أنني سأفشل فيها حتى يكون لديه عذر ليأخذني إلى الطابق السفلي. قبل أن أضربه بالزجاجة، سمح لي باختيار قائمة حفلات العشاء التي قدمناها، وكنت سأختار الأطباق التي كنت أطبخها عدة مرات من قبل. منذ ذلك الحين، فرض القائمة عليَّ وتأكد من أن الأطباق التي يختارها معقدة قدر الإمكان. إذا لم تكن الوجبة مثالية -إذا كان اللحم صلبًا بعض الشيء، أو كان السمك مفرط الطهي قليلًا- سيأخذني إلى الغرفة بمجرد ذهاب ضيوفنا ويوصد عليَّ بابها طوال الليل. كنت طباخة واثقة من نفسي إلى حد ما، لكنني

ارتكبت أخطاء غبية تحت هذا الضغط. ذات مرة لم أستطع إنهاء الحلوى، حينها أخذني إلى الطابق السفلي فور وصولنا إلى المنزل. مدركة أن خوفي كان له تأثير قوي عليه، لذا أحاول أن أبقى هادئة، غير أنه إن بقيت هادئة، فإنه يقف على الجانب الآخر من الباب، وبصوت أجش مثار، يخبرني بأن أتخيل ميلي في الغرفة ذاتها، لأتوسل إليه أن يتوقف.

# الحاضر

إنه يوم حفلة ميلي. حالما أشرع في التفكير بأن جاك لن يأتي أبدًا ويسمح لي بالدخول إلى غرفة النوم المجاورة حتى أتمكن من الاستعداد، أسمع خطواته وهو يصعد الدرج.

يهتف بينما يفتح الباب:

- وقت الحفلة!

يبدو متحمسًا جدًّا لدرجة أنني أتساءل ما الذي في جعبته. لا يمكنني تحمل القلق بشأن ذلك، وعلى الرغم من أنني سعيدة بالتقدم الذي أحرزته خلال الأسبوعين الماضيين، فمن المهم أن أبقى هادئة اليوم، من بين كل الأيام. أذهب إلى غرفة نومي القديمة، أفتح خزانة الملابس، على أمل أن يختار جاك رداءً جميلًا لألبسه في احتفال عيد ميلاد ميلي. كان الفستان الذي اختاره جاك واسعًا قليلًا، فحينما لبسته أظهر نحولي، أرى جاك يعبس، غير أنه لم يأمرني بتغييره، أعتقد أن مظهري بشكل عام هو ما يثير قلقه. حينما أنظر في المرآة، يبدو وجهي هزيلًا، مما يجعل عينيَّ جاحظتين. أزين وجهي بالقليل من مساحيق التجميل، وحالما أنتهي، أتبع جاك إلى الطابق السفلي. أعد وجبة الغداء التي سنتناولها مع ميلي وجانيس. قام متعهدو الحفلات بإعداد الطعام للحفلة بعد ظهر هذا اليوم، بدلًا من السماح لي بتحضيرها كما رغبت. يبدو كل شيء مثاليًّا. ينظر إلى ساعته متفقدًا الوقت عندما ندخل الردهة. يكتب رمزًا في لوحة المفاتيح على الحائط، وتُفتَح البوابات الأمامية حينها.

بعد دقائق، أسمع صوت سيارة تقترب. يسير جاك صوب الباب الأمامي ويفتحه كله، تُوقف جانيس سيارتها، تترجل هي وميلي من السيارة. تندفع

ميلي نحوي، مرتدية فستانًا ورديًّا جميلًا مع شريط مطابق على شعرها، بينما تتبعها جانيس بخطوات هادئة، تنظر حولها، وتتفقد كل شيء في المكان.

أصدح لميلي:

- تبدين جميلة يا ميلي.

وأعانقها. تصيح بصوتها وعيناها تلمعان:

- أحب البيت يا غريس؛ إنه جميل!

تعقِّب جانيس بإعجاب:

- إنه بالتأكيد كذلك.

تصافح يد جاك ثم يدي. تلتفت ميلي صوب جاك وتقول:

- منزل جميل.

يمنحها انحناءة شكر قائلًا:

- سعيد جدًّا أنه نال إعجابك. لمَ لا ندخل وأريكم الأرجاء؟ لكن ربما ترغبان في احتساء مشروب أولًا، أظن أنه يمكننا احتساؤه على الشرفة، إلا إذا شعرتما أن الجو بارد.

تجيبه جانيس:

- الشرفة ستكون خيارًا جميلًا.

- يجدر بنا أن نستغل هذا الطقس الرائع، وبخاصة أنه لن يبقى طويلًا.

نمشي من خلال الردهة إلى المطبخ، ونخرج صوب الشرفة، حيثما توجد علب المشروبات الباردة وعصائر الفاكهة في وعاء الثلج. حتى الكؤوس موجودة على الطاولة؛ لن يكون هناك مجال للعودة إلى الداخل لإحضارها وتركي وحدي مع جانيس وميلي.

سيتوقف جاك عن عمله بمراقبتي، مع انضمام العديد من الأشخاص إلينا هذا المساء، نحتسي مشروباتنا ونثرثر بأدب. لا تستطيع ميلي الجلوس مكتوفة الأيدي لفترة طويلة. إنها متحمسة للغاية، قامت تستكشف الحديقة. نلحق بها بينما نُري جانيس المكان.

يسأل جاك:

- أترغبين في رؤية غرفة نومك يا ميلي؟

أومأت برأسها بحماس:

- نعم من فضلك يا جاك.

- أتمنى أن تنال إعجابك.

تهتف بسعادة:

- أنا أحب اللون الأصفر.

نصعد نحن الأربعة إلى الطابق العلوي، ويفتح جاك الباب إلى غرفة النوم الرئيسية حيث ينام، وحيث توجد أغراض لم أرها من قبل، ولكن من الواضح أنه وضعها ليدَّعي أنها تخصني -رداء حريري وزجاجات عطر وبعض المجلات- تعطي الانطباع بأنني أنام فيها أيضًا. حينما تهزُّ ميلي رأسها وتخبره بأنها ليست غرفة نومها، يطلعها على إحدى غرف نوم الضيوف المزينة باللونين الأزرق والأبيض. يسأل:

- ما رأيك؟

تتردد قائلة:

- جميلة، لكنها ليست صفراء.

ينتقل إلى الغرفة التي أمكث فيها ويقول:

- ماذا عن هذه؟

تهز ميلي رأسها.

- لا أحب اللون الأخضر.

يبتسم جاك:

- إنها ليست غرفتك أيضًا.

تنضم جانيس إلى اللعبة وتقول مشيرة إلى الباب في نهاية الممر:

- ربما تكون تلك.

تذهب ميلي وتفتحه وتجد حمامًا.

يقترح جاك قائلًا:

- لمَ لا تجربين هذا الباب؟

مشيرًا إلى الباب المؤدي إلى غرفتي. تفعل ما يقول، ثم تهتف متجهمة:

- إنها مروعة (وهي تنظر إلى الداخل). أنا لا أحب ذلك، إنها مخيفة، أليس كذلك؟

يضحك جاك:

- لا تقلقي يا ميلي، أمازحك وحسب.

- لا يزال ثمة باب واحد لم تجربيه، مقابل غرفة النوم الرئيسية. لمَ لا تلقين نظرة عليه؟

تركض عائدة إلى بداية الممر، تفتح الباب وتطلق صرخة فرح. حينما نتبعها، تقفز لأعلى ولأسفل على السرير، وتنورة فستانها الوردي تهف حولها، تبدو سعيدة للغاية لدرجة أحسست بها أن عينيَّ اغرورقت بالدموع. أبتلعها بسرعة، وأذكر نفسي بكل ما هو على المحك.

يقول جاك، مستديرًا إلى جانيس:

- أظن أنها أعجبتها.

- ومَن الذي لا تعجبه؟! إنها رائعة بحق!

يطلب من ميلي أن تغادر الغرفة واعدًا إياها بتناول وجبة الغداء. ننزل إلى الطابق السفلي، وفي الطريق إلى غرفة الطعام، حيث سنأكل، يُري ميلي وجانيس بقية جنبات المنزل.

تستفسر ميلي:

- ماذا هنا؟ (وهي تحاول الوصول إلى الطابق السفلي) لماذا مقفل؟

يجيبها جاك:

- إنه يقودك إلى الطابق السفلي.

- إلى القبو؟

- إنه المكان الذي أحب الاحتفاظ بالأشياء فيه.

- هل يمكنني رؤيته؟

- ليس الآن (توقف لبرهة)، ولكن حينما تأتين للعيش معنا، سأكون سعيدًا جدًّا أن أريكِ إياه.

تصعب علي الحركة والمضي معهم، غير أنه مع وضع يده على ظهري، فليس لدي الكثير من الخيارات.

نتناول غداء غير متكلف من اللحوم الباردة والسلطات. في أثناء احتساء القهوة، تستفهم ميلي عما إذا كان يمكنها استكشاف الحديقة مجددًا، حينها نقوم وبيدنا أكوابنا إلى الشرفة.

يصدح جاك بينما يسحب الكراسي لنا لنجلس عليها:

- أتمنى أن توافقوا على المنزل الذي أعددناه لميلي.

أومأت جانيس:

- بالتأكيد. ويمكنني أن أتفهم الآن سبب رغبتك في الانتظار حتى انتهاء أعمال المنزل قبل أن تراه ميلي. إنه بالفعل جميل، لا بد أن تصميمه والعمل عليه كان مهمة ضخمة.

- لم يكن الأمر سهلًا تمامًا مع استمرار أعمال البناء طوال الوقت، لكن الأمر كان يستحق العناء، أليس كذلك يا حبيبتي؟

أوافقه:

- بلى صحيح، أين سنقيم حفلة ميلي، في الخارج أم في الداخل؟

- كنت أنوي إعدادها في غرفة الطعام، لكن الطقس جميل؛ ربما يمكننا أن نقيمها هنا على الشرفة، فبهذه الطريقة يمكن لميلي والأطفال الآخرين اللعب في الحديقة.

تهتف جانيس:

- لم أعلم أنك دعوت أشخاصًا آخرين.

يوضح جاك:

- أردنا أن نجعل عيد ميلادها احتفالًا حقيقيًا، واعتقدنا أنه من المهم أن تلتقي بأصدقائنا، وعلى الرغم من أن الأطفال الآخرين أصغر من ميلي، فإنني آمل أن يعاملوها كأخت كبيرة (ينظر إلى ساعته). سيأتون في الساعة الثالثة، أيمكنك الاعتناء بميلي بينما نجهِّز أنا وغريس كل شيء؟

تومئ جانيس:

- سأقوم لأهيئها قليلًا.

- قبل أن تقومي لدي شيء لها.

ينادي جاك ميلي في الحديقة:

- ميلي، إذا دخلتِ غرفة الجلوس ستجدين صندوقًا كبيرًا خلف أحد الكراسي. هل يمكنك إحضاره لي؟

تختفي ميلي في المنزل، وأحاول ألا أقلق بشأن ما يخبئه لها، وأخبر نفسي بأنه لن يفعل أي شيء غبي أمام جانيس. شعور الارتياح يغمرني حينما تفتح ميلي الصندوق وتخرج فستانًا من الساتان الأصفر بتنورة كاملة وحزام عريض.

أهتف قائلة:

- إنه جميل يا جاك.

أكره شعور الامتنان الذي يخالجني. وحينما تلقي ميلي ذراعيها حول رقبته، أشعر بألم الحسرة الذي أشعر به دائمًا كلما أتذكر كيف كان يمكن أن يصبح.

- إنني سعيد أنه أعجبك أيضًا.

تنظر إليَّ جانيس متفاجئة:

- لم تساعديه على اختياره؟!

- لا، جاك قد تولى زمام جميع الاستعدادات بحفلة ميلي، ولكن، كما ترين، فهو قادر تمامًا على إدارة الأمور بمفرده.

يقترح جاك قائلًا:

- لمَ لا تأخذين ميلي إلى غرفتها وتبدلين ملابسها هناك؟

- هيا يا ميلي اذهبي مع جانيس.

حالما يغادران، يلتف نحوي:

- تستمتع قدر استطاعتها -بطريقة ما-، لا أعتقد أنها ستحب غرفة نومها الحقيقية إطلاقًا، أليس كذلك؟ حسنًا حان وقت تجهيز المائدة.

يمد مائدة خشبية كبيرة إلى أقصى طول لها، بحيث تتسع للجميع -تسعة بالغين وخمسة أطفال- دون إثارة الكثير من المتاعب، بينما نتنقل بين المطبخ والشرفة، نحمل الأطباق والأقداح. أحاول ألا أشتت تركيزي بحديثه عن غرفة نوم ميلي، فحري بي أن أكمل هذا المساء على أتم وجه.

يسأل جاك وهو ينظر إلى الطاولة المزدحمة بالطعام:

- ما رأيك؟

- رائعة بحق.

معجبة باللافتة والبالونات التي علَّقها حول الشرفة.

- ستحبها ميلي.

وكأنها قد سمعتنا؛ دخلت هي وجانيس، وبدت متألقة في فستانها الجديد والشريطة تزين شعرها.

يصيح جاك:

- يا لها من سيدة شابة فاتنة!

مما يجعل ميلي تحمر خجلًا مسرورة.

أنظر إليها بقلق، على أمل ألا يبدأ جاك في السيطرة عليها.

- شكرًا لك يا جاك (تنظر حولها في رهبة بينما تلتقط أنفاسها) إنها جميلة!

أعقِّب على شكلها قائلة:

- تبدين جميلة يا ميلي.

بينما أسير صوبها، ترمي ذراعيها حول رقبتي، وتهمس في أذني:

- لا أنسى أنه رجل سيئ.

- أنتِ على حق يا ميلي، جاك رجل لطيف للغاية.

أضحك لعلمي أن جاك قد رآها تهمس. تومئ موافقة قولي:

- جاك لطيف.

قُرع جرس الباب، تهتف ميلي بسعادة غامرة:

- بدأت الحفلة!

يمسك جاك بيدي وتنبع منه إيماءة حنان، نسير معًا لفتح الباب، نترك جانيس وميلي على الشرفة.

نرحب بإستير، وروفوس، وطفليهما، ثم نمشي معهما بجوار المطبخ باتجاه الشرفة. يمتدح كلٌّ منهما ميلي معبرين عن مدى جمالها، حينها تصل مويرا وجايلز، ويتبعهما بعد مدة وجيزة ديان وآدم وأطفالهما.

- سمعنا حديثكم هنا في الخارج، لذلك لم نقرع الجرس.

تشرح ديان بينما تطبع قبلة على خدي. ثمة الكثير من الأشخاص الذين يستقبلهم جاك، والكثير من مقدمات الترحيب التي يجب عليه قولها، بحيث لا خيار أمامه سوى أن يرفع عينيه عني ويفسح لي متسعًا من الوقت للهمس في أذن ديان:

- ساعديني، جاك مجنون.

ولكن حتى بملاحظتها لنبرة صوتي الملحة، حسبت أنني كنت أمزح، أو أشير إلى النفقات الواضحة التي صرفها لمنح ميلي حفلة مثالية. يأخذني معه إلى المطبخ لجلب الشمبانيا للكبار والمشروبات الملونة للأطفال، وحينما أجلس على المائدة، يحذرني بضغط يده في يدي من أنه يستمع إلى كل ما أقوله في أثناء أي محادثة. تبدأ ميلي في فتح هداياها. ليس لدي أدنى فكرة عما اشتريناه لميلي، لأنني لم أجرؤ على السؤال، حيثما أبذل قصارى جهدي لأظهر للجميع تماسكي الذي تمكنت من تحقيقه خلال الأسبوعين الماضيين.

كالعادة، يفوز جاك بما يقدمه، حيث اشترى لها تعليقة فضية جميلة منقوشة بحرف M.

ترفعها ميلي:

- رائعة!

حتى يراها الجميع. يصدح جاك:

- إنها في الواقع مني، لأن غريس لديها هدية خاصة لأجلك.

تنظر ميلي إلي بتساؤل وأبتسم لها، وكلي رجاء على أنه اختار شيئًا لطيفًا.

- لقد رسمَت بعض اللوحات الجميلة لغرفة نومكِ الجديدة، أليس كذلك يا عزيزتي؟

أشعر أن الدم امتُص من وجهي، فأمسك بحافة الطاولة بقوة. تصفق ميلي بحماس:

- أيمكنني رؤيتها؟

قال جاك معتذرًا:

- ليس بعد، لكنها ستكون معلَّقة في غرفتك بحلول الوقت الذي تنتقلين فيه، أعدك.

يستفسر روفوس:

- ما نوع هذه اللوحات؟

يجيبه جاك:

- بورتريهات، كأنها حقيقية جدًّا، إن لغريس براعة في رؤية دقة التفاصيل.

تنظر إستير إليَّ بقلق:

-هل أنت بخير يا غريس؟

تمكنت من قول:

- الحرارة، لست معتادة عليها.

يمد إليّ جاك كوبًا من الماء.

- احتسي شيئًا باردًا يا حبيبتي (قال بإلحاح) سيجعلك تشعرين بتحسن.

أدرك نظرات ميلي القلقة مسلَّطة علي، فأرتشف رشفة من الماء. قلت لها:

- الآن أفضل. افتحي هداياك الأخرى، بعدها يمكنك لعب بعض الألعاب.

ثمة سوار فضي من مويرا وجايلز، وصندوق حلية فضية من ديان وآدم، لكنني بالكاد أراها، فجل اهتمامي منصب على تمالك نفسي. أشعر أن إستير تنظر إلي بفضول، لكنني ولمرة واحدة لا أكترث بنظراتها، فأشعر بالضيق. يسأل روفوس:

- إستير، ألن تقدمي هديتنا لميلي؟

- بالطبع.

تنهض إستير بنفسها وتقدم لميلي هدية مغلفة تغليفًا باهرًا. تهتف مبتسمة لميلي:

- أتمنى أن تنال إعجابك.

تفتحها ميلي وتجد صندوقًا مخمليًا أحمر كبيرًا، مزينًا بالترتر والخرز الزجاجي. إنه بالضبط نوع الأشياء التي تحبها ميلي، وبينما تلهث بسعادة، أضبط نفسي وأبتسم بامتنان لإستير.

تنبهها إستير:

- يجدر بك الاحتفاظ بالأشياء، فقد اشتريتها لتلائم غرفة نومك الجديدة.

تعقِّب ميلي على قولها:

- صفراء (وتصدح بفخر)، غرفة نومي صفراء.

ترتسم الحيرة على إستير:

- إنها حمراء، أليس كذلك؟

تهز ميلي رأسها:

- صفراء. إنه لوني المفضل.

- اعتقدت أن لونك المفضل هو الأحمر.

- أصفر.

تستدير إستير لجاك.

- ألم تقل إنك كنت تزين غرفة نوم ميلي باللون الأحمر لأنه لونها المفضل؟

- لا، لا أظن أنني قلت هذا.

تؤكد ديان:

- بلى يا جاك، لقد قلت ذلك.

- على الأقل، ذاك ما قلته لنا آنذاك، حينما تطفلت علينا في المطعم لتناول وجبة الغداء في المدينة.

- حسنًا، إذا قلت ذلك، فإنني آسف جدًّا. لا بد أنني كنت أفكر في شيء آخر ذلك الوقت.

تصر إستير:

- لكنك قلته في أكثر من مناسبة؛ عندما أتيت لتناول العشاء في منزلنا، قلت إنه لا يمكنك الانتظار حتى ترى ميلي غرفة نومها الحمراء (نظرت إليَّ) أليس هذا ما قاله يا غريس؟

أغمغم:

- أخشى أنني لا أتذكر.

يخبرها جاك:

- هل هذا مهم حقًّا؟

بينما يومئ برأسه لميلي التي كانت منشغلة بوضع هداياها الأخرى في الصندوق ويقول:

- انظروا إنها مستمتعة.

تقول إستير في حيرة حقيقية:

- ولكن من الغريب أن ترتكب نفس الخطأ مرتين.

- لم أكن أعلم أنني قلت ذلك.

تردف بشك:

- حسنًا، يمكنك تغييرها إلى اللون الأصفر على ما أعتقد.

أقول لها:

- من فضلك لا، جاك على حق؛ لقد أعجبت ميلي.

على مدار الدقائق العشرة التالية، أشاهدها وهي تراقب جاك، ويسعدني أنه في جهوده لزعزعة استقراري، قد بالغ في استخدام يده، لا يبدو أن أي شخص باستثناء إستير قد لاحظ ذلك.

بغتة تحول اهتمامها صوبي قائلة:

- آمل ألا تمانعي بأن أسأل يا غريس، لكن هل أنت متأكدة من أنك بخير؟ تبدين شاحبة جدًّا.

- إنني بخير (أؤكد لها).

تومئ ديان برأسها معقبة:

- لقد لاحظت هذا أيضًا وقد فقدتِ وزنك؛ لا تتبعين نظامًا غذائيًّا، أليس كذلك؟

- لا، يبدو أن شهيتي معدومة هذه الفترة.

- ربما ينبغي لكِ زيارة طبيبك.

- سأفعل ذلك أعدك.

- تحتاج حقًّا إلى الاعتناء بها أكثر يا جاك.

تنظر إستير إليه متفحصة.

- أنوي ذلك.

يبتسم بينما يدخل يده في الجيب الداخلي لسترته ويخرج مظروفًا.

- لم أفهم لماذا يجب أن تكون ميلي هي الوحيدة التي تحصل على الهدايا اليوم.

تتأوه ديان:

- آدم، من فضلك انتبه لما يحصل هنا.

- هاك يا حبيبتي (يسلمني جاك الظرف)، افتحيه.

أفعل كما يقول وأجد نفسي أنظر إلى تذكرتي سفر.

تلح عليَّ ديان:

- هيا يا غريس، لا تبقينا متشوقين.

- إلى أين سيأخذك جاك؟

أجيبها بتؤدة:

- تايلاند.

بينما أدرك إدراكًا فظيعًا أن كل شيء تمكنت من السيطرة عليه وجعلته في المكان الصحيح منذ أن أعطتني ميلي الحبوب، سيذهب سدى إن سافرنا إلى تايلاند.

تهتف مويرا وابتسامة تملأ محياها:

- يا لها من فتاة محظوظة!

تلح إستير قائلة:

- أظن أنه من المفترض أن تقولي شيئًا يا غريس.

أرفع رأسي سريعًا:

- إنها محض صدمة، أعني... إنها فكرة جميلة يا جاك، ولكن هل لدينا حقًّا وقت للسفر بعيدًا؟

- لقد أخبرتِني سلفًا أنك رغبتِ في عطلة أخيرة في تايلاند قبل أن تأتي ميلي للعيش معنا.

يذكرني، مما يجعل الأمر يبدو وكأنني أفكر في ميلي كنوع من العبء.

- لكنك قلت إننا لن نكون قادرين على ذلك؛ ألم تخبرني بأنك ستنشغل بقضية توماسين القادمة؟

- بلى، لكنني أعمل بجد لكي أنهيها بحلول وقت السفر.

يسأل جايلز:

- متى ستسافر؟

- لقد حجزت التذاكر في اليوم الخامس من يونيو.

ينظر إليه آدم متفاجئًا:

- هل ستنتهي قضية توماسين قريبًا؟!

- آمل ذلك، ستذهب إلى المحكمة الأسبوع المقبل.

- حتى ولو، أعني الأمر ليس واضحًا هذه المرة، أليس كذلك؟ فكما تقوله الصحف؛ إن سجل زوجها نظيف للغاية.

يرفع جاك حاجبيه قائلًا:

- لا تخبرني بأنك تصدق ما تقرؤه في الصحف.

- لا، لكن آراء الناس تهتم بنظرية تقول إن القضية مجرد كمين لتطيح بزوجها، لأن لها عشيقًا. وهي نظرية مثيرة للاهتمام.

- إنه تلفيق كامل بحذافيره.

- إذن فإنك واثق من الفوز؟

- بالطبع؛ لم أخسر أي قضية بعد، ولا أنوي هذا أبدًا وبخاصة الآن.

يستدير آدم صوبي:

- ما رأيك يا غريس؟ فمن المؤكد أنك قد قرأتِ الصحف.

- رأيي أنا؟ أظن أن الزوج مذنب حتى النخاع.

بينما أتساءل في نفسي، ماذا سيقولون إن عرفوا أنني بالكاد أعلم ما الذي يتحدثون عنه. تقول ديان:

- عذرًا، لكن لا يمكنني تصوره بأنه يعنِّف زوجته، إنه لا يبدو من هذا النوع أبدًا.

أقول باستخفاف:

- لقد أخبرني جاك بأن هذه الفئة من المعنِّفين هم الأسوأ.

تستدير أعين إستير نحوي.

- لا بد أن الأمر مثير حينما يكون زوجك يتعامل مع مثل هذه القضايا البارزة.

- في الواقع، نادرًا ما يتحدث جاك عن عمله عندما يعود إلى البيت، ولا سيما تفاصيل قضاياه، وذلك لأسباب تتعلق بسرية العميل، فإنني متأكدة من أن الأمر ذاته يسير معك بنفس الطريقة يا ديان.

ألجأ إلى جاك بقلق زائف:

- لنرجع إلى موضوع عطلتنا؛ ألن يكون من الأفضل تأجيلها حتى تأتي ميلي معنا؟

- لماذا؟

- حسن، إن كان ثمة احتمال من أن قضيتك قد لا تنتهي في الوقت المناسب.

- بلى ستنتهي.




ألح قائلة:

- ولكن ماذا لو لم يحدث هذا؟

- حينها ستسافرين وحدك وسألحقك حالما أنتهي.

أحدق إليه.

- لن نلغي العطلة يا غريس. وكما أشار الجميع فإنك بحاجة إلى الراحة.

- هل تسمح لي حقًّا بالسفر من غيرك؟

أصدح بقولي وكلي يقين بأنه لن يسمح بمثل هذا الشيء أبدًا أن يحدث.

- بالطبع.

تنظر إستير إليه باستحسان:

- هذا كرم بالغ منك يا جاك.

- لا على الإطلاق، أقصد لمَ أحرم زوجتي الجميلة من الاستمتاع بالعطلة، لمجرد أنني لا أستطيع السفر معها؟

تعرض ديان:

- سأكون أكثر من سعيدة لصحبتها حتى تصل.

يخبرها جاك:

- يؤسفني تخييب ظنك، غير أنني مصمم على إنهاء القضية (يهب واقفًا) هيا يا غريس أحتاج إلى مساعدتك في المطبخ يا حبيبتي.

أتبع خطواته، مشدوهة من هول ما يحدث. يخبرني قائلًا:

- لا يبدو أنك متحمسة جدًّا للسفر إلى تايلاند (بينما يسلمني الشموع لأضعها على الكعكة)، على الرغم من أنك أنت التي اقترحت فكرة السفر.

- لا تبدو فكرة جيدة مع قضيتك القادمة وحسب.

- إذن هل تعتقدين أنه سيكون من الأفضل لي أن ألغيها؟

تغمرني مشاعر الارتياح:

- قطعًا.

- حسنًا، هل تعتقدين أن ميلي ستكون قادرة على الانتقال للعيش معنا في وقت أبكر، الأسبوع المقبل على سبيل المثال؟ في الواقع، يمكنها الانتقال إلى هنا من اليوم، وأستطيع أن أذهب وأجمع أغراضها خلال الأسبوع بينما تستقر في غرفة نومها الحمراء الجميلة. ما رأيك يا غريس؟ هل أخرج وأقترح هذا؟ أو هل نذهب إلى تايلاند الشهر المقبل؟

أجيبه بجمود:

- نذهب إلى تايلاند الشهر المقبل.

- هذه الإجابة التي توقعتها منكِ، الآن أين أعواد الثقاب؟

من الصعب عدم الاستسلام لليأس الذي أشعر به وأنا أغني، "عيد ميلاد سعيد" مع الآخرين بينما تطفئ ميلي شموعها. أنظر حولي، الجميع يضحك ويمزح معًا، حينما أجد صعوبة في فهم كيف أصبحت حياتي جحيمًا حيًّا لا يمكن لأحد أن يتخيله. إن رغبتُ في استرعاء انتباههم فجأة، وأخبرهم بأن ميلي في خطر كبير من جاك، وأنه ينوي إبقاءها محبوسة في غرفة مرعبة حتى يصيبها الجنون من الخوف، وأنه في الواقع قاتل يبقيني سجينة منذ خمسة عشر شهرًا، فلن يصدقني أحد. وماذا سيقول لهم جاك؟ لقد عرف بعد زواجنا مباشرة أن لديَّ تاريخًا من المرض العقلي، ولم يتضح هذا إلا في شهر العسل عندما اتهمته بحبسي أمام بهو مليء بالناس، وأن مدير الفندق، والطبيب المحلي، والشرطة سيؤكدون جميعهم أنني مضطربة. إن الخمسة عشر شهرًا الماضية كانت ضغطًا رهيبًا عليه، وبخاصة أنه ملزم بمرافقتي في كل مكان، خوفًا مما سأقوله في الأماكن العامة. حتى لو همَّت ميلي بالدفاع عني واتهمته بدفعها إلى نهاية الدرج، فسيتصنع الرهبة، ويدعي أنني أنا من رسَّخ هذه الفكرة في ذهنها. فلماذا سيصدق الناس المجتمعون هنا الآن أقوالي عوضًا عنه، ولا سيما أن أقاويله ستكون معقولة جدًّا؟

نشرع في أكل الكعكة، ونحتسي المزيد من الشمبانيا. ترجع ميلي والأطفال للعب، ويجلس البقية حولنا نتحدث. أجد صعوبة في التركيز، لكن حينما أسمع جانيس تقول إنها ستستمتع بالمجيء لرؤية ميلي في منزلنا الجميل، أغتنم الفرصة لجعلها حقيقة:

- لماذا لا نحدد موعدًا الآن؟ (بينما أستعين بالآخرين) وربما يمكننا اصطحاب ميلي والأطفال إلى مهرجان الموسيقى والتنزه هناك. ألن يبدأ في بداية شهر يوليو؟

تصيح ديان بكل صوتها:

- يا لها من فكرة ممتازة! (ثم تردف قائلة) وهل أي أحد منكم مهتم برحلة إلى حديقة الحيوان؟ لقد وعدت أطفالي بذلك بمجرد انتهاء المدرسة.

أقول:

- ستحب ميلي ذلك.

وكلي حماس بملء ذكرياتها معهم.

يقاطعني جاك قائلًا:

- قبل أن تنجرفوا بعيدًا بخططكم، لدي مفاجأة أخرى لك، في الواقع من أجلك أنت وميلي معًا.

تجمدني برودة تسري في جسدي. تهتف مويرا ممازحة:

- مفاجأة أخرى؟ لا تقلقي جدًّا، إنني أعرف جاك جيدًا، سيكون شيئًا لطيفًا.

يقول جاك معتذرًا:

- لم أرغب حقًّا في إخبارك بعد، ولكن إزاء كل هذه الترتيبات لعطلة الصيف، أعتقد أنه ينبغي لك معرفة أنني سآخذك أنت وميلي إلى نيوزيلندا لرؤية والديك.

- نيوزيلندا؟! (تلتقط ديان أنفاسها) يا إلهي، لطالما أردت السفر إلى نيوزيلندا.

أتلعثم مستفهمة:

- متى؟

- حسنًا، أظن أننا سنمنح ميلي بضعة أيام للاستقرار، حيث سنسافر في منتصف شهر يوليو تقريبًا.

أجيبه:

- لكن من المفترض أن تبدأ ميلي العمل في مركز الحديقة في أغسطس (بينما أتساءل في نفسي ما الذي ينوي التلاعب به) إنه طريق طويل لنقطعه في أسبوعين وحسب.

- متأكد من أنهم لن يمانعوا إذا بدأت بعد أسبوع أو أسبوعين. خصوصًا إذا شرحنا لهم السبب.

- ألا تعتقد أن الأمر سيكون متعبًا لميلي؟ حيث بعد مدة وجيزة من الانتقال، تسافر إلى نيوزيلندا، ألن يكون من الأفضل الانتظار حتى نهاية السنة في عيد الميلاد؟

تتدخل جانيس:

- أظن أن هذا سيبهجها، فقد كانت تحلم بالذهاب منذ أن أنجزنا مشروعًا دراسيًّا عن نيوزيلندا، وكان هذا بعد انتقال والديك إلى هناك مباشرةً.

تهتف ديان:

- إن ذهبتُ إلى نيوزيلندا، فلست متأكدة من أنني سأرجع، فمن المفترض أن تكون جميلة جدًّا.

- وهذا أحد مخاطرها بالطبع (يوافقها جاك)، يمكن أن ينتهي المطاف بعشق ميلي لها، وتطلب السكن هناك للأبد مع والديها.

هنا بدأت الرؤية تتضح لما يروم إليه جاك؛ إبعاد ميلي عن المجتمع.

أقول بضراوة:

- لن تفعل ميلي ذلك أبدًا، بادئ ذي بدء من المحال أن تتركني.

يسأل جاك بلهجة مرحة:

- لكن ماذا لو قررت البقاء هناك؟

غير أنني أفهم جيدًا أنه يجهز ميعاد إخفائي أيضًا.

- لن أفعل هذا! لا أقدر على فراقك أبدًا يا جاك، بالتأكيد تعرف هذا.

"لكن يمكنني قتلك"، أضيف بصمت في داخلي، في الحقيقة، سأضطر إلى ذلك.

# الماضي

منحتني كومة الحبوب تحت فراشي فرصة جديدة للحياة. لأول مرة منذ ستة أشهر، بات الهروب من جاك احتمالًا حقيقيًّا واردًا. شعرت بامتنان عميق لميلي، لتدخلها وإجباري على تولي المسؤولية مجددًا. بعد المتاعب التي مَرت بها لتحصل على الحبوب، جعلني الأمر أجزم على قراري بعدم خذلانها. غير أنني بحاجة إلى التخطيط بعناية، وأول العقبات: كمية الحبوب كانت غير معروفة، حتى لو تمكنت من جعل جاك يأخذها، لم يكن لدي أدنى فكرة عن المدة التي ستظهر فيها مفعولها، وكم عدد الحبوب التي يمكنني بها أن أتخلص منه، كان ثمة الكثير من العقبات، والتفسيرات، والتأويلات. شرعت بالبحث عن طريقة لتذويبها في أحد مشروبات جاك. المرة الوحيدة التي احتسينا فيها مشروبًا معًا كانت عند تناول العشاء مع أشخاص آخرين حولنا، وإذا وددت أن تسير خطتي وتبدي مفعولها، فيجب أن يتجرع الحبوب هنا، في هذا المنزل حينما نكون بمفردنا. قضيت الليلة أفكر في كل الاحتمالات، وبحلول الوقت الذي أحضر لي فيه العشاء في المساء التالي، كانت لدي بالفعل فكرة عن كيفية القيام بما أنوي فعله. سوى أنني بحاجة إلى البدء في وضع الأسس مرة واحدة. لقد تأكدت من أنه يجدني جالسة، يغمرني اليأس على السرير، وظهري باتجاه الباب. حينما لم أستدر وآخذ صينية الغداء منه، كما أفعل عادة، وضعها بجانبي على السرير وغادر دون أن ينبس ببنت شفة. مجرد معرفة أن الطعام موجود، صار أمرًا صعب المقاومة، وبخاصة أنني لم أتناول الطعام منذ وجبة الغداء مع ميلي يوم أمس. غير أنني مصممة على عدم تناوله. في اليوم التالي لم يكلف نفسه عناء إحضار أي طعام لي على الإطلاق، ولكن بما أن الصينية ما زالت موجودة وكنت أتضور جوعًا، فقد كان

من العسير التغلب على قرصات الجوع. وكلما فكرت في الاستسلام وتناول قليل من الطعام لدرء آلام الجوع، استحضرت صورة للغرفة في الطابق السفلي وقد وُضِعَت ميلي بداخلها، وحينها سهلت المقاومة.

في اليوم الثالث، ربما أدرك أنني قد أهملت طعامي يوم أمس. أحضر لي الإفطار، وحينما انتبه أن الصينية التي جلبها لي قبل يومين لم تُمَس، نظر إلي بفضول.

- لست جائعة؟

هززت رأسي:

- لا.

- في هذه الحالة سأعود بالفطور إلى المطبخ.

يغادر وبيده كلتا الوجبتين. دون وجود الطعام أمامي أصبح الأمر أسهل. لمساعدتي في تجاهل آلام الجوع، أجلس أستغرق في التفكير، بيد أنه حينما لم آكل أي شيء حتى نهاية الأسبوع، ولم أحتسِ أيًّا من النبيذ الذي أحضره لي، وقتها شك جاك.

- إنك لست مضربة عن الطعام، أليس كذلك؟

أخذ صينية أخرى من الطعام غير المأكول واستبدل بها أخرى مطهية لتوها. هززت رأسي بكسل:

- لست جائعة، هذا كل ما في الأمر.

- ولماذا؟

أخذت برهة ثم أجبته:

- أعتقد أنني لم أفكر قط في أن الأمر سيصل إلى هذا الوضع.

اعترفتُ له بينما أمسك بغطاء السرير بتوتر:

- لطالما ظننت أنني في النهاية سأجد طريقة لإنقاذ ميلي منك.

- دعيني أخمن؛ كنت تحسبين أن الخير سينتصر على الشر أو أن فارسًا في درع لامع سيأتي وينقذك وميلي من القدر؟

- شيء من هذا القبيل (أطلقت نشيجًا زائفًا)، لكن هذا لن يحدث، أليس كذلك؟ ستنتقل ميلي للعيش معنا ولا يمكنني فعل شيء حيال هذا.

- إذا كان ثمة أي عزاء، فلا يمكنني فعل أي شيء. غير أنني سعيد لأنكِ بدأتِ في تقبل أمر لا مفر منه. سيكون كل شيء أسهل على المدى الطويل.

أومأت برأسي صوب كأس النبيذ على الصينية التي أحضرها للتو، محاولة تجاهل الدجاج والبطاطس التي بدت لذيذة جدًّا.

- أيمكنني شرب الويسكي بدلًا من النبيذ؟

- ويسكي؟!

- أجل.

- لم أكن أعرف أنك تشربين الويسكي.

- ولم أكن أعرف أنك مختل عقليًّا، فقط أحضر لي ويسكي يا جاك. (أردفت قائلة بينما أفرك عيني بتعب) اعتدت احتساءه مع والدي، إذا كان ينبغي أن تعرف.

شعرت به وهو ينظر إلي، لكنني أبقيت رأسي منحنيًا فيما كنت آمل أن يبدو شكلي وكأن البؤس كله يكتسحني. غادر الغرفة وأغلق الباب خلفه. لم يكن لدي أي وسيلة لمعرفة ما إذا كان سيحضر لي الويسكي الذي طلبته وكانت رائحة الدجاج شهية للغاية لدرجة أنني بدأت في العد البطيء، ووعدت نفسي بأنه إذا لم يعُد بحلول الوقت الذي واصلت فيه العد إلى مئة، فسوف آكل كثيرًا. لم أكن وصلت حتى رقم خمسين حينما سمعت خطواته على الدرج. في رقم ستين، سمعت صوت المفتاح في القفل وأغمضت عيني، مدركة أنه إذا لم يحضر لي ويسكي، فربما لانفجرت في البكاء، لأن مجهود حرمان نفسي من

الطعام لمدة أسبوع تقريبًا كان سيذهب هباءً. هنا فتحت عينيَّ ونظرت إلى الكأس البلاستيكية التي كان يمسكها.

سألته بريبة:

- ما هذا؟

- ويسكي.

مددت يدي لآخذه منه، لكنه سحب يده للخلف.

- أولًا كلي، فلن يكون هناك منفعة منك لتعتني بميلي.

على الرغم من أن كلماته بثت الرعب وجمدتني، بيد أنها ألهمتني بأنني سائرة على المسار الصحيح، لأنه لم يستسلم قط لأي من مطالبي من قبل، ولا حتى حينما طلبت منه منشفة أكبر لتجفيف جسدي بها. سوى أنني افترضت أن هدفه النهائي لاح في الأفق، ولا يمكنه تحمل حدوث أي شيء لي، مما يعني أنه من المرجح أن يستجيب لأي طلبات ما دامت معقولة. لقد كان انتصارًا كبيرًا، مع أنني كنت قد خططت للبقاء لفترة أطول قليلًا قبل تناول الطعام، فقد فكرت في أنه إذا رغبت في المزيد من الويسكي في الأيام القادمة، فيجدر بي تلبية أوامره الحالية. كما وددت منه أن يحضر لي الويسكي فور رجوعه من العمل؛ رغبت في أن يعتاد سكب الويسكي الخاص بي في نفس الوقت الذي يسكب فيه لنفسه.

قلت:

- طلبت الويسكي لأنني كنت آمل أن يفتح شهيتي (بينما لا تزال ذراعي ممدودة). هل يمكنني شربه من فضلك؟

توقعت منه الرفض، ولكن بعد تردد بسيط سلمه لي. رفعت الكأس إلى شفتي بشغف متظاهر. رائحته جعلت معدتي تنقلب، لكنني على الأقل أعرف أنني على وشك أن أشرب ويسكي وليس شيئًا آخر.

أحسست بأن عينيه مصوبة علي وأنا آخذ رشفة. لم أذق الويسكي من قبل في حياتي كلها، وكان الطعم المر يمثل صدمة. سخر مني قائلًا:

- ألم يعجبك؟

وعرفت أنه لم يصدق أنني حقًّا أحب الويسكي، ولم يعطه لي إلا ليعرف الدافع الحقيقي وراء طلبي في المقام الأول. سألته:

- هل سبق لك أن شربت ويسكي في كوب بلاستيكي؟ (بينما رشفت رشفة ثانية) صدقني، طعمه مختلف تمامًا. ربما يمكنك إحضاره في قدح المرة القادمة.

رفعت الكأس البلاستيكية مرة أخرى وتجرعتها بالكامل. يقول:

- الآن تناولي شيئًا.

دفع الصينية نحوي. دار رأسي من الويسكي، أضع الصينية في حضني. بدا الطعام جيدًا لدرجة أنني سأتمكن من أكله كله في ثوانٍ. من الصعب عدم التهامه، غير أنني قاومت رغبتي الملحة فجعلت نفسي أتناول الطعام ببطء، كما لو أنني لم أستمتع بما أتذوقه. سمحت لنفسي فقط بتناول نصف الصينية، وعندما وضعت السكين والشوكة، لست متأكدة مَن الذي أصابته خيبة أمل أكبر؛ أنا أو جاك.

- ألا يمكنك تناول أكثر من ذلك بقليل؟

قلت بفتور:

- لا، آسفة. ربما غدًا.

غادر وأخذ الصينية معه، وعلى الرغم من أنني ما زلت جائعة، فإن طعم النصر ألذ من أي شيء يمكن أن آكله. لم يكن جاك غبيًّا. في اليوم التالي، حينما لم أتناول أي شيء تارة أخرى، قرر أن يضربني في أضعف نقاط مقاومتي. قال:

- سألغي زيارتنا لميلي غدًا (بينما أخذ الصينية التي لم تُمَس). ليس هناك أي فائدة ترجى من اصطحابها لتناول الغداء إذا لم تأكلي.

علمت أن ثمة خطرًا؛ لن يأخذني لرؤية ميلي، سوى أنها تضحية مستعدة لفعلها. هززت كتفي:

- طيب.

من نظرة المفاجأة التي رمقني بها عرفت أنه كان يتوقع مني أن ألح عليه، وأخبره بأنني بخير بما يكفي للذهاب. سعيدة لأنني لم أفعل ما يتوقعه مني. تنهد قائلًا:

- ستكون ميلي محبَطة للغاية.

- حسنًا، لم تكن هذه هي المرة الأولى.

- لن تكون هذه حيلة لإجباري على إلغاء حفلة عيد ميلاد ميلي، أليس كذلك؟

لم أتوقع أن يتوصل إلى نتيجة كهذه، إنها بعيدة كل البعد عن الحقيقة، سوى أنني أتساءل عما إذا كانت من صالحي.

سألت:

- ولمَ أريدك أن تفعل ذلك؟

- أخبريني أنتِ.

- ربما ينبغي لك أن تحل محلي لمرة واحدة. إذا أتت ميلي إلى هنا، فستقع في حب هذا المنزل. وكيف تظن وقع هذا عليَّ، مع علمي بما تخبئه لها؟ وأعلم أنه لا يمكنني فعل أي شيء لمنع حدوث ما تخطط له.

- دعيني أخمن (تظاهر بالتفكير لبرهة)، ليس أمرًا جيدًا؟

تجمعت دموع زائفة، فكأني أشفق على نفسي.

- نعم، هذا صحيح يا جاك، ليس جيدًا، بل سيئ للغاية، في الحقيقة أفضًل الموت.

- إذن هذا نوع من الإضراب عن الطعام؟

- لا يا جاك، بالطبع ليس كذلك. أعلم أن ميلي ستحتاج إلي، كما علمت أنه يجب علي الحفاظ على قوتي. غير أن فقدان الشهية ليس بيدي، موقنة أن معظم الناس سيفعلون فعلتي في ظل الظروف هذه، (تركت صوتي يرتفع قليلًا) هل لديك أدنى فكرة عما تقوم عليه حياتي يوميًّا؟ عدم القدرة على اختيار ما أريد أن آكله أو متى أريد أن آكل؟ هل تعرف ما يعنيه الاعتماد عليك في كل شيء؟ في بعض الأحيان تضطر إلى الانتظار يومين أو ثلاثة أيام لتأكل، وذلك بسبب عقاب ما، إنك لست أكثر السجانين كرمًا يا جاك!

- ربما لم يكن عليكِ القيام بالعديد من المحاولات للهروب، لو لم تحاولي لما كنت بحاجة إلى حجزك في هذه الغرفة، وكان بإمكانك أن تعيشي حياة كريمة تمامًا معي.

- كريمة بالتحكم في تحركاتي كافة؟! أنت لا تعرف حتى معنى الكلمة! هيا يا جاك، عاقبني، احرمني من الطعام، وانظر إن كنت سأهتم، إذا لم أتناول الطعام مرة أخرى لمدة أسبوع، فسأضعف على الأقل يوم الأحد المقبل.

قال مهدئًا لي حينما أدرك حقيقة ما قلته:

- من الأفضل أن تعودي لتناول الطعام.

سخرت من قوله:

- أو ماذا يا جاك؟ لا يمكنك إجباري على تناول الطعام كما تعرف. (توقفت لبرهة) ولكن بما أنه ليس من مصلحة ميلي أن أموت، أو في مصلحتك، فلماذا لا تقدم لنا معروفًا وتسكب لي ويسكي في المساء حينما تجهز مشروبك الخاص بك؟ وقد ترجع شهيتي قليلًا.

ذكَّرني قائلًا:

- إنني أنا الذي سأحضر الويسكي تذكري.

وبالنسبة إلى الطعام لم يَعُد يحضِره، غير أنه تذكر أنني بحاجة إلى البقاء بصحة جيدة، وقتها بدأ في فعل ما طلبت. تأكدت من أنني لم أتناول الكثير من الطعام، لأنه من المهم أن يعتقد أنني فقدت شهيتي بالفعل، ولكن من المهم بنفس القدر أنني أكلت ما يكفي لأستحق الكمية القليلة من الويسكي التي أحضرها لي حينما رجع من العمل. بحلول الوقت الذي جاء فيه حفل ميلي، كنت واثقة من أنني سأكون قادرة على تحقيق هدفي قبل أن تأتي ميلي للعيش معنا، بعد شهرين من الموعد، ما دام لم يحدث شيء يقطع روتين جاك في تحضير الويسكي كل مساء.

# الحاضر

أقف أمام المنزل وحقيبة السفر عند قدمي. جميع البوابات المزدوجة مغلقة عدا البوابة الصغيرة -التي خرجت منها- مواربة. أسمع سيارة إستير تقترب، وتستدير صوب المنزل، ألوح لها بخفة، تقف بجانبي، تخرج وتفتح صندوق الأمتعة.

- كان بإمكاني الوصول إلى الباب بالضبط كما تعلمين.

تلومني بينما تساعدني في رفع حقيبتي إلى داخل السيارة.

- اعتقدتُ أنني سأختصر الوقت عليكِ، شكرًا لخدمتك بتوصيلي.

تبتسم قائلة:

- لا مشكلة، غير أننا سنضطر إلى الإسراع إذا وددتِ اللحاق برحلتك.

حينما تغلق صندوق الأمتعة، ألوِّح باتجاه المنزل تارة أخرى، وألقي قبلة وأوصد البوابة خلفي قائلة بقلق:

- أتمنى لو أنه آتٍ معي، أكره أن أتركه بمفرده حينما يكون محبطًا للغاية.

- إنها القضية الأولى التي يخسرها، أليس كذلك؟

- بلى، أعتقد أن هذا هو السبب في أنه تعامل مع الأمر بهذه الصعوبة. لكنه ظنَّ أن الزوج مذنب، وأنه لم يأخذ الأمر في الحسبان من الأول. لسوء الحظ، كانت دينا أندرسون غير صادقة تمامًا مع جاك وأخفت عنه أشياء معينة، بما في ذلك حقيقة أن لديها عشيقًا.

- يبدو أنه كان الجاني الحقيقي.

- لا أعرف تداعيات الأمر كلها، لكنني أظن أنه سيخبرني التفاصيل كلها حينما يلحقني. إنه لأمر مضحك؛ اعتدت السفر حول العالم بمفردي، لكن التفكير في قضاء بضعة أيام بمفردي في تايلاند أمر موتر؛ اعتدت وجود جاك معي. لست متأكدة تمامًا مما يتوقع مني أن أفعله خلال الأيام الأربعة المقبلة.

- أظن بأنه حري بك الاسترخاء جيدًا.

- كنت أُفَضل انتظاره، سوى أنه مصر للغاية، (أكمل حديثي) وأعلم أنه أفضل لي عدم مجادلته حينما يحزم قراره بفعل شيء ما. (أنظر إليها) كما ترين؛ يمكن أن يكون غير مثالي في بعض الأحيان.

تذكرني قائلة:

- الإصرار على أخذ الإجازة مهما كان الأمر ليس أمرًا معيبًا.

- لا لا، فحالما وضَّح لي أنه لن يستمتع بالعطلة حينما يرجع، وأن عليه العمل على مستندات كثيرة، فهمت مقصده فهمًا أفضل. إنه يحتاج حقًّا إلى أن يكون قادرًا على الاسترخاء في هذه العطلة، وبخاصة أنها ربما تكون الأخيرة التي سنكون فيها بمفردنا. فمن الطبيعي أنه يفضِّل البقاء والانتهاء من جميع الملفات (أضيف بحزن) على الرغم من أنني لا أزال أفكر لو أنه ربح القضية، فإنه لن يمانع كثيرًا بتذكيره بها حين العودة.

توافقني على قولي:

- ربما يريد أن يضمد جراحه على انفراد، تعلمين طبيعة الرجال.

أعترف لها:

- الأمر هو أننا نأمل في إنجاب طفل في أثناء وجودنا في تايلاند، وهذا سبب آخر لرغبته في الاسترخاء التام، في الوقت الصحيح.

بينما تتورد وجنتاي خجلًا. ترفع يدها عن عجلة القيادة وتضغط على يدي.

- أتمنى لكما التوفيق.

- حسنًا، إن سارت الأمور على خير، فأنت أول من سيعلم، أعدك بهذا، لا أقوى على الانتظار حتى أنجب طفل جاك، لقد واتته خيبة أمل كبيرة حينما أجهضت. حاول أن يساندني، لكنَّ الأمر أثر عليه فعلًا، وبخاصة حينما لم أحمل مرة أخرى بعد الإجهاض مباشرة. أخبرته بأن هذه الأمور تستغرق وقتًا، وأن جسدي بحاجة إلى التعافي أولًا، لكنه بدأ يتساءل عما إذا كان الأمر تحت يده ومتطلبات وظيفته، فكما تعرفين؛ التوتر ومشاعر الضغط.

- هل تظنين أنه قد يرغب في الحضور لتناول العشاء أو أي وجبة أخرى خلال عطلة نهاية الأسبوع؟

- بصراحة أعتقد أنه يفضل البقاء وحيدًا لاستكمال أوراقه. لكن يمكنك دومًا الاستفسار منه، على الرغم من أنني لست متأكدة من أنك ستتمكنين من إيجاده، لأنه ينوي عدم الرد على هاتفه في الأيام القليلة المقبلة. تعين عليه فعلًا التعامل مع وسائل الإعلام حينما خرج من المحكمة بعد ظهر اليوم، ويعلم أنهم سيضيقون عليه الخناق في الأيام المقبلة. لكن تستطيعين دائمًا ترك رسالة على بريده الصوتي؛ هذا ما قاله لي، إن لم أتمكن من الوصول إليه، وبخاصة مع فارق التوقيت والأمور الأخرى.

- هل سيأتيك يوم الثلاثاء؟

- أجل، في وقت مبكر من صباح الأربعاء. رحلته تقلع مساء الثلاثاء، على الرغم من أنه قال إنه قد يتأخر يومًا أو يومين. لكنني أعتقد أنه يمزح، على الأقل آمل أنه كذلك.

- ستقضين أربعة أيام فقط وحدك، آه يا إلهي لو تأتيني هذه الأربعة أيام من السلام! هل سيضطر إلى الذهاب إلى المطار يوم الثلاثاء؟ سيقله روفوس لو أن الأمر كذلك.

- لا، لا بأس. عرض عليه آدم، غير أن جاك سيأخذ السيارة ويوقفها في المطار، حيث إننا سنحتاج إليها عند عودتنا، تصل الرحلة في نحو

الساعة السادسة صباحًا ولن نطلب من أي شخص أن يقلنا في تلك الساعة المتأخرة.

مدهوشة من مدى سهولة الثرثرة في الطريق إلى المطار، توقعت أنها ستكون مضنية، لكن تبدو إستير راضية عن دفة أحاديثنا التي تدور عن أكثر الأشياء العادية. تستفسر مني عما إذا كان بإمكانها وأطفالها الذهاب لرؤية ميلي في عطلة نهاية الأسبوع، وربما أخذها لتناول الشاي، متذكرة مدى توافق ميلي وأيسلينج في الحفلة، ممتنة وسعيدة لأن ميلي ستستقبل بعض الزوار حينما أكون بعيدة. تطلب مني أن أعلِم جانيس بأنهم سيتصلون يوم الأحد، وأعدها بأنني سأوافيها. نصل إلى المطار ولم يتبقَ سوى خمس عشرة دقيقة على الرحلة. لقد أوصلتني إلى بوابة المغادرة، وتركتني مع موجة من البهجة تغمرني. أمشي صوب صالة المسافرين، وأعثر على مكتب الخطوط الجوية البريطانية، وأتجه إلى صالة المغادرة. أقعد في الزاوية، أنتظر حتى يصدح نداء رحلتي.

# الماضي

إلى حين يوم حفلة ميلي، لم أعتقد إطلاقًا أنني سأقتل جاك. كنت أحلم بهذا كثيرًا، ولكن ريثما يأتي سطوع النهار البارد سرعان ما تنهار فكرة قتل إنسان آخر. ربما هذا سبب فشل محاولتي حينما رميت عليه القنينة؛ كنت خائفة جدًّا من ضربه بقوة أكبر عند محاولة قتله. وثمة حقيقة أخرى، مفادها أنني إذا قتلته، فمن شبه المؤكد أنني سأزَج في السجن وسأحتجَز هناك أنتظر المحاكمة، حيث سيكون أمرًا مروعًا لميلي، لذلك كل ما أردته هو أن أطيح به مغمى عليه لفترة كافية لأتمكن من الهروب منه. لكن في اللحظة التي ذكر فيها اصطحابي أنا وميلي إلى نيوزيلندا، علمت أنني سأضطر إلى قتله، مهما كانت العواقب، لأن الابتعاد عنه لن يكون كافيًا.

قلت بمرارة حالما ودعنا ميلي وجانيس بعد الحفلة:

- هكذا ستفعلها إذن. ستوصد المنزل، وتتظاهر بأننا سافرنا جميعًا إلى نيوزيلندا، ثم فجأة تعاود الظهور بمفردك، وتخبر الجميع بأنني أنا وميلي قررنا البقاء هناك بينما سنكون في الواقع مخبأتين في القبو.
- باستثناء أنه سيكون ثمة الكثير من المتاعب لإغلاق المنزل والتظاهر بأنني لست هنا، لذا سأجد عذرًا لتسفيركما إلى نيوزيلندا قبلي، بعدئذ لن يكون هناك ما يستحق للحاق بكما، لأنكما ستعودان فعلًا. وبعد ذلك، بينما أكون على وشك المغادرة إلى المطار لاصطحابك، سأتلقى مكالمة دامعة منك تقولين فيها إن ميلي ترفض ركوب الطائرة وأنك ممزَّقة بين اختيار الزوج المحب والأخت المجنونة، عندئذ لن تركبي الطائرة أيضًا، وزوجك المحب سيخبر الجميع بأنه منحك الإذن للبقاء لمدة أطول قليلًا، إزاء معرفته بمدى صعوبة ترك ميلي وراءك، والمدة الطويلة تلك ستمتد لمدة أطول حتى يأتي اليوم الحزين، وتعلميني

فيه أنك لن تعودي أبدًا. وبما أنني منكسر القلب، لن يجرؤ الناس على ذكر اسمك لي، وفي المحصلة، سينسون أنك وميلي موجودان على هذه الأرض.

سألت:

- ووالداي؟ كيف ستفسر اختفاءنا لهما؟

- ربما سأقتلهما وحسب. الآن هيا اصعدي إلى غرفتك.

ابتعدت عنه حتى لا يستطيع أن يرى كم صدمتني كلماته. بات هاجس قتل جاك أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى، وكنت أعرف أنه إذا عدت إلى غرفتي، فستضيع فرصة أخرى أمامي. حان وقت وضع الجزء التالي من خطتي موضع التنفيذ. سألته:

- ألا يمكنني البقاء هنا قليلًا؟

- لا.

- لم لا؟

- تعرفين جيدًا لماذا.

- متى كانت آخر مرة حاولتُ الهروب فيها؟ انظر إليَّ يا جاك! هل تعتقد حقًّا أنك في خطر بسببي؟ هل فعلتُ أي شيء غير التصرف على أكمل وجه ممكن خلال الأشهر الست الماضية؟ هل تعتقد بصدق أنني أريد المخاطرة بالنزول إلى الطابق السفلي؟

- صحيح أن رحلاتك للغرفة تبدو أنها حققت التأثير المطلوب، ومع ذلك ستصعدين إلى غرفتك.

- أود أن أنتقل إلى غرفة أخرى.

- لماذا؟

- ولمَ تحسب ذلك؟ لأنني بحاجة إلى تغيير منظر أراه كل يوم! لقد سئمت النظر إلى الجدران الأربعة نفسها يومًا إثر يوم!

- طيب.

نظرت إليه في دهشة:

- حقًّا؟!

- نعم، تعالي؛ سآخذك إلى الطابق السفلي ويمكنك النظر إلى الجدران الأربعة هناك بدلًا من ذلك. أو تعتقدين أن غرفتك ربما ليست بهذا السوء؟

قلت بفتور:

- أعتقد أن غرفتي ربما لم تكن سيئة للغاية.

- هذا مخزٍ! كما ترين؛ إن الغرفة في الطابق السفلي خالية لمدة طويلة جدًّا. هل أشركك في سر؟ (انحنى صوبي وخفض صوته هامسًا) كان من الصعب جدًّا ترك ميلي تغادر الآن، أصعب بكثير مما كنت أتصور. في الواقع، كان الأمر عسيرًا لدرجة أنني سأقترح عليها الانتقال فور عودتنا من تايلاند. ما رأيك يا غريس؟ ألن يكون من الجميل أن نكون أسرة واحدة سعيدة؟

علمت حينها أنه لن يتعين عليَّ قتل جاك فحسب، بل سيتعين علي قتله قبل مغادرتنا إلى تايلاند. على الرغم من أنه كان أمرًا مروعًا أن أدرك ضيق الوقت المتبقي لي، فإن تحديد موعد نهائي ساعدني على التركيز. حينما صعدت الدرج أمامه، كنت أخطط بالفعل لخطوتي التالية. سألته وأنا أخلع ملابسي:

- عندما تحضر لي الويسكي، هل ستبقى وتشرب معي كأسًا واحدة؟

- لمَ أرغب الآن في ذلك؟

أجيبه بلا تردد:

- لأنني سئمت من الجلوس وحدي مدة 24 ساعة في اليوم، محاصرة، ولا أحد أتحدث معه، هل لديك أدنى فكرة عما يكون عليه الأمر؟ أشعر أحيانًا كما لو أنني سأصاب بالجنون.

- في الواقع أتمنى ذلك.

رفعت نبرة صوتي:

- ماذا ستفعل إذن يا جاك؟ ماذا ستفعل إذا أُصبتُ بالجنون؟

- بالطبع لن تصابي بالجنون.

دفعني إلى غرفة نومي وأغلق الباب. ناديت:

- ربما! ربما أُجن! وأريد الويسكي في قدح.

عاد بعد عشر دقائق، حاملًا قدحين، لا أعرف ما السبب الذي دفعه إلى فعل ذلك، هل قلق من أنني سأصاب بالجنون حقًّا؟ أو بسبب رفضه لكل ما أطلبه وحسب؟ ولكن مهما كان السبب، قلت:

- شكرًا لك (بينما ارتشفت رشفة). هل يمكنني أن أسألك عن شيء ما؟

- هيا اسألي.

- الأمر يتعلق بقضية توماسين. تزوج ممثلة، أليس كذلك؟ دينا أم امرأة غيرها؟ يبدو أنني أتذكر أنني قرأت شيئًا عن هذا، في الأيام التي سُمِح لي فيها بقراءة الصحف.

- دينا أندرسون.

- هل تتهمه بضربها؟

- من الممنوع مناقشة القضايا.

- حسنًا، يبدو أن الجميع هنا اليوم على علم بها، فإما أنك لم تكن متحفظًا جدًّا أو أنها مشاعة على العامة (أردفت بتعقل) ألا يتبرع بمعظم ثروته في أعمال الخير؟

- هذا لا يعني أنه ليس معنفًا لزوجته.

- ماذا كان يقصد آدم بشأن وجود عشيق لها؟

- قالها من باب الاستفزاز، فليس هناك أي صحة فيما قاله، اخترعت إحدى الصحف الشعبية القصة لتشويه سمعتها.

- ولمَ يفعلون ذلك؟

- لأن أنطوني توماسين هو أحد المساهمين في الصحيفة. الآن اشربي؛ لن أغادر من هنا دون القدح.

حالما غادر، أخرجت الحبوب من المنديل من أسفل فراشي وفتحته، أحصيت الحبوب، عشرون حبة إجمالًا. لم يكن لدي أدنى فكرة عما إذا كانت كافية لقتل جاك، وبخاصة أنني كنت سأضطر إلى استخدام بعضها لنفسي، أولًا وقبل كل شيء لمعرفة مدى قوة تأثيرها، وثانيًا، لمعرفة ما إذا كانت ستذوب في الشراب بمجرد وضعها. دخلت الحمام، انتزعت منديلين من لفة مناديل الحمام، وبعد التفكير كثيرًا، وضعت أربع حبات بينها، على أمل أن تكون كافية لتدخلني في إغماءة من غير أن تمرضني. وضعت المنديل على الأرض وسحقته بقدمي قدر استطاعتي، لم يكن معي كأس لوضع فتافت الحبوب فيها، لذلك استخدمت الجزء العلوي من علبة الشامبو كوعاء وأضفت بعض الماء. ذابت قليلًا، لكن ليس بالقدر الكافي، وعندما شربتها، عرفت أنه يجب أن أجد طريقة لطحن بقية الحبوب إلى مسحوق أنعم. بدأت أشعر بالنعاس بعد نحو خمس عشرة دقيقة ونمت على الفور تقريبًا. نمت بهدوء لمدة أربع عشرة ساعة، وحينما استيقظت شعرت بالترنح والعطش الشديد. نظرًا لأن جاك كان ضعف وزني تقريبًا، فقد توقعت أن ثمانية من الحبوب ستكون لها نفس التأثير تقريبًا عليه، لكن تلك الست عشرة لن تكون كافية لقتله. لقد كانت ضربة كبيرة، لأنه تعين عليَّ إيجاد طريقة فعالة، حالما يفقد وعيه سأنهي كل ما تبقى، وعلى الرغم من أنني أريده ميتًا، فإنني لست متأكدة حينما يحدث هذا فعلًا، هل سأقدر على النزول إلى المطبخ، وإحضار السكين من الدرج، وغرسها في قلبه. قررت ألا أفكر في ذلك كثيرًا وركزت على جعل جاك يبقى معي لمدة أطول قليلًا حينما أحضر لي الويسكي في المساء، مكررةً ما قلته له من قبل؛ إنني سأجن إزاء وحدتي المقيتة، فلا أحد أتحدث معه طوال اليوم. آمل أنه في النهاية سيشعر بالراحة الكافية ليبدأ في تحضير الويسكي لنفسه، كما فعل في يوم حفلة ميلي، لأنه إذا لم يفعل ذلك، فلن تكون لدي أي طريقة لتخديره.

جاءت فرصتي السانحة السعيدة، حينما صارت قضية توماسين غير واضحة كما توقع.

بعد أسبوع من المحاكمة، بينما كنت جالسة على السرير أرتشف الويسكي الذي جلبه لي وأستمع إليه وهو يئن حول عدد الشهود الذين أحضرهم أنتوني توماسين، أخبرته بأنه ينبغي له احتساء الشراب، فذهب يحضره لنفسه.

منذ تلك الليلة، كان يجلب قدحين كل مساء، وحينما بدأ في الجلوس لمدة أطول من ذي قبل، فهمت أنه بحاجة إلى التحدث عما حدث في المحكمة في ذلك اليوم.

لم يناقش القضية معي بتعمق، ولكن تبينت مما قاله أن أنتوني توماسين عيَّن محامي دفاع قويًّا، واتفق مع مجموعة من الأشخاص المؤثرين الذين يشهدون على شخصيته الجيدة. حيث بدا أن القضية ستأخذ منحنى طويلًا يستغرق وقتًا. افترضت أن جاك ألغى رحلتنا إلى تايلاند أو أجَّلها، إزاء عدم ذكرها أبدًا. في المساء يوم مغادرتنا، أتى جاك إلى غرفتي حاملًا كأسين من الويسكي المعتاد. وقال:

- اشربي (بينما يقدم لي كأسًا)، ينبغي لكِ حزم أمتعتك.

- حزم أمتعتي؟

- أجل؛ سنسافر إلى تايلاند غدًا، أتذكرين؟

حدقتُ إليه وكلي هلع:

- ولكن كيف يمكننا أن نسافر بعيدًا إذ لم تنتهِ من القضية بعد؟

أجابني بكآبة وهو يشرب الويسكي:

- ستنتهي غدًا.

- لم أكن أدرك أن هيئة المحلفين قد خرجت.

- خرجوا منذ يومين. لقد وعدوا بإصدار الحكم قبل الغداء من يوم غد.

أحدق إليه من كثب، ولحظت كيف بدا منهكًا.

- سَتربح القضية، أليس كذلك؟

تجرع معظم الويسكي قائلًا:

- تلك الكلبة الغبية كذبت علي.

- ماذا تقصد؟

- لديها عشيق.

- إذن كان هو من عنَّفها؟

قال بجمود:

- لا، زوجها.

لم يقوَ على قول أي شيء آخر.

- إذن ليس لديك ما تقلق بشأنه، أليس كذلك؟

انتهى من كأسه.

- لا تعرفين ما مدى سعادتي إزاء سفرنا إلى تايلاند. إذا كنت قد فشلت في إقناع هيئة المحلفين، فستكون هذه هي القضية الأولى التي أخسرها على الإطلاق، حينها سيكون للإعلام والصحافة يومًا ميدانيًا. أستطيع أن أخمن العناوين الرئيسية من الآن؛ «الملاك الساقط» أو شيء مبتذل من هذا القبيل. صحيح، هل انتهيتِ من أسئلتك؟! حان وقت حزم الأمتعة.

بينما أخرِج الملابس من الخزانة في غرفة النوم المجاورة وجاك يراقبني، كنت آمل ألا يلاحظ مدى رعشتي.

رميت الملابس في الحقيبة دون التفكير فيما كنت أفعله، مشغولة البال فيما يتعين علي فعله غدًا، حينما يرجع من المحكمة، فسأقتله، حيث سيكون هذا قبل وقت طويل كما خططت له، وذلك إزاء حماقتي حينما ظننت أنه لغى فكرة السفر، بيد أنه بدا عليه الشرود والاستغراق في التفكير، فأدركت معنى الفوز بالنسبة إليه، شعرت بالقلق، فكيف سيكون مزاجه حينما يرجع غدًا؟ إذا خسر فقد يصر على المغادرة إلى المطار على الفور للابتعاد عن الإعلام، على الرغم من أن رحلتنا في المساء، مما يعني أنه لن يكون لدي وقت

لتخديره. في تلك الليلة، صليت وكأنني لم أصلِ من قبل. شكوت إلى الرب كل شر فعله وكل شر سيفعله. فكرت في مولي كيف حبسها وتركها تموت من الجفاف. فكرت في ميلي والمصير الذي خططه لها. فكرت في الغرفة في الطابق السفلي. وبغتة طرأ حل لمصيبتي. عرفت بالضبط كيف يمكنني قتله بالفعل. حل مثالي، ومثالي لدرجة أنه إذا نجح، فسوف أفلت حرفيًّا من تهمة القتل.

# الحاضر

حالما تشرع الطائرة في الإقلاع، أبدأ في الاسترخاء قليلًا. بيد أنني أعلم أنه حتى عندما أصل إلى بانكوك، سأظل قلقة. أشك بأن الشعور الخطر سيتلاشى، حتى حقيقة أن ميلي آمنة في المدرسة لا تكفي لتهدئة مخاوفي من أن جاك سيصل إلينا بطريقة ما. كنت أفكر في جلبها معي، ورغبت في إخبار جانيس بأن جاك أعطى ميلي مكانه على متن الطائرة، ويرجو منها إحضارها إلى المطار. غير أنه من الأفضل ألا تشارك فيما سيحدث لاحقًا. سأجد صعوبة في تمالك أعصابي، كما أن مراقبة ميلي في نفس الوقت قد يكون ثقلًا على كاهلي أكثر من اللازم. بعد كل ما مررت به في الساعات القليلة الماضية، فأدنى شيء يمكن أن يجعلني أفقد السيطرة التي أحاول جاهدة الحفاظ عليها. بيد أنني أذكر نفسي بأنه سيكون ثمة وقت كافٍ لأترك قناعي الزائف ينزلق عن وجهي قليلًا حينما أصل إلى تايلاند، فور أن أكون خلف الأبواب الموصدة. إن المرور بمكتب جوازات السفر في بانكوك محض كابوس، يجتاحني الخوف من يد جاك على كتفي أكثر من أي وقت مضى، على الرغم من أنه من المستحيل أن يأتي قبلي، ومع ذلك، أجد نفسي أتحقق من وجه سائق التاكسي قبل ركوب سيارته، لأتأكد من أن جاك ليس جالسًا خلف عجلة القيادة.

في الفندق، يستقبلني السيد «هو»، المدير الذي كتب الرسالة عن حالتي، وعندما أعربَ عن دهشته لكوني بمفردي، بالمثل أعربت عن دهشتي لأنه لم يتلقَ بريدًا إلكترونيًّا من السيد أنجيل يطلب منه الاعتناء بي حتى يصل. يخبرني السيد «هو» بأنه سيكون سعيدًا للاعتناء بي ويواسيني حينما أخبره أن التزامات العمل تمنع زوجي من الانضمام إليَّ حتى يوم الأربعاء. أشعر أن المدير متردد؛ هل من الممكن -كما يسأل- أن زوجي السيد جاك أنجيل، هو

السيد أنجيل المذكور في بعض الصحف الإنجليزية مؤخرًا فيما يتعلق بقضية أنتوني توماسين؟ أعترف بثقة تامة، بأن مَن في الأخبار هو بالفعل زوجي، ويمكننا الاعتماد عليه بأن يبقى متحفظًا، لأننا لا نفضل أن يعرف أحد أين نقيم. أخبرني بأنه ورد في الأنباء العالمية بالأمس أن السيد توماسين قد تمت تبرئته، وعندها أؤكد عليه هل سمع هذا بشكل صحيح، قال لي:

- لا بد أن السيد أنجيل أصيب بخيبة أمل.

أجيبه:

- نعم، لقد أُصيب السيد أنجيل بخيبة أمل كبيرة، وبخاصة أنها كانت المرة الأولى التي يخسر فيها.

حينما سجل السيد «هو» دخولي، سألني كيف أحوالي -إشارة دقيقة لحالتي النفسية- وهل كانت رحلتي جيدة. عندما أخبرته بأنني وجدت صعوبة في النوم، قال إن أقل ما يمكن فعله لعميل جيد مثل السيد أنجيل هو ترقية حجزنا إلى أحد الأجنحة. أشعر بالارتياح لأنني لن أضطر إلى العودة إلى الغرفة التي أدركت فيها بأنني تزوجت وحشًا، فرحت بشدة لدرجة أنني شعرت برغبة في تقبيله.

يصر السيد «هو» على مرافقتي إلى الجناح الجديد بنفسه. يتبادر إلى ذهني لحظتها أنه قد يتساءل لماذا نبقى دائمًا في إحدى الغرف الصغيرة، بينما جاك محامي ذائع الصيت، لذا أتأكد حينها من قول:

- يحب زوجي الحفاظ على إخفاء هويته حينما نكون في عطلة بدلًا من لفت الانتباه إلى نفسه عن طريق التباهي بماله.

لم أقل ذلك تمامًا بهذا الشكل، لكنه فهم الجوهر. حالما يغادر السيد «هو»، أشغل التلفاز وأقلب القنوات بحثًا عن «سكاي نيوز». حتى في آسيا، يُعد حكم توماسين خبرًا مهمًّا، وكما أظهروا أنطوني توماسين وهو يخاطب المراسلين في أثناء خروجه من المحكمة يوم أمس، يظهر جاك في الخلفية، محاصَرًا من قبل الصحفيين. غير قادرة على المشاهدة لفترة أطول، أغلق التلفاز بسرعة. أشعر بحاجتي الماسة إلى الاستحمام، بيد أن ثمة مكالمتين يجب إجراؤهما؛

أحدها لجانيس والأخرى لجاك، لأعلمهما أنني وصلت بأمان. لحسن الحظ، كلا الرقمين أحفظهما عن ظهر قلب؛ جاك حينما التقيته لأول مرة، وجانيس لأنه الرقم الأكثر أهمية في العالم. أنظر إلى ساعتي؛ إنها الثالثة بعد الظهر بالتوقيت المحلي، مما يعني أن الساعة التاسعة صباحًا في إنجلترا. بصفتي زوجة جاك أنجيل، أتأكد من تحديد أولوياتي بشكل صحيح والاتصال به أولًا. ينتابني ذعر مؤقت حينما أدرك أنه في أي وقت خلال العام الماضي، كان بإمكانه تغيير رقمه، يصل إلى مسمعي بريده الصوتي، أشعر بوهن يصاحبه ارتياح عارم. ألتقط نفسًا عميقًا لأهدئ نفسي، وأترك رسالة من زوجة محبة، رسالة من النوع الذي أهتف به لأستمر في عيش الحلم.

- مرحبًا عزيزي، هذا أنا. أعلم بأنك قد لا تتمكن من الرد علي، بيد أنني أرجو أن تجيب، كما تعرف، أفتقدك فعلًا. لكن ربما ما زلت نائمًا. على أي حال، لقد وصلت بأمان، وخمن ماذا؟ شعر السيد «هو» بالأسف الشديد لكوني بمفردي لدرجة أنه رقى حجزنا إلى غرفة أفضل! ومع ذلك أكره أن أكون هنا دونك. على كلٍّ، آمل ألا تطاردك الصحافة والإعلام كثيرًا، كما أنني أتمنى أيضًا أن يحالفك الحظ وتنجز جميع المعاملات الورقية. لا تضغط على نفسك بالعمل كثيرًا، وإن تفرغت قليلًا، أرجوك عاود الاتصال بي. إنني في الغرفة 107، أو سأحاول الاتصال بك مجددًا. أحبك، وداعًا الآن.

أغلِق الخط وأتصل بجانيس، في هذا الوقت من صباح يوم السبت، من المفترض أن تكون قد انتهت هي وميلي من وجبة الإفطار، وفي طريقهما إلى الإسطبلات لحضور درس ميلي في ركوب الخيل. حينما لم ترد جانيس على الفور، ارتعش قلبي من الخوف؛ قد تمكن جاك بطريقة ما من الوصول إلى ميلي. سوى أنها أجابت عليَّ في النهاية، وبينما كنت أتحدث معها، أتذكر إخبارها بأن إستير وأطفالها سيتصلون لرؤية ميلي في اليوم التالي. ثم أتحدث إلى ميلي وحالما أعلم أنها في مأمن، على الأقل في الوقت الحالي، أشعر بتحسن. أسير صوب الحمام. أرى موضع الاستحمام في الزاوية، مخفيًا خلف أبواب معتمة، مما يعني أنه لا يمكنني استخدامه لأن ثمة احتمالًا دائمًا؛

مهما كان طفيفًا، أن أخرج وأجد جاك واقفًا على الجانب الآخر. ألقي نظرة على حوض الاستحمام، ويبدأ عقلي يحوم حول فكرة أنه إذا تركت الباب مفتوحًا، وباب غرفة النوم كذلك، فسأتمكن حينها من رؤية غرفة الجلوس والباب الرئيسي. يغمرني الاطمئنان، أملأ الحوض بالماء، وأخلع ملابسي، أغمر جسدي بهدوء في الماء الساخن. تملؤني المياه حتى كتفي، يتلاشى التوتر الذي غمرني لحظة سماع خطى جاك في المنزل عند تمام الساعة الثالثة بعد الظهر يوم أمس. أجهش وأنتحب، فكأنما جسدي يتمزق من عبراتي. أتمالك نفسي بحلول الوقت الذي يصير الماء فيه باردًا جدًّا لدرجة أنني أرتجف. أهب واقفة، وأخرج من الحوض، ألف نفسي بروب أبيض، وأدخل غرفة النوم. إزاء الجوع الشديد، أختار من قائمة خدمة الغرف. أعلم أنني سأضطر إلى مغادرة غرفتي في وقت ما، إذ سأستمر في التظاهر بأن كل الأمور على ما يرام، ولكنني لا أستطيع فعل هذا الآن. طلبت شطيرة، وحينما وصل، اجتاحني هلع بالغ من فتح الباب، حتى مع وجود سلسلة قفل الباب، فلا يمكنني التخلص من جاك إذا كان هو الطارق، وبدلًا من ذلك أطلب منه ترك الطعام عند عتبة الباب، وهذا لا يعني أن هذا الأمر أفضل كثيرًا، لأنه لا يزال ثمة احتمال أن يكون في الممر يتربص بي، أتحلى برباطة الجأش وأفتح الباب على وسع كافٍ لسحب الطعام إلى الداخل، يغمرني شعور الانتصار الكبير، أتمنى لحظتها لو أنني طلبت قنينة من النبيذ مع الشطيرة حتى أتمكن من الاحتفال فعلًا. بيد أنني أذكر نفسي بأنه سيكون هناك متسع من الوقت للاحتفال لاحقًا، حينما ينتهي كل شيء، بعد خمسة أيام تقريبًا من الآن، إذا كانت حساباتي صحيحة. سواء كانت في محلها أم لا، فليس لدي أي وسيلة لمعرفة ذلك، على الأقل ليس بعد.

حالما أنتهي من طعامي، أفرغ حقيبتي، بينما أنظر إلى ساعتي، تشير لتوها إلى الخامسة والنصف، ولأن لا أحد يتوقع مني أن أذهب لتناول العشاء بمفردي في أول ليلة لي في الفندق، أشعر بأنني معفية للجلوس في غرفتي لبقية اليوم. ينتابني الإرهاق فجأة، فأستلقي على السرير، موقنة بأن النوم لن يواتيني، غير أنني بعد برهة أغط في سبات عميق. حينما أفتح عيني،

وأجد الغرفة مظلمة، أقفز من السرير، ويضرب قلبي في صدري، أركض بين جنبات الغرفة، أفتح الأنوار كلها. أعلم أنني لن أتمكن من النوم مرة أخرى، خوفًا من أفتح عيني وأجد جاك واقفًا فوقي، لذلك أستسلم لقضاء ليلة طويلة مع هواجسي فقط.

ينبلج نور الصباح، أنهض وأرتدي ملابسي، ألتقط سماعة الهاتف لأتصل برقم جاك:

- مرحبًا عزيزي، لا أتوقع منك ردًّا في الساعة الثانية صباحًا في إنجلترا، أظنك نائمًا بعمق، لكنني أود ترك رسالة لك لتسمعها حالما تستيقظ، نويت الاتصال بك قبل أن أنام الليلة الماضية، غير أنني استلقيت على السرير في السادسة مساءً ولم أستيقظ إلا منذ عشر دقائق، وهذا ما يظهِر مدى تعبي! سأذهب لتناول الإفطار بعد برهة من الآن، ولكن ليس لدي أدنى فكرة عن كيف سأقضي بقية اليوم، قد أذهب للمشي وأتنزه، لكن من المحتمل أن أقضي جل وقتي عند المسبح. أيمكنك الاتصال علي حالما تستيقظ؟ يمكنك دائمًا ترك رسالة في مكتب الاستقبال إذا لم أكن في غرفتي. أشعر بأنني بعيدة جدًّا عنك، وإنني بالطبع كذلك. على كل حال، أحبك ومشتاقة إليك، لا تنسَ الاتصال بي.

أشق طريقي لتناول الإفطار. السيد «هو» في خدمتي، يتفقدني، هل نمت جيدًا، وأخبره بأنني نلت قسطًا كافيًا من النوم. يقترح أن أتناول الطعام في الخارج على الشرفة، أعبر الردهة بينما أتذكر كل الأوقات التي سار فيها جاك في طريقي إلى غرفة الطعام، وكانت يده تمسك بذراعي بإحكام بينما كان يهمس بالخطر في أذني. فور خروجي إلى الشرفة، بدأت أحضر لنفسي الفاكهة والفطائر. أجد طاولة في الزاوية، وأتساءل عما إذا كان هناك أي امرأة أخرى في العالم قد خُدعت من قبل في رجل مثلي. يبدو من الغريب أنني لن أتمكن أبدًا من إخبار أي شخص بما مررت به، ولن أتمكن أبدًا من الإخبار عن الوحش الذي كنت متزوجة به، خصوصًا إذا سار كل شيء كما أتمنى.

ألتهم طعامي بتؤدة؛ لأضيع وقتي، بينما آكل، أدرك أنه إذا رفعت رأسي، فسأتمكن من رؤية شرفة الغرفة في الطابق السادس حيث أمضيت هناك

ساعات طويلة وحدي. أظل في مكاني لأكثر من ساعة، وأتمنى وقتها لو أحضرت كتابًا معي. قد يبدو الجلوس بمفردي دون أي شيء أتسلى به مريبًا، حيث لا يمكن أن يكون ثمة الكثير من الأشخاص الذين يقضون عطلتهم دون أخذ أي كتاب معهم، باستثناء الذين يسافرون على عجل. أتذكر جاك وهو يمشي معي أمام مكتبة لبيع الكتب المستعملة، في طريقنا لالتقاط صور لنا نحن الاثنين كأننا نقضي وقتًا رائعًا في بانكوك، لذلك قررت الذهاب إليها، غادرت الفندق متجهة صوب المكتبة باحثة عنها، حيث وجدتها بسهولة.

إنها من الأماكن التي أحبها، سوى أنني أشعر بأن وجودي واضح ومكشوف، لذا أبتاع كتابين وأعود أدراجي إلى الفندق. أتعجب من نفسي؛ كيف يواتيني الشعور بالأمان نسبيًّا في مكان يحمل الكثير من الفظائع التي مررت بها. أصعد إلى غرفتي، أرتدي ملابس السباحة، ثم أنزل إلى المسبح، حامية نفسي بكتاب ومنشفة. حينما أخرج من المسبح، ألاحظ رجلين يحدقان باتجاهي، وأستعد لمحادثتهما، لو قررا المجيء والتحدث معي، فجوابي سيكون زوجي سيصل في غضون يومين. أقضي وقتي حتى الساعة الثالثة مساء بصحبة كتابي والسباحة. أغادر الشرفة، وأصعد إلى غرفتي حيثما أترك رسالة مخيبة للآمال على هاتف جاك المحمول.

- جاك، هذا أنا. تمنيت لو أنك قد اتصلت بي الآن، ولكن ربما ما زلت نائمًا، وهو أمر لا يمكن أن يكون سوى شيء جيد، لأنني كنت قلقة من أن تؤذي نفسك بالعمل لمدة 24 ساعة في اليوم. قضيت وقتي في المسبح طوال الصباح، لذا سأذهب في نزهة على الأقدام الآن. سأتصل بك حالما أعود. أحبك.

أنتظر في غرفتي لمدة ساعة أو نحو هذا، ثم أنزل إلى الردهة، ألوح سريعًا صوب السيد «هو»، الذي يبدو أنه يعمل 24 ساعة في اليوم. أخرج من الأبواب الرئيسية، وأتجول لبعض الوقت. أجد نفسي في السوق، أقضي وقتي في شراء الأوشحة الحريرية لجانيس وميلي وأشتري بعض البطاقات البريدية، أذهب صوب حانة، وأطلب كوكتيلًا غير كحولي، بينما أقرأ كتابي، وأكتب

رسائلي البريدية، وأتساءل وقتها كيف سأتمكن من قضاء وقتي في اليومين المقبلين.

حالما أعود إلى الفندق، يحاصرني السيد «هو»، والذي يريد أن يعرف ما إذا كنت أستمتع بوقتي. بلا شك، أخبره بأنني ضائعة من غير جاك، وأسأله عما إذا كان بإمكاني حجز رحلة في اليوم التالي. يخبرني عن رحلة ليلية إلى المعابد القديمة التي يقوم بها بعض ضيوف الفندق، فيسألني إذا كنت مهتمة بالانضمام إليهم. إنه الحل الأمثل، لكن من المهم ألا أبدو متلهفة جدًّا، لذا أتذمر قليلًا، وأسأل متى سنعود بالضبط، مشيرة إلى أن جاك سيأتي صباح يوم الأربعاء. يعدني بأنني سأعود إلى الفندق مساء الثلاثاء، وبعد تردد ومماطلات أتصنع بأن قوله أقنعني. أضفت قائلة، بأنني سأضطر إلى الاستيقاظ في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، وعلى الأرجح سأتناول العشاء في غرفتي، يوافقني على أنها فكرة جيدة.

أصعد إلى غرفتي وأتصل بجاك مرة أخرى.

- مرحبًا عزيزي، لم أتلق أي رسالة منك حتى الآن، وإنني أتساءل عما إذا كنت قد ذهبت إلى إستير لتناول طعام الغداء؛ قالت إنها ستدعوك مجددًا في وقت ما. أخبرتها بأنك ربما تكون مشغولًا للغاية، ولكن ربما تحتاج إلى استراحة. على أي حال، أردت فقط أن أخبرك بأنني قررت الذهاب في رحلة ليلية إلى بعض المعابد، حيث سأغادر في وقت مبكر من صباح الغد، إن السيد «هو» الذي اقترح ذلك، على الأقل سيمر الوقت سريعًا حتى تصل إلى هنا. أكره فكرة عدم التحدث إليك قبل مساء يوم الثلاثاء، حيث سيكون الوقت عندك بعد الظهر. سأشتري بالتأكيد هاتفًا محمولًا حينما نعود إلى إنجلترا! لكنني سأهاتفك حالما أعود إلى الفندق وآمل أن ألحق بك قبل أن تغادر إلى المطار. أعتقد أنني قد ألتقي بك في المطار هنا عند وصولك، أعرف بأنك قلت لا، حيث ستشق طريقك صوب الفندق بمفردك، ولكن ربما بعد الابتعاد عني لمدة أربعة أيام قد غيرت رأيك! لا أطيق الانتظار! متلهفة لرؤيتك، تعلم جيدًا أنني لن أذهب أبدًا دونك مرة أخرى بغض النظر عن مقدار

العمل لديك. حسنًا، من الأفضل أن أذهب لأحزم بعض الأشياء. تذكَّر أنني أحبك كثيرًا. سأكلمك يوم الثلاثاء. لا ترهِق نفسك في العمل!

في صباح اليوم التالي، أذهب إلى الرحلة، وأنا هناك أتعرف إلى زوجين رائعين في منتصف العمر، وعندما أوضح أنني وحدي أنتظر زوجي، يأخذانني معهما. أتحدث معهما عن جاك وعن العمل الرائع الذي يقوم به، نيابة عن زوجات يتعرضن للضرب، أتحدث بأسلوب مقنع لدرجة أنني أصدق ذلك. يستنتجان فورًا من هو زوجي إزاء قراءة الصحف وينتهي بي الأمر إلى الاعتراف بأن جاك أنجيل هو زوجي بالفعل. لحسن الحظ أنهما متحفظان بما يكفي لعدم ذكر قضية توماسين على الرغم من أنني أستطيع أن أقول إنهما متحمسان لذلك. غير أنني أدير دفة الحديث، وأخبرهما عن ميلي، وعن مدى تطلعنا لمجيئها للعيش معنا، وعمق شكري وامتناني لوجود زوج رائع. أخبرهما عن منزلنا، وعن غرفة نوم ميلي الصفراء، وعن الحفلة التي أقمناها في عيد ميلادها الثامن عشر، قبل أسابيع قليلة وحسب. بحلول الوقت الذي نعود فيه إلى الفندق، في وقت لاحق من مساء يوم الثلاثاء، أصبحنا أصدقاء مقربين، أكثر مما كنت أتوقع، وبينما نذهب إلى غرفنا، أقبل دعوتهما الكريمة لي أنا وجاك لتناول العشاء معهما بمجرد وصوله. في غرفتي، أنظر إلى ساعتي، إنها الساعة الحادية عشرة تقريبًا، يعني أنها الخامسة بعد الظهر في إنجلترا. من المعقول أن يكون جاك قد غادر بالفعل إلى المطار لذلك أتصل بهاتفه المحمول وأتصل ببريده الصوتي. هذه المرة أتأكد من أن نبرة صوتي تبدو فزِعة.

- جاك، هذا أنا. لقد عدت للتو من الرحلة إلى المعابد في وقت متأخر عما كان مخططًا له، ولا أستطيع أن أصدق أنك ما زلت لا ترد على هاتفك. آمل ألا يعني ذلك أنك ما زلت تعمل لأنه يجب أن تغادر إلى المطار حالًا، إلا إذا كنت في طريقك بالفعل. أيمكنك الاتصال بي بمجرد تلقي هذه الرسالة من فضلك؟ فقط لتطمئنني بأن كل شيء على ما يرام لأنك ستغادر الليلة. أعلم أنك أخبرتني بأنك ستكون «بمعزل عن العالم الخارجي»، لكني ظننت أنني سأتمكن من التحدث إليك مرة واحدة

على الأقل قبل مغادرتك! وكنت آمل أن أجد رسالة تنتظرني على هاتفي هنا. لا أقصد التذمر، سوى أنني بدأت أشعر بالقلق قليلًا إزاء صمتك. آمل ألا يعني ذلك أنك لا تريد أن تخبرني بأنك لن تأتي حتى يوم الخميس! على أي حال، أرجوك عاود الاتصال بي بمجرد تلقي هذه الرسالة. لا تقلق من أنني سأكون نائمة؛ لن أنام.

أنتظر نصف ساعة أو نحوها، أعاود الاتصال على رقمه، وعندما ينتقل إلى بريده الصوتي، أترك رسالة قائلة فيها:

- إنه أنا مجددًا، من فضلك اتصل بي.

بعد نصف ساعة، أتصل تارة أخرى، لا رد! أتنهد محبَطة وأنهي المكالمة. أفتش حقيبتي، أخرج بطاقة عمل جاك وأتصل بمكتبه.

يجيب موظف الاستقبال، ودون إعطاء اسمي، أطلب أن يحوِّلني إلى آدم.

- مرحبًا يا آدم، إنها أنا غريس.

- غريس! كيف حالك؟ وكيف تايلاند؟

- إنني بخير وتايلاند جميلة أكثر من أي وقت مضى. حسبت أنك ربما لا تزال في المكتب؛ أتمنى أن اتصالي لم يزعجك.

- لا، لا بأس، كنت في اجتماع مع أحد العملاء، لكنه غادر للتو، شكرًا للرب. إنها واحدة من تلك الحالات التي لا أرغب بالتحديد في توليها، لكن زوجته مصممة على اصطحابه إلى عمال النظافة ولا يسعني الشعور سوى بالأسف تجاهه، ليس لأنني أحب أن أغدق مشاعري على أي أحد في طريقي بالطبع (يضيف ضاحكًا)، هذا بالتأكيد لن يكون مفيدًا للأعمال.

أوافقه على كلامه وأقول:

- على أي حال، لن أبقيكَ طويلًا، لقد تساءلت فقط عما إذا كنت قد رأيت جاك طوال عطلة نهاية الأسبوع، أو على الأقل تحدثت إليه، لأنني لم أتمكن من الوصول إليه وبدأت أقلق قليلًا. أعلم أنه أخبرني بأنه لن

يرد على هاتفه بسبب الإعلام، لكنني اعتقدت أنه قد يجيبني. ربما يرد عليك؟

يسود صمت قصير.

- هل تقولين إن جاك لا يزال في إنجلترا؟
- نعم، حتى الليلة، على كل، إنه سيأخذ الرحلة المسائية، على الأقل أتمنى أن يكون فيها. لقد قال إنه قد لا يكون قادرًا على الوصول إلى هنا حتى يوم الخميس، لكنني لم أعتقد أنه كان يقصد ذلك حقًّا. المشكلة هي أنني لا أستطيع الوصول إليه.
- غريس، لم يكن لدي أدنى فكرة أن جاك هنا، اعتقدت أنه كان معك في تايلاند، وحسبت أنه غادر مساء الجمعة، بعد القضية.
- لا، لقد جعلني أسبقه. قال إنه يريد أن ينتهي من جميع الأوراق أولًا، وإنه لا يستطيع تحمل فكرة الاضطرار إلى مواجهة كل شيء حينما يرجع.
- حسنًا، يمكنني تفهم ذلك، على ما أعتقد ليس هناك ما هو أسوأ من العودة من العطلة ووجود كثير من الأعمال المتراكمة، ويكون الأمر أصعب دائمًا حينما يتعلق الأمر بقضية خاسرة. أعتقد أنه لا بد أنه يشعر بالإحباط الشديد.
- نعم، يمكنك قول هذا. في واقع الأمر، لم أره قط بهذا الإحباط، ولهذا السبب أردت البقاء معه. لكنه قال إنه يفضل أن يكون بمفرده، وأنه إذا كنت في الجوار، فسيستغرق الأمر وقتًا أطول لتجاوز كل شيء، ومن ثم نفقد كلانا العطلة. وهأنذا هنا في تايلاند.
- أصارحك؛ لم أفهم قط سبب توليه القضية من البداية.

أقترح:

- ربما ترك عواطفه تعترض طريقه. لكن الأمر الآن يا آدم، لا بد أنك عرفت أنه سيبقى في إنجلترا، لأنك لم تعرض اصطحابه إلى المطار هذا المساء؟

- متى؟

- أفترض بأنه قال لك هذا يوم الجمعة، حينما أخبرك أنه سيتأخر عن السفر.

- آسف يا غريس، أخشى أنني لم أتحدث إلى جاك منذ صباح الجمعة قبل مغادرته من المحكمة، على الرغم من أنني تركت رسالة على بريده الصوتي، حيث كنت متعاطفًا معه بشأن خسارة القضية.

- أتقول إنك لم تسمع أي أخبار عنه منذ مغادرتك؟!

- أجل.

- لم أكن قلقة للغاية في البداية لأنه حذرني من أنه لن يرد على هاتفه، وعلى أي حال، كنت بعيدة في رحلة في اليومين الماضيين. لكنني توقعت أنه قد ترك على الأقل رسالة على هاتفي هنا في الفندق ليخبرني أن كل شيء يسير على موعده المحدد لهذه الليلة. ربما يكون قد غادر بالفعل متوجهًا إلى المطار، كما تعرف كيف تكون حركة المرور في ساعة الذروة، لكنه حتى الآن يحولني إلى بريده الصوتي. أعلم أنه لن يرد على الهاتف إذا كان يقود سيارته بيد أنني محبَطَة حقًّا.

- ربما نسي إعادة تشغيله إذا كان مغلقًا منذ يوم الجمعة.

- ربما. اسمع يا آدم، لن أضيع المزيد من وقتك، متأكدة من أن كل شيء على ما يرام.

- هل تريدين مني الاتصال ببعض الأشخاص، ومعرفة ما إذا كانوا قد تحدثوا إليه طوال عطلة نهاية الأسبوع؟ هل هذا سيريحك؟

نبرة الإغاثة تغمر صوتي:

- نعم، بالتأكيد. يمكنك البدء بإستير؛ حينما أقلتني إلى المطار قالت إنها ستدعو جاك في وقت ما خلال عطلة نهاية الأسبوع.

- حسنًا سأفعل ذلك.

- شكرًا آدم. بالمناسبة، كيف حال ديان والأطفال؟

- جميعهم بخير. دعيني أجري تلك المكالمات وسأعود إليك. هل يمكنك أن تعطيني رقمك هناك؟

قرأت له تلك الأرقام من مفكرة الفندق، التي كانت على طاولة بجانب السرير، وجلست على السرير للانتظار. أحاول القراءة، لكني أجد صعوبة في التركيز. بعد نصف ساعة أو نحو ذلك، اتصل آدم ليخبرني بأنه لم يجد أي شخص تحدث بالفعل إلى جاك خلال عطلة نهاية الأسبوع على الرغم من أن العديد من الأشخاص رأوه في المكتب قبل مغادرته للمحكمة.

- لقد حاولت الاتصال به أيضًا عدة مرات بنفسي، لكنني تلقيت بريده الصوتي في كل مرة، كما فعلت إستير عندما حاولت الاتصال به. لكن هذا لا يعني شيئًا، كما قلت؛ ربما نسي فقط إعادة تشغيله مرة أخرى.

- لا أظن أنه نسي ذلك، وبخاصة أنه يعرف أنني سأرغب في التحدث إليه. وثمة شيء آخر فكرت فيه؛ لماذا أخبرني أنك عرضتَ اصطحابه إلى المطار بينما لم تقم بذلك فعلًا؟

- ربما كان ينوي أن يطلب مني ذلك ثم غير رأيه. اسمعي، لا تقلقي، متأكد من أن كل شيء على خير ما يرام. موقن من أنه سيكون على متن الرحلة الليلة.

- هل تعتقد أنه إذا اتصلت بالخطوط الجوية البريطانية في غضون ساعتين سيخبرونني ما إذا كان قد صعد الطائرة أم لا؟

- لا، لن يخبروك، ليس إلا إذا كانت حالة طارئة. نظرًا لسرية المسافرين وكل هذه الأمور.

تنهدت قائلة:

- إذن أعتقد أنني سأضطر إلى الانتظار حتى صباح الغد.

- حسنًا، عندما ترينه، تأكدي من معاتبته على تركك قلقة. وأخبريه بأن يرسل لي رسالة نصية ليعلمني أنه قد وصل.

- هل يمكنك أن تعطيني رقم هاتفك المحمول بدلًا من رقم المكتب؟

أعطاه لي ودونته.

- شكرًا يا آدم.

أجد صعوبة في النوم مجددًا. في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، أرتدي ملابسي الأنيقة، وأبدو في أجمل حلة، أنزل إلى الردهة. يقف السيد "هو" كالعادة في مكتب الاستقبال. يخمن أنني جئت لأنتظر جاك، ويخبرني بأنني قد أنتظر طويلًا، حيث توجد قوائم انتظار في فحص الجوازات بالإضافة إلى الوقت الذي ستستغرقه سيارة الأجرة من المطار. يقترح علي أن أتناول وجبة الإفطار، لكنني أخبره بأنني أفضِّل انتظار جاك، وأنه بلا شك سيكون جائعًا حينما يصل.

أختار مقعدًا ليس ببعيد عن الباب الرئيسي وأجلس أنتظر. مع مرور الوقت، أنظر إلى ساعتي بقلق، وحينما يتضح أن ثمة خطبًا ما، أسير صوب السيد «هو» وأسأله عما إذا يمكنه معرفة ما إذا كانت رحلة لندن قد وصلت في الوقت المحدد. تفقد جهاز الكمبيوتر الخاص به، وعندما يخبرني بأن الرحلة تأخرت في الواقع وأنه من المقرر أن تهبط في أي لحظة، لم أصدق حظي، لأنني لن أضطر إلى التظاهر بالذعر لساعتين أخريين. يبتسم السيد «هو» لنظرة الارتياح التي ترتسم على محياي، وأعترف أنني بدأت أشعر بالقلق من عدم ظهور جاك. أعاود الانتظار ويحضِر لي السيد «هو» كوبًا من الشاي، ليساعدني في تمضية الوقت. بعد ساعتين تقريبًا، لم يصل جاك، حان الوقت لبدء الشعور بعدم الارتياح. أطلب استخدام الهاتف في مكتب الاستقبال، وبينما أتصل على رقم جاك، أخبر السيد «هو» أنه على الرغم من أن جاك نبهني من أنه قد لا يجد إلا رحلة مساء يوم الأربعاء، فإنني ما زلت أشعر بالقلق إزاء عدم اتصاله. حينما حولني إلى بريده الصوتي، بدا صوتي مرتعشًا بدموع خيبة الأمل والإحباط.

- جاك، أين أنت؟ أعلم أن الرحلة قد تأخرت، لكن يجب أن تكون هنا الآن. آمل ألا يعني ذلك أنك لن تصل حتى الغد، إذا كان هذا هو الحال بإمكانك على الأقل إخباري. ألديك أدنى فكرة عن مدى القلق الذي جعلتني أشعر به بعدم اتصالك خلال الأيام الأربعة الماضية؟ حتى لو كنت لا تريد الرد على هاتفك، فمن الممكن أن تتصل بي هاتفيًا، ولا

بد أنك قد تلقيت جميع رسائلي. من فضلك اتصل بي يا جاك، إنه أمر مروع أن أكون عالقة هنا ولا أعرف ما يحدث، لا يعني ذلك إنه لا يتم الاعتناء بي جيدًا، (أضفت على عجل مدركة أن السيد «هو» يستمع) لأنني بخير، لكني أريدك هنا وحسب. من فضلك اتصل بي وأخبرني بما يحدث. إنني في الردهة الآن، لكنني سأعود إلى غرفتي، أو يمكنك ترك رسالة عند السيد «هو» في مكتب الاستقبال. أحبك.

أغلقت الخط، لأجد السيد «هو» ينظر إليَّ بتعاطف. فيقترح علي تناول الفطور، وعندما أخبره بأنني لست جائعة، يعدني بالاتصال بي في حال اتصل جاك، لذلك أسمح له بإقناعي بأن آكل شيئًا ما. بينما أشق طريقي إلى الشرفة، أصادف مارجريت وريتشارد، الزوجين اللذين قابلتهما في اليوم السابق في الرحلة إلى المعابد، تمتلئ عيناي بدموع خيبة الأمل حينما أوضح أن جاك لم يحضر. يخبرانني بأنه لا داعي للقلق، وينبهانني أنني قلت إنه قد يتأخر، ويصران على أن أقضي اليوم معهما. أخبرهما بأنني أفضِّل البقاء في الفندق للساعتين القادمتين في حال اتصل جاك، أو ظهر فجأة، لكنني سألحق بهما في فترة ما بعد الظهر إذا لم يصل.

أصعد إلى غرفتي وأتصل بآدم. أشعر بالارتياح حينما لم يجب، فأترك رسالة أخبره فيها بأن جاك لم يكن على متن الطائرة.

في وقت لاحق، أنزل للانضمام إلى مارجريت وريتشارد، التوتر الناتج عن عدم سماعي من جاك مرئي بوضوح على وجهي، وبخاصة عندما أخبرهما بأنني هاتفته على المحمول مرة أخرى ولعدة مرات دون جدوى. إنهما المعنى الحقيقي للطف بحد ذاته ويسعدني أن يساعداني في تصفية ذهني. أمضي الوقت معهما في الاتصال بجاك مرات عديدة، أحثه على الاتصال بي. في المساء، يرفض أصدقائي الجدد السماح لي بالجلوس والاكتئاب بمفردي فنتناول العشاء معًا، حيث يتحدثان بشوق عن مدى تطلعهما للقاء جاك في صباح اليوم التالي. في النهاية، أعود إلى غرفتي في منتصف الليل تقريبًا وأجد رسالة من آدم، يقول فيها إنه آسف فاتته مكالمتي، ويسألني عما إذا كنت أريده أن يذهب إلى المنزل ليرى ما إذا كان جاك لا يزال هناك. أعاود

الاتصال به وأخبره أن يفعل ذلك، إذا كان لا يمانع، ولكن بعد ذلك ندرك أنه إذا كان جاك سيحجز الرحلة في ذلك المساء، فسيكون قد غادر بالفعل إلى المطار. لذلك أخبره بألا يزعج نفسه وأنني سأتصل به فور وصول جاك، ونمزح مجددًا بشأن الملامة التي سألقيها عليه لأنه أقلقنا جميعًا.

في صباح اليوم التالي، تبقيني مارجريت وريتشارد بصحبتهما بينما أنتظر وصول جاك من المطار، لذا فهما موجودان ليشهدا حزني حينما لم يصل. بناءً على اقتراح مارجريت، أحاول أن أعرف من الخطوط الجوية البريطانية ما إذا كان جاك على متن الطائرة، لكنهم غير قادرين على مساعدتي، لذلك أتصل بالسفارة البريطانية. أشرح لهم كل شيء، وربما لأن اسم جاك معروف، يخبرونني بأنهم سيرون ما يمكنهم فعله. عندما يتصلون مرة أخرى ويؤكدون أن جاك لم يكن على متن الطائرة، أنفجر في البكاء. أتمكن من جمع شتات نفسي لفترة كافية لأخبرهم بأنه لا يبدو أنه في المنزل أيضًا، لكن على الرغم من تعاطفهم، فإنهم يخبرونني بأنه لا يوجد الكثير يمكنهم القيام به في هذه المرحلة. يقترحون علي الاتصال على الأصدقاء والمعارف في إنجلترا لمعرفة ما إذا كانوا يعرفون مكانه، أشكرهم وأغلق الخط. مع مارغريت بجانبي، أتصل بآدم، وبصوت يرتجف من القلق، أخبره بما حدث. يعرض على الفور الذهاب مباشرة إلى المنزل، يتصل بي بعد نصف ساعة ليقول إنه يقف خارج البوابات، لكن كل شيء مغلق ولم يرد أحد على الجرس. لذلك أظهِر الشعور بالقلق من تعرض جاك لحادث في طريقه إلى المطار، وعلى الرغم من طمأنته لي، يقول إنه سيجري بعض الاستفسارات. أخبرته بأن السفارة البريطانية اقترحت أن أحاول معرفة ما إذا كان أي شخص قد تحدث معه منذ أن غادرت، فعرض أن يقوم بالمكالمات نيابة عني.

بينما أنتظر عودة آدم للاتصال بي، تتصل ديان لتطمئنني وتخبرني بأن آدم يبذل قصارى جهده لتعقب جاك. نتحدث لمدة من الوقت، وبعد أن أنهي المكالمة، تبدأ مارجريت في طرح أسئلة لطيفة علي، وتبين لي أنها وريتشارد يتساءلان عما إذا كان ثمة شخص آخر في حياة جاك، شخص ربما قد يهرب

معه. أخبرها مذعورة بأنه لم يخطر ببالي هذا قط، لأنه لم يكن ثمة أي خطب في سلوكه يوحي بوجود ذلك، لكنني أفترض أنه احتمال سأضطر إلى التفكير فيه. يرن الهاتف مرة أخرى.

- غريس؟

- مرحبًا آدم (أجعل صوتي يبدو مترددًا، كما لو كنت أخشى ما سيقوله لي)، هل تمكنت من معرفة أي شيء؟

- إن جاك لم يتم تسجيل دخوله في أي من المستشفيات التي اتصلت بها، وهذه أخبار جيدة.

- إنها بالفعل كذلك.

أوافقه، وأتنفس الصعداء.

- على الصعيد الآخر، اتصلت بأكبر عدد ممكن من الناس الذين خطروا على بالي، ولا يبدو أن أحدًا قد سمع منه، على الأقل ليس خلال الأيام القليلة الماضية. لذلك أخشى أننا نعود إلى نقطة الصفر الأولى حقًا.

تنظر إليَّ مارجريت، التي تومئ برأسها مشجعة. أقول:

- ثمة أمر أود أن أسألك عنه يا آدم.

- تفضلي.

- هل من الممكن أن يكون جاك على علاقة غرامية، ربما مع امرأة ما في المكتب؟

كلماتي خرجت بسرعة.

- علاقة؟ جاك؟ (يبدو آدم مصدومًا) لا بالطبع لا. لن يفعل أي شيء من هذا القبيل. بالكاد نظر إلى امرأة أخرى قبل أن يقابلك وهو بالتأكيد لم يفعل هذا منذ أن قابلك. يجب أن تعرفي ذلك جيدًا يا غريس.

مارجريت، التي توقعت رده، تقبض على يدي. عقَّبتُ على كلامه:

- نعم أدرك ذلك. الأمر أنني لا أستطيع التفكير في أي سبب آخر وحسب إزاء اختفائه فجأة دون أن يترك أثرًا.

- هل يمكنكِ التفكير في أي أصدقاء آخرين لديه، أشخاص ربما لا أعرفهم؟
- انتظر لحظة، ماذا عن مويرا وجايلز؟ كما تعلم، الأشخاص الذين كانوا في حفلة ميلي. ربما يمكنك الاتصال بهما. ولكن ليس لدي أرقامهم.
- دعي الأمر لي. ما هو لقبهم؟
- أظن أنه كيلبورن هاوز.

يعدني قائلًا:

- سأتصل بهما وأعود إليكِ.

يعاود الاتصال بي بعد نصف ساعة، وحينما يخبرني بأنهما لم يسمعا من جاك أيضًا، يصيبني الذهول. لا يبدو أن أحدًا يعرف ماذا يفعل. الإجماع العام -من مارجريت وريتشارد وآدم وديان- أنه من السابق لأوانه الإبلاغ عن شخص مفقود، لذا أخبروني بأن أفضل شيء فعله هو محاولة نيل قسط من النوم ومعرفة ما إذا كان جاك سيأتي في صباح اليوم التالي.

لم يأتِ. يمر اليوم بضبابية حيث يتولى السيد «هو» ومارجريت، وريتشارد، وآدم زمام الأمور. أخبرهم بأنني أريد العودة إلى المنزل، لكنهم يقنعونني بالبقاء ليوم آخر في حال قد يصل جاك، لذلك أنتظر.

في وقت مبكر من بعد الظهر -الساعة الثامنة صباحًا في إنجلترا- يتصل آدم ليقول إنه تحدث إلى الشرطة المحلية وأنهم، بإذن مني، سيقتحمون المنزل لمعرفة ما إذا كان بإمكانهم العثور على أي شيء يشير إلى أين ذهب جاك. يتصلون بي أولًا ويطلبون مني محاولة تذكر آخر مرة رأيت فيها جاك، وأخبرهم بأنه حينما جاءت إستير لاصطحابي إلى المطار، لوح لي من نافذة المكتب. أوضح أنه لم يكن قادرًا على اصطحابي إلى المطار بنفسه لأنه تناول كمية كبيرة من الويسكي حينما عاد من العمل، وأضيف أنني لم أرغب بشكل خاص في المغادرة إلى تايلاند بمفردي إلا أن جاك حثني على ذلك حينما بدأت قضية توماسين تبدو وكأنها ستنتهي، حيث قد اضطر إلى ذلك. أخبروني بأنهم سيعودون إلي في أقرب وقت ممكن. أجلس في غرفتي

وأنتظر الاتصال، بينما مارجريت بجانبي ممسكة بيدي. أعلم أن الأخبار التي أنتظرها ستأخذ وقتًا، وبعد فترة أخبرت مارجريت برغبتي في محاولة النوم والاستلقاء على السرير.

أتمكن من النوم حتى اللحظة التي كنت أنتظرها منذ وصولي إلى تايلاند أخيرًا. يبدأ الأمر بقرع الباب، ولأنني لم أتحرك، تذهب مارجريت لتفتح. أسمع صوت رجل ثم تجيء مارجريت إلى السرير، وتضع يدها على كتفي، وتهزني قليلًا، وتخبرني بأن ثمة من يريد أن يراني. بينما أجلس، أراها تغادر الغرفة، وأرغب في مناداتها لأخبرها بألا تتركني، لكنه كان يسير نحوي بالفعل لذا فقد فات الأوان. قلبي ينبض بسرعة كبيرة، ويخفت تنفسي لدرجة أنني لا أجرؤ على النظر إليه حتى أتمكن من استجماع نفسي، مع ثبات عيني على الأرض، أرى حذاءه أولًا. إنه مصنوع من الجلد الجيد وملمع جيدًا، تمامًا كما أتوقعه. يقول اسمي، وبينما تتحرك عيناي لأعلى، أرى بذلته داكنة اللون، مصنوعة من قماش خفيف الوزن، تقع عيناي على وجهه، إنه بشوش لكن يعلوه القلق كما ينبغي أن يكون. يقول:

- سيدة أنجيل؟

- نعم؟

ثمة أثر للقلق في صوتي.

- اسمي أليستر ستراكان، من السفارة البريطانية.

يستدير، فأرى امرأة شابة تقف خلفه.

- وهذه فيفيان داشمور. أتساءل عما إذا كان بإمكاننا الحديث.

أقفز على قدمي:

- هل الأمر يتعلق بجاك؟ هل تمكنتم من العثور عليه؟

- نعم، أو بالأحرى، الشرطة في إنجلترا تمكنت من ذلك.

يغمر الارتياح وجهي.

- الحمد للرب على ذلك! أين هو؟ لماذا لم يكن يرد على هاتفه؟ هل هو في طريقه إلى هنا؟

تقترح الشابة:

- ربما يمكننا الذهاب والجلوس؟

- بالطبع.

أرشدهما إلى غرفة الجلوس. أجلس على الأريكة ويجلسان على الكراسي. أستفسر قائلة:

- أين هو؟ أعني... هل هو في طريقه إلى هنا؟

يجيبني السيد ستراكان بتردد:

- آسف جدًّا لاضطراري إلى إخبارك بهذا سيدة أنجيل، لكنني أخشى أنه قد تم العثور على السيد أنجيل ميتًا.

أحدق إليه، وعيناي مفتوحتان على اتساعهما من هول الصدمة، ويغطي الارتباك وجهي. أرتعش قائلة:

- لا أفهم.

يهتف مجددًا:

- أخشى أنه تم العثور على زوجك ميتًا سيدة أنجيل.

أهز رأسي بقوة:

- لا، لا يمكن أن يحدث هذا، إنه قادم إلى هنا لينضم إليَّ، قال إنه سيفعل. أين هو؟ (كان صوتي يرتجف من الانفعال) أريد أن أعرف مكانه. لماذا لم يأتِ إلى هنا؟

تقول السيدة الشابة:

- سيدة أنجيل، أعلم أن هذا صعب للغاية بالنسبة إليك، لكننا نحتاج إلى طرح بعض الأسئلة عليك. هل تريدين منا إحضار شخص ما؟ ربما صديقة لك؟

هززت رأسي:

- نعم، نعم. هل يمكنك أن تأتي بمارجريت من فضلك؟

يذهب السيد ستراكان إلى الباب. أسمع همهمة أصوات ثم تأتي مارجريت. أرى الصدمة على وجهها وأبدأ أرتجف بشكل لا يمكن السيطرة عليه. أخبرها:

- إنهم يقولون إن جاك مات. لكنه لا يمكن أن يحدث هذا، لا يمكن.

تُتمتم:

- كل شيء على ما يرام. (تجلس بجواري وتضع ذراعها حولي) كل الأمور على خير ما يرام.

تقول الشابة وهي تقف على قدميها:

- ربما يمكننا إحضار شيء تشربه.

تذهب إلى الهاتف وتتحدث إلى شخص ما في مكتب الاستقبال.

- هل تعرض لحادث سيارة؟ (أستفسر من مارجريت وتبدو في حيرة) هل هذا ما حدث؟ هل تعرض جاك لحادث سير في طريقه إلى المطار؟ هل هذا هو السبب في عدم وجوده هنا؟

تقول بهدوء:

- لا أعرف.

- لا بد أن ذلك ما حدث (أهز رأسي بتأكيد). لا بد أنه كان يهرع للحاق بالرحلة، لا بد أنه غادر المنزل متأخرًا وكان يقود سيارته بسرعة كبيرة وتعرض لحادث. هذا ما حدث، أليس كذلك؟

تنظر مارجريت إلى السيد ستراكان:

- أخشى أنني لا أعرف.

تبدأ أسناني تتخبط ببعضها:

- أشعر بالبرد.

قفزت على قدميها لمساعدتي.

- هل ترغبين في سترة؟ هل توجد واحدة في خزانة ملابسك؟

- نعم، أظن ذلك، هل يمكنني الحصول على روب الاستحمام؟

- نعم، بالطبع.

تدخل الحمام وتحضره لي، لتضعه حول كتفي. أقول لها بامتنان:

- شكرًا لكِ.

تتساءل:

- أهكذا أفضل؟

- نعم. لكن جاك لا يمكن أن يكون ميتًا، يجب أن يكون ثمة خطأ ما، يجب أن يكون كذلك.

تنجو من قول أي شيء بقرعة على الباب. تفتحه الشابة ويدخل السيد «هو» وتتبعه فتاة تدفع عربة شاي محملة.

قال السيد «هو» بهدوء:

- إذا كان بإمكاني تقديم المزيد من المساعدة، فيرجى إبلاغي بذلك.

أشعر به ينظر إليَّ وهو يغادر الغرفة، لكنني أبقي رأسي منحنيًا. تشغل الشابة نفسها بالشاي وتسألني إذا كنت أرغب في السكر.

- لا، شكرًا.

تضع كوبًا وصحنًا أمامي فألتقط الكوب، أرتعش كثيرًا حتى تتناثر بضع قطرات من الشاي على الجنب وعلى يدي. أشعر بالحرارة، فأعيد الكوب إلى الصحن.

أهتف:

- آسفة (وتملأ الدموع عيني)، إنني آسفة.

- كل شيء على ما يرام.

تقول مارجريت على عجل، وتأخذ منديلًا ورقيًا وتمسح يدي.

أبذل جهدًا لأتمالك نفسي. أقول للسيد ستراكان:

- اعذرني، لم أنتبه لاسمك.

- أليستر ستراكان.
- سيد ستراكان، أنت تقول إن زوجي قد مات! (أنظر إليه للتأكيد).
- نعم، أخشى أن ذلك صحيح.
- إذن هل يمكنك أن تخبرني من فضلك كيف مات؟ أعني، هل كان الأمر سريعًا، هل أصيب أي شخص آخر في الحادث، أين حدث؟ أريد أن أعرف، أريد أن أعرف كيف حدث ذلك.
- لم يكن حادث سيارة يا سيدة أنجيل.
- ليس حادث سيارة؟ (أتلعثم) إذن كيف مات؟

يبدو السيد ستراكان غير مرتاح.

- أخشى أنه لا توجد طريقة سهلة لقول هذا يا سيدة أنجيل، لكن يبدو أن زوجك انتحر.

أنفجر في البكاء.

# الماضي

حالما أدركت بأنه يمكنني أن أفلت من جريمة القتل، أمضيت بقية الليل في العمل على التفاصيل، والتفكير في طريقة ما لإيصال جاك إلى المكان الذي كنت أحتاج إليه بالضبط حينما يحين الوقت. نظرًا لأن خطتي كانت تتوقف على خسارته لقضية توماسين، أخذت ورقة من كتابه وخططت لكل احتمال. فكرت مليًّا فيما سأفعله إذا فاز بالقضية، وفي النهاية، قررت أنه إذا فعل ذلك فسوف أقوم بتخديره على أي حال، وعندما يكون فاقدًا للوعي، سأتصل بالشرطة. إذا أريتهم غرفة القبو، والغرفة التي احتجزني فيها، فربما يصدقون ما سوف أقوله لهم. في حالة عدم تمكني من تخديره قبل مغادرتنا إلى المطار، فسأقوم بتخديره بطريقة ما على متن الطائرة وأحاول الحصول على المساعدة بمجرد وصولنا إلى تايلاند. لم يكن أيٌّ من الحلين رائعين، لكن لم يكن لدي أي خيارات أخرى. إلا إذا خسر. وحتى حينها، لم يكن ثمة ما يضمن أنه سيحضر كأسًا من الويسكي ليرثي حاله.

في اليوم التالي؛ يوم صدور الحكم، قضيت الصباح في سحق الحبوب المتبقية إلى مسحوق ناعم قدر الإمكان، وأخفيتها في لفافة من مناديل الحمام، والذي دفعته في كمي. حينما سمعت أخيرًا أزيز البوابات السوداء وهي تفتح وصوت المشي على الحصى بينما كان جاك يقود سيارته إلى الباب الأمامي في وقت ما في منتصف الظهيرة، بدأ قلبي يدق بشدة لدرجة أنني كنت أخشى أن ينفجر من صدري. لقد حان الوقت أخيرًا. سواء ربح أم خسر، كان عليَّ أن أتصرف.

دخل إلى الرواق وأغلق الباب الأمامي وفتح الستائر. سمعته يفتح باب غرفة الملابس، ومشى عبر الرواق صوب المطبخ، متبوعًا بالأصوات المألوفة لفتح باب الثلاجة وإغلاقها، وصوت مكعبات الثلج التي خرجت من علبتها،

وباب الخزانة فُتح وأُغلق، وصوت إسقاط المكعبات في كوب واحد -حبست أنفاسي- بل كوبان. كانت خطواته الثقيلة في أثناء صعوده الدرج تخبرني بكل ما أريد معرفته. بدأت أفرك عيني اليسرى بشراسة حتى يصبح لونها أحمر وملتهبًا عندما يفتح الباب.

سألته:

- حسنًا؟ كيف سارت الأمور؟

رفع لي كأسًا:

- لقد خسرنا.



قلت:

- خسرنا؟!

دون أن يكلف نفسه عناء الإجابة، رفع كأسه إلى شفتيه، وخوفًا من أن يشربها كلها قبل أن تسنح لي الفرصة لتخديره، قفزت من على السرير. قلت له وأنا أفتح عينيَّ وأغمضها بسرعة:

- أشعر بأن ثمة شيئًا في عيني طوال الصباح. هل يمكنك إلقاء نظرة؟

- ماذا؟

- هل يمكنك أن تنظر إلى عيني لحظة؟ أعتقد أنه لا بد من وجود ذبابة أو شيء من هذا القبيل.

وبينما كان يحدق إلى عيني، التي أبقيتها نصف مغلقة، أخرجت المنديل الذي يحمل المسحوق من كمي ووضعته في راحة يدي. سألته:

- إذن ماذا حدث؟

بينما فتحت المنديل بأصابعي. قال بمرارة:

- دينا أندرسون دمرتني. هل يمكنك فتح عينك أكثر قليلًا؟

مع الحفاظ على تحركاتي الصغيرة، قمت بتحريك الكوب الذي كنت أحمله بيدي الأخرى أسفل المنديل ووضعت المسحوق فيه. قلت له:

- لا أستطيع؛ إنها تؤلمني للغاية (مع تقليب المشروب بإصبعي)، هل يمكنك فتحها لي؟ سأحمل كأسك عنك.

وبتنهد من الانزعاج، سلمني كأسه وفتح عيني بكلتا يديه:

- لا أستطيع رؤية أي شيء.

تذمرت في قولي:

- إذا كان لدي مرآة، لتمكنت من رؤيتها بنفسي. لا يهم، من المحتمل أن تهدأ مع مرور الوقت (مد يده من أجل كأسه فأعطيته كأسي)، سوف نشرب نخب ماذا؟

قال متشائمًا:

- الانتقام.

رفعت الكأس الذي كنت أحملها وقلت:

- للانتقام إذن.

شربت نصف كمية الويسكي وسعدت برؤيته يفعل الشيء نفسه.

- لا أحد يجعل مني أحمق. أنتوني توماسين سوف يدفع ثمن ذلك أيضًا.

قلت باحتجاج:

- لكنه كان بريئًا.

متسائلة كيف سأستمر في جعله يتحدث حتى يسري مفعول الحبوب.

- ما علاقة ذلك بالأمر؟

حينما رفع كأسه ليكملها، شعرت بالذعر لرؤية بقع بيضاء صغيرة طفت في الويسكي.

- هل تعرفين ما هو أفضل جزء في وظيفتي؟

قلت بسرعة:

- ما هو؟

- أجلس مقابل كل هذه النساء المعنَّفات وأتخيل أنني أنا من ضربتهن (ارتشفَ ما تبقى في كأسه)، والصور، كل تلك الصور الجميلة التي تُبين إصاباتهن. أفترض أنه يمكنك تسميتها إحدى مزايا الوظيفة.

رفعت كوبي بغضب وقبل أن أتمكن من إيقاف نفسي، قذفت ببقية الويسكي في وجهه. كدت أن أصاب بالشلل من هدير غضبه، بالإضافة إلى معرفتي بأنني قد تصرفتُ في وقت مبكر. ولكن بينما كان يندفع نحوي، وعيناه مغمضتان بشدة جراء أثر الويسكي، استفدت من عماه اللحظي ودفعته بأقصى ما أستطيع. بينما كان يتعثر بشكل غريب في السرير، كانت الثواني القليلة التي سبقته ليضبط نفسه هي كل ما أحتاج إليه. صفعت الباب خلفي، وركضت على الدرج إلى الرواق في الطابق السفلي، جلست أبحث مستعجلة عن مكان للاختباء فيه، لأنني لن أسمح له بالقبض علي، ليس بعد. في الطابق العلوي، سمعت ارتطام الباب مرة أخرى على الحائط، وبينما كان ينزل بقوة على الدرج، توجهت إلى غرفة الملابس واختبأت في الخزانة، على أمل أن أكسب لنفسي بضع دقائق ثمينة.

هذه المرة، لم يكن يتغنى باسمي وهو يناديني. بدلًا من ذلك، نادى بغضب شديد، ووعدني بمثل هذا الأذى لدرجة أنني ارتجفت من مخبئي خلف المعاطف. مرت عدة دقائق، وتخيلته في غرفة الجلوس، يتفقدني خلف كل قطعة أثاث. كان الانتظار لا يُطاق، بيد أنني كنت أعرف أنه مع كل دقيقة تمضي، تزداد فرص تأثير الحبوب.

أخيرًا، سمعت صوت خطواته الذي لا لبس فيه وهو يسير في الرواق. تحولت ساقاي إلى هلام، وعندما انفتح باب الغرفة، وجدت نفسي أنزلق على الأرض. كان الصمت الذي أعقب ذلك مرعبًا. كنت أعرف أنه كان هناك، خارج خزانة الملابس وعرفت أنه يعلم أنني في الداخل. لكنه بدا مقتنعًا بأن يتركني أتعرق في الخوف النابع من كل مسام في جسدي.

لا أعرف متى خطر ببالي أن خزانة الملابس قد تحتوي على مفتاح يغلقها، لكن فكرة أنه في أي لحظة يمكنه إيجاد هذا المفتاح وقفل الخزانة وسجني

هناك، جعل من المستحيل علي أن أتنفس. إذا لم أتمكن من تنفيذ الجزء التالي من خطتي، فلن يكون ثمة أمل لإنقاذ ميلي.

أصابني الذعر بالجنون فدفعت نفسي على الأبواب. فتحتها على مصراعيها وسقطتُ ككومة مجعدة عند قدمي جاك.

كان غضبه ملموسًا وهو يجذبني من شعري. بدأت أصرخ من أجل الرحمة، وأقول له إنني آسفة وأتوسل إليه ألا ينزلني إلى القبو، أتمتم بطريقة غير متماسكة أنني سأفعل أي شيء ما دام أنه لن يحبسني هناك.

كان لذكر القبو التأثير المطلوب. وبينما كان يسحبني مرة أخرى على طول الرواق، كافحت بشدة لدرجة أنه لم يكن لديه خيار سوى حملي، تركت نفسي حتى يعتقد أنني قد استسلمت. استغللت الوقت الذي استغرقه في نقلي إلى غرفة القبو للتركيز على ما أحتاج إلى القيام به، لذلك عندما حاول رميي على الأرض، تمسكت به بأقصى ما أستطيع. حاول دفعي غاضبًا، وبينما كان يشتمني بصوت عالٍ، كان صوته المرتعش هو كل ما أحتاج إليه. ما زلت أمسك به، سمحت لنفسي بالانزلاق من قبضته نحو الأرض، وعندما وصلت إلى ركبتيه، شددتهما نحوي بأقصى ما أستطيع. خانته ساقاه على الفور، وبينما كان يتمايل فوقي، استخدمت كل ما أملكه من القوة لأطيح به أرضًا. صُعِق من السقوط، جسده ثقيل تحت تأثير الحبوب، رقد دون أن يتحرك لبضع ثوان، وقبل أن يتمكن من التقاط نفسه، هربت من الغرفة وأغلقت الباب خلفي.

وبينما كنت أركض نحو الدرج، كنت أسمعه يدق على الباب، ويصرخ لإخراجه، جعلني الغضب في صوته أبدأ بالبكاء من الخوف. عند وصولي إلى الرواق، ركلت الباب الذي يؤدي إلى القبو بقدمي، وأغلقته ليصد عني الضوضاء. صعدت درجتين في كل مرة، وركضت إلى غرفة نومي، واستعدت الكأسين من حيث ألقيناهما وحملتهما إلى المطبخ، محاولةً تجاهل محاولات جاك اليائسة للخروج من غرفة في القبو، عن طريق التركيز على ما أحتاج إلى أن أفعله. بيدين مرتجفتين، غسلت الأكواب وجففتها بعناية وأعدتها إلى الخزانة.

عدت بسرعة إلى الطابق العلوي، وذهبت إلى غرفة نومي، وقمت بترتيب السرير، وأخذت الشامبو، وقطعة من الصابون والمنشفة من الحمام وحملتها إلى حمام جاك. خلعت ملابس نومي، وضعتها في سلة الغسيل، وذهبت إلى غرفة النوم حيث كانت ملابسي وارتديتها بسرعة. فتحت خزانة الملابس وأخذت زوجين من الأحذية من الصناديق، وبعض الملابس الداخلية وفستان، وعدت إلى غرفة النوم الرئيسية ونثرتها في جميع جنبات الغرفة.

عند عودتي إلى غرفة الملابس، التقطت الحقيبة التي جعلني جاك أحزمها في الليلة الماضية ونزلت إلى الطابق السفلي.

لم أكن قلقة بشأن الخروج من المنزل، لم أكن بحاجة إلى مفتاح لفتح الباب الأمامي، بيد أنني كنت قلقة بشأن الطريقة التي سأصل بها إلى المطار دون أي نقود. كنت أعلم أن جاك ربما علق السترة التي كان يرتديها ذلك الصباح في غرفة الملابس، لكنني لم أرغب في البحث بين ملابسه عن النقود، كنت أتمنى أن أجد بعضها بينما كنت أبحث عن جواز سفري وتذكرتي. فتحت باب مكتبه وأشعلت الضوء. حينما رأيت جوازات السفر والتذاكر ملقاة على مكتبه، كدت أبكي بارتياح. كان ثمة ظرف بجانبها، فتحته فوجدت به مبلغًا من عملة البات التايلاندية. قمت بتغطية أصابعي بكم سترتي، فتحت أحد الأدراج، لكن لم أجد أي نقود ولم أجرؤ على فتح الأدراج الأخرى. أخذت تذكرتي وجواز سفري والبات معي، وعدت إلى الطرقة، ولأنني لم أستطع الوصول إلى المطار دون نقود، ذهبت إلى غرفة الملابس، ووجدت سترته، وفتحت محفظته بعناية قدر المستطاع وأخذت أربع ورقات فئة خمسين جنيهًا من الأوراق النقدية. كنت على وشك إغلاق محفظته عندما لفتت انتباهي بطاقات العمل الخاصة به، وتذكرت أنه في وقت ما سأحتاج إلى الاتصال بمكتبه، أخذت واحدة.

أدركت أنه ليس لدي أي فكرة عن الوقت، عدت إلى المطبخ ونظرت إلى الساعة. شعرت بالذعر عندما رأيت أن الوقت كان بالفعل في الرابعة والنصف، إنه الوقت الذي سأحتاج فيه إلى المغادرة إلى المطار مساءً حيث صعود الطائرة في السابعة. في كل خططي الدقيقة، لم أفكر في الواقع في كيفية الوصول إلى المطار؛ أعتقد أنه كان لدي فكرة عابرة عن أخذ سيارة

أجرة، لذلك كان من المحزن أن أدرك أنه ليس لدي أي فكرة عن الرقم الذي يجب أن أتصل به لطلب واحدة. كانت وسائل النقل العام غير متاحة؛ أقرب محطة قطار على بعد خمس عشرة دقيقة سيرًا على الأقدام وكنت أكره لفت الانتباه إليَّ من خلال جر حقيبة ثقيلة على طول الطريق، وعلى أي حال، كنت أشك في أنني سأصل إلى هناك في الوقت المناسب. أدركت أنني كنت أضيع وقتًا ثمينًا، عدت إلى الرواق والتقطت الهاتف، أتساءل عما إذا كان شيء مثل عامل الهاتف لا يزال موجودًا. عندما وقفت هناك أتساءل ما هو الرقم الذي يجب أن أطلبه، جاء رقم إستير في رأسي وبالكاد أصدق أنني تذكرته بشكل صحيح، اتصلت بها، أدعو أن ترد هي.

- مرحبًا؟

أخذت نفسًا عميقًا:

- إستير، أنا غريس. هل أزعجكِ باتصالي الآن؟

- لا، على الإطلاق. كنت أستمع إلى الراديو في الواقع؛ على ما يبدو، تمت تبرئة أنتوني توماسين (توقفت للحظة وكأنها لم تكن متأكدة تمامًا مما ستقوله)، أعتقد أن جاك مصاب بخيبة أمل.

تسابق عقلي:

- نعم، أخشى أنه بالأحرى كذلك.

- هل أنت بخير يا غريس؟ يبدو أنك مستاءة قليلًا.

اعترفت:

- إنه جاك، يقول إنه لا يمكنه المغادرة إلى تايلاند الليلة لأن لديه الكثير من العمل للقيام به. حينما حجز التذاكر، كان يعتقد أن القضية سوف تكون قد انتهت قبل وقت طويل الآن ولكن بسبب الأدلة الجديدة؛ حول أن دينا أندرسون لديها عشيق.

- لا بد أنك محبَطة للغاية! ولكن يمكنك دائمًا السفر لاحقًا، أليس كذلك؟

- الحقيقة إن جاك يريدني أن أذهب الليلة، كما هو مخطط، ويقول إنه سوف ينضم إليَّ يوم الثلاثاء، بمجرد أن تتم تسوية كل شيء.

لقد أخبرته بأنني أفضِّل انتظاره، لكنه يقول إنه من الغباء إضاعة التذكرتين. سيتعين عليه شراء واحدة جديدة ليوم الثلاثاء، كما ترين.

- أظن أنكِ لا تريدين الذهاب دونه.

- لا، بالطبع لا (ضحكتُ مرتعشَة)، لكن في الحالة التي هو عليها، ربما يكون الأمر أفضل. من المفترض أن أتصل هاتفيًّا بسيارة أجرة لتقلني إلى المطار؛ لا يمكنه اصطحابي لأنه تناول ويسكي ثقيلًا عندما عاد من العمل. المشكلة أنه ليس لدي رقم واحد، ولا أجرؤ على إزعاج جاك في مكتبه وسؤاله عما إذا كان بإمكاني استخدام الكمبيوتر للبحث عن واحد، لذلك كنت أتساءل عما إذا كنتِ تعرفين شركة محلية.

- هل تريدين مني أن آخذك؟ لقد عاد الأطفال بالفعل إلى المنزل من المدرسة وعمل روفوس من المنزل اليوم، لذلك لن تكون هناك مشكلة.

كان ذلك آخر شيء أريده، قلت على عجل:

- هذا لطف كبير منك، لكن لا يمكنني أن أطلب منك القيادة إلى المطار ليلة الجمعة.

- لا أعتقد أنه من السهل الحصول على سيارة أجرة في غضون وقت قصير. ما الوقت الذي تحتاجين إليه للمغادرة؟

- حسنًا، في أقرب وقت ممكن حقًّا (قلت على مضض). لا بد لي من صعود الطائرة في الساعة السابعة.

- إذن من الأفضل أن تدعيني آخذك.

- أفضِّل ركوب سيارة أجرة. إذا كان بإمكانك فقط إعطائي رقمًا.

- اسمعي، سوف أقلك أنا، إنها حقًّا ليست مشكلة. على أي حال، سوف ينقذني ذلك من وقت الاستحمام المخيف.

- لا، لا بأس.

- لماذا لا تدعينني أساعدك يا غريس؟

كان ثمة شيء ما حول الطريقة التي قالتها بها ما جعلني أقلق.

- أعتقد أنه أمر متعب لك، هذا كل شيء.

- إنه ليس كذلك (كان صوتها حازمًا). هل حزمت كل أغراضك؟

- نعم، حزمنا أمتعتنا يوم أمس.

- إذن سأذهب وأخبر روفوس بأنني سأصحبك إلى المطار وسوف آتي إليك مباشرة، لنقل خمس عشرة دقيقة؟

قلت لها:

- عظيم، شكرًا لك يا إستير، سأخبر جاك بهذا.

وضعت الهاتف جانبًا، مذعورة مما وافقتُ عليه للتو. لم أستطع حتى أن أتخيل كيف سأتمكن من التظاهر لشخص مثل إستير أن كل شيء على ما يرام.

# الحاضر

تميل المضيفة نحوي وتقول بهدوء:

- سنصل إلى مطار هيثرو بعد نحو أربعين دقيقة.
- شكرًا لك.

أشعر بارتفاع مفاجئ من الذعر وأجبر نفسي على التنفس بهدوء، لأنني لا أستطيع تحمل الانهيار في هذه المرحلة من اللعبة. لكن الحقيقة هي أنه على الرغم من أنني لم أفكر في أي شيء آخر منذ أن رأتني مارجريت عند مكتب الجوازات في مطار بانكوك قبل 12 ساعة تقريبًا، لا أزال لا أعرف كيف سألعبها حينما نصل أخيرًا. سيكون ديان وآدم هناك لأخذي إلى منزلهما، لذلك أحتاج إلى التفكير مليًّا فيما سأقوله لهما عن الساعات الأخيرة التي قضيتها مع جاك، لأن كل ما سأخبرهما به يجب أن أكرره على مسامع الشرطة.

تظهر علامة ربط حزام الأمان ونبدأ بالهبوط إلى مطار هيثرو. أغمض عيني وأدعو الرب أن ينتهي بي الأمر بقول الشيء الصحيح لديان وآدم، وبخاصة أن آدم هو الذي كان على اتصال بالشرطة منذ العثور على جثة جاك. آمل ألا تكون ثمة مفاجآت سيئة. آمل ألا يخبرني آدم بأن الشرطة تعتقد أن موت جاك مريب. إذا قال ذلك، حينها لن أعرف ما سأقوله. كل ما يمكنني فعله هو الارتجال. المشكلة هي أن ثمة أشياء كثيرة لا أزال لا أعرفها.

أشعر بالنشوة عندما أخبرني السيد ستراكان بأن جاك انتحر، لأن ذلك يعني أن خطتي قد نجحت وأنني أفلتُّ من الجريمة. سرعان ما تهدأ تلك النشوة عندما يقول كلمة «يبدو». لم أكن أعرف ما إذا كان قد قرر توخي الحذر بشأن كلامه أو ما إذا كانت الشرطة في إنجلترا قد أشارت إلى أن ثمة مجالًا للشك. إذا كانوا قد استهلوا بالفعل في استجواب الناس -زملاء العمل

والأصدقاء- فربما توصلوا إلى استنتاج مفاده أن جاك كان مرشَّحًا غير محتمل للانتحار. كان لا بد للشرطة أن تسألني عما إذا كنت أعرف لماذا انتحر جاك وأضطر إلى إقناعهم بأن خسارة قضيته الأولى في المحكمة كان سببًا كافيًا. ربما سيسألونني إذا كان ثمة مشكلات في زواجنا، لكن إذا اعترفت بهذا، حتى لو أعطيتهم كل التفاصيل، فإنهم بالتأكيد سيضعون احتمال القتل، بدلًا من الانتحار. وهذا شيء لا يمكنني المخاطرة به. أخبرني السيد ستراكان بأن جاك مات بسبب جرعة زائدة، لكنه لم يعطني أي تفاصيل أخرى، لذلك لا أعرف مكان العثور على جثته بالفعل ولم أكن أعتقد أنه من المناسب أن أسأل. ولكن ماذا لو كان لدى جاك طريقة للخروج من غرفة القبو، ماذا لو كان ثمة مفتاح مخفي بعيدًا في مكان ما لم أجده، ماذا لو أنه قبل أن يستسلم فعليًا، صعد الدرج ودخل الرواق؟ ربما كان لديه الوقت لكتابة رسالة تورِّطني قبل وفاته.

عدم المعرفة يعني أنني لست مستعدة لما هو آت. حتى لو جرى كل شيء وفقًا للخطة وتم العثور على جاك في الطابق السفلي، فلا بد أن تسألني الشرطة عن سبب وجود الغرفة، وما هو الغرض منها، ولا يمكنني معرفة ما إذا كان من مصلحتي الاعتراف بأنني علمت بها طوال الوقت أو أنكر ذلك. إذا اعترفت بأنني كنت على علم بالأمر، فسأختلق بعض القصص عن كونه المكان الذي اعتاد جاك الذهاب إليه قبل ذهابه إلى المحكمة، ليقوِّي نفسه ويذكِّر نفسه بالعمل الجدير الذي قام به كمدافع عن زوجات يتعرضن للضرب. أفضِّل أن أنكر كل المعلومات عنها وأصرِّح بالصدمة من أن مثل هذه الغرفة يمكن أن توجد في منزلنا الجميل. بعد كل شيء، نظرًا لأنه تم إخفاؤها بعيدًا في الجزء الخلفي من القبو، فمن الممكن أنني لم أكن أعرف عنها. ولكن بعد ذلك سوف أواجه معضلة أخرى؛ إذا قامت الشرطة لسبب ما بأخذ بصمات أصابع الغرفة، فربما يجدون آثارًا لوجودي هناك. لذلك ربما يكون من الأفضل قول الحقيقة، لكن ليس الحقيقة كاملة لأنني إذا صورت جاك على أنه أي شيء آخر غير الزوج المحب الذي اعتقد الجميع أنه كذلك، إذا أخبرتهم بالهدف الحقيقي للغرفة، فقد يبدؤون في التساؤل عما إذا كان لدي الدافع لقتله لحماية ميلي. ربما تكون المحكمة متعاطفة معي، أو ربما

يجعلونني واحدة من تلك اللاتي يتزوجن بحثًا عن المال مما يجعل ذلك دافعًا لقتله. حين يحل وقت هبوطنا إلى مطار هيثرو، فإن أهمية اتخاذ القرارات الصحيحة، وقول الشيء الصحيح، تثقل كاهلي.

يستغرق الأمر بعض الوقت للوصول إلى مكتب الجوازات. في أثناء عبوري للأبواب المزدوجة، أتفحص وجوه الأشخاص المنتظرين، أبحث عن الوجوه المألوفة لآدم وديان. متوترة للغاية لدرجة أنني أعلم أنني ربما أنفجر في البكاء حينما أراهما، وهو ما يتماشى مع دور الزوجة الحزينة. بيد أنني حينما أشاهد إستير تلوح لي بدلًا من ديان، تنتابني الرهبة.

تقول وهي تعانقني:

- آمل ألا تمانعي، لم يكن لدي أي شيء أفعله اليوم لذا عرضت اصطحابك وأخذك إلى منزل ديان. آسفة جدًّا بشأن جاك.

- ما زلت لا أصدق ذلك.

أضيف وأهز رأسي في حيرة، لأن صدمة رؤيتها تنتظرني جففت الدموع التي كنت أتمنى أن أذرفها.

- ما زلت لا أصدق أنه مات.

- لا بد أنها كانت صدمة بالنسبة إليك (توافقني وهي تأخذ حقيبتي مني). هيا، دعينا نعثر على مقهى، اعتقدت أننا ربما نذهب لتناول القهوة قبل أن نبدأ رحلة العودة إلى المنزل.

يخفق قلبي أكثر، لأنه سيكون من الصعب للغاية أن ألعب دور الأرملة الحزينة أمامها بدلًا من ديان.

- أليس من الأفضل العودة مباشرةً إلى منزل ديان؟ أود التحدث إلى آدم، كما أني بحاجة إلى الذهاب إلى قسم الشرطة. يقول آدم إن المحقق الذي يتولى القضية يريد التحدث معي.

- سنعلق فقط في ساعة الذروة في هذا الوقت من الصباح، لذلك قد نحتسي القهوة أيضًا.

قالتها متوجهة نحو منطقة المطاعم. وجدنا مقهى، فذهبنا لطاولة في وسط المكان حيث يحيط بها تلامذة المدارس المزعجون.

- اجلسي، سأذهب وأحضر القهوة. لن أتأخر.

تحثني غريزتي على الفرار، لكنني أعلم أنني لا أستطيع. إذا جاءت إستير لاصطحابي في المطار، وإذا اقترحت احتساء القهوة، فذلك لأنها تريد التحدث معي. أحاول ألا أصاب بالذعر بيد أنه صعب. ماذا لو خمنتْ أنني قتلت جاك، ماذا لو كان ثمة شيء في سلوكي في اليوم الذي نقلتني فيه إلى المطار أثار شكوكها؟ هل ستخبرني بأنها تعرف ما قمت به؟ هل ستهددني بإخبار الشرطة؟ هل ستبتزني؟ أشاهدها وهي تدفع ثمن قهوتنا، وتعود إلى حيث أنتظر، أشعر بالغثيان من التوتر.

تجلس وتضع قهوتي أمامي. منحتها ابتسامة:

- شكرًا لك.

- غريس، ما مدى معرفتك بموت جاك؟

تتساءل وهي تفتح كيس السكر وتضعه في كوبها.

- ماذا تقصدين؟

- أفترض أنك تعرفين كيف مات.

- نعم، لقد تناول جرعة زائدة.

توافق على ذلك قائلة:

- نعم، لكن هذا ليس ما قتله.

- لا أفهمك.

- يبدو أنه أخطأ في تقدير كمية الحبوب التي يحتاج إليها ولم يتناول ما يكفي. لذلك لم يمت، حسنًا، ليس من الجرعة الزائدة على أي حال.

- لا أفهمك.

- حسنًا، لأنه لم يأخذ ما يكفي من الحبوب لقتل نفسه، استعاد وعيه.

- إذن كيف مات؟

- من الجفاف.

أصطنع نظرة صادمة على وجهي:

- الجفاف؟

- نعم، بعد نحو أربعة أيام من تناوله للجرعة الزائدة.

- ولكن إذا لم يكن ميتًا، إذا كان لا يزال على قيد الحياة، فلماذا لم يذهب فقط ليحصل على بعض من الماء؟

- لأنه لم يستطع. لم يتم العثور على جثته في الجزء الرئيسي من المنزل كما ترين. تم العثور عليها في غرفة في القبو.

- غرفة في القبو؟

- نعم. أسوأ شيء هو أنه لا يمكن فتح الغرفة من الداخل، مما يعني أنه لا يستطيع الخروج، حتى عندما سيطر عليه العطش (التقطت ملعقتها وحركت قهوتها)، يبدو أنه حاول ذلك.

أقول بهدوء:

- مسكين يا جاك، لا أستطيع حقًّا أن أتحمل التفكير في مدى معاناته.

- هل كان لديك أي فكرة أنه سيفعل مثل هذا الشيء؟

- لا، على الإطلاق. لم أكن لأتركه أبدًا، ما كنت لأسافر إلى تايلاند أبدًا إذا كنت أعتقد أنه سيقتل نفسه.

- فكيف كان حاله عندما عاد من المحكمة؟

- في الواقع، لقد أصيب بخيبة أمل إزاء خسارة القضية بالطبع.

- الأمر فقط في أنه لا يبدو من طباع شخصيته تمامًا أن ينهي حياته بنفسه، على الأقل هذا ما قد يعتقده الناس. لذلك ربما كان أكثر من خيبة أمل، ألا تعتقدين ذلك؟ أعني، أليست هذه هي القضية الأولى التي خسرها؟

- بلى لقد كانت كذلك.

- لذلك لا بد أنها دمرته. ربما أخبرك بأنه شعر بأن حياته المهنية قد انتهت. لكنكِ ظننتِ أنه مجرد شيء قاله في خضم لحظة الأحداث، لذا لم تنتبهي حقًّا إلى ذلك (أحدق إليها)، أليس هذا ما قاله يا غريس؟ ألم يقل إنه يعتقد أن مسيرته انتهت؟

- أجل (أومئ برأسي ببطء)، لقد قال ذلك.

- لذا لا بد أن هذا هو سبب رغبته في الانتحار؛ لأنه لم يستطع تحمل الفشل.

أوافقها:

- ربما كان ذلك.

- وهذا يفسر أيضًا سبب حرصه الشديد على مغادرتك. لقد أرادك بعيدة عن الطريق حتى يتمكن من تناول الحبوب. يبدو أنه تناولها بعد فترة وجيزة من مغادرتك. هل تعرفين من أين حصل عليها؟ أعني هل كان يتناول أحيانًا حبوبًا منومة؟

- في بعض الأحيان (أرتجل)، لم يصفها له طبيب، لقد اشتراها دون وصفة طبية. لقد كانت نفس الحبوب التي أخذتها ميلي. أتذكر أنه سأل السيدة جودريتش عن اسمها.

تقول:

- حقيقة معرفته أن باب الغرفة في القبو لا يمكن فتحه من الداخل تظهِر أنه أدرك أنه قد لا يكون لديه ما يكفي من الحبوب ولكنه مصمم على قتل نفسه (تأخذ رشفة من قهوتها). من المؤكد ستسألك الشرطة عن الغرفة. كنت تعرفين عنها، أليس كذلك؟ لأن جاك أراكِ إياها؟

- أجل.

تلعب بملعقتها وتقول:

- سيرغبون أيضًا في معرفة الغرض من الغرفة (لأول مرة، تبدو غير متأكدة من نفسها). يبدو أنه تم طلاؤها باللون الأحمر، حتى الأرضية

والسقف والجدران كانت مغطاة برسومات لنساء تعرَّضن للضرب المبرح.

أسمع الصدمة في صوتها وأنتظر، أنتظرها لتخبرني بما يجب أن أقوله للشرطة. لكنها لم تفعل، لأنه ليس لديها تفسير لتقدمه لي، ويطول الصمت بيننا، لذا أخبرها بما توصلت إليه على متن الطائرة:

- استخدم جاك الغرفة كنوع من الملاحق. لقد أظهرها لي بعد فترة وجيزة من انتقالنا إلى المنزل. قال إنه وجد أنه من المفيد قضاء بعض الوقت هناك قبل أن يذهب إلى المحكمة، يفحص الملفات، وينظر في الأدلة الفوتوغرافية. قال إن الأمر كان له أثر عاطفي عليه لدرجة أنه وجد صعوبة في الاستعداد عقليًا في المنزل، ولهذا السبب أنشأ مكتبًا منفصلًا في القبو.

تومئ برأسها باستحسان:

- واللوحات؟

أشعر بموجة من الذعر؛ لقد نسيت كل شيء عن الصور التي أجبرني جاك على رسمها له. تنظر إستير إليَّ بثبات، وتجبرني على التركيز.

- لم أرَ أي لوحات، يجب أن يكون جاك قد علقها لاحقًا.
- أفترض أنه لم يطلعكِ عليها لأنها كانت صادمة للغاية، حيث لا يريد أن يضايقكِ بها.

أوافقها:

- ربما، جاك كان يراعي شعوري دومًا.
- قد يسألون ما إذا كنتِ تعلمين أن الباب لا يمكن فتحه من الداخل.
- لا. لقد نزلت إلى هناك مرة واحدة وحسب، لذلك لم يكن ذلك شيئًا سألاحظه.

أنظر إليها عبر الطاولة، وأحتاج إلى التأكد بأنه الشيء الصحيح لقوله.

- لا تقلقي يا غريس، فإن الشرطة ستتساهل معك. تذكري، جاك أخبرهم بأنك تعانين مشكلات نفسية، لذلك فهم يعلمون أنه يجب عليهم معاملتك بلطف (تتوقف لبرهة)، ربما ينبغي لكِ أن تلعبي على هذا الجانب قليلًا.

- كيف تعرفين كل هذا؛ كيفية موت جاك، مكان العثور على جثته، الصور، وحتى ماذا ستسألني الشرطة؟

- أخبرني بذلك آدم. سوف ينتشر الأمر في جميع الصحف غدًا، لذلك أعتقد أنه يجدر بك أن تكوني مستعدة (توقفَت للحظة)، لقد أراد أن يخبرك بنفسه لكنني أخبرته أنه بما أنني كنت أنا وأنتِ آخر من رأوا جاك على قيد الحياة، شعرت أنه يجب أن أكون أنا من يأتي لأخذك من المطار.

أحدق إليها:

- آخر من رأى جاك على قيد الحياة؟

- نعم. كما تعلمين، الجمعة الماضية عندما قمت باصطحابك لأخذك إلى المطار. ودَّعنا جاك بعد أن وضعنا حقيبتك في صندوق السيارة. كان عند نافذة المكتب، أليس كذلك؟

أقول ببطء:

- نعم، كان هناك.

- وإذا كنت أتذكر جيدًا، فقد أخبرتِني بأنه لم يخرج إلى البوابة لينتظرني معك لأنه يريد النزول مباشرة إلى العمل. لكن ما لا أتذكره هو ما إذا كان يرتدي سترته أم لا.

- لا لا، لم يكن يرتديها. لم يكن يرتدي ربطة عنقه أيضًا، لقد خلعها حينما عاد من المحكمة.

- لوَّح لنا وداعًا، ثم أرسل لك قبلة.

- نعم، نعم، لقد فعل.

فداحة ما تفعله، وما تعرضه علي لفعله، يصدمني ويجعلني أشعر بالارتعاش، فأهمس لها:

- شكرًا لكِ.

تمد يدها عبر الطاولة وتغطي يدي بيديها.

- سيكون كل شيء على خير ما يرام يا غريس، أعدك.

تنهمر الدموع من أعماقي:

- لا أفهم! هل قالت ميلي شيئًا لكِ؟

أقولها بتردد، مدركة أنه حتى لو فعلت، حتى لو أخبرتها ميلي بأن جاك دفعها إلى نهاية الدرج، فلن يكون سببًا كافيًا لتكذب حتى تحميني.

تبتسم وتقول:

- فقط أنها لا تحب جورج كلوني.

أنظر إليها في حيرة.

- إذن لماذا؟

تنظر إليَّ مرة أخرى بثبات وتقول:

- ما لون غرفة ميلي يا غريس؟

بالكاد استطعت أن أخرج الكلمة، أقول لها:

- حمراء (ويخبت صوتي)، كانت غرفة ميلي حمراء.

تقول بهدوء:

- هذا ما اعتقدته.



# خلف الأبواب الموصدة

"إن كنت قد أحببت رواية فتاة القطار، فلتقرأ خلف الأبواب الموصدة".

Elle Magazine

"إن التوتر يزداد ازديادًا غير محتمل".

Good Housekeeping

"استنفدت فترة الظهيرة فقط لأنهي هذه الرواية؛ إذ خفق قلبي بشدة في النهاية. إذا كنت من محبي الروايات ذات الوقع السريع والحماسي، فهذه الرواية ستنال استحسانك".

The Sun

"هذه الرواية الرائعة ستحبس أنفاسك".

Bella Magazine



## بي. أيه. باريس

عاشت بي. أيه. باريس في فرنسا لسنوات عديدة، وقد رجعت مؤخرًا هي وزوجها إلى المملكة المتحدة. تُعد كتب المؤلفة من الأكثر مبيعًا؛ بيع أكثر من مليون نسخة في المملكة المتحدة وحدها، كما تُعد الأكثر مبيعًا لمجلة نيويورك تايمز، ومجلة صنداي تايمز. تُرجمت رواياتها لأربعين لغة، ورواية خلف الأبواب الموصدة هي أول رواية تُرجمت للغة العربية.




زوجان لا يفترقان أبدًا، مع بعضهما في زخم هذه الحياة، زوج محب، ووسيم، وفاحش الثراء، وزوجة أنيقة وفاتنة. حينها يظن الجميع بأن هذه هي الحياة المثالية الحالمة المشبعة بالحب الحقيقي. ولكن زوبعة تساؤلات يثيرها مَن يعيش بقربهما ويراهما من كثب؛ لمَ لا تجيب غريس على الهاتف أبدًا؟! ولماذا لا تخرج لاحتساء القهوة بالرغم من أنها لا تعمل؟! كيف يمكنها أن تطهو مثل هذه الأطباق المتقنة والساحرة، وفي الآن ذاته تبقى ممشوقة القوام هكذا! لمَ ثمة حواجز عند إحدى نوافذ غرفة النوم؟!

في بعض الأحيان يكون الزواج المثالي كذبةً متقنةً.

telegram @soramnqraa

الغلاف: عبد الرحمن الصواف



9 789776 902459








aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb